مجموع
مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

الوعظ والرقائق

المجلد السادس عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مَجْمُوعُ
مُؤَلَّفَاتٍ وَرَسَائِلَ وَبُحُوثٍ

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيَّار

أُسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ
وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ القَصِيمِ

الوَعْظُ وَالرَّقَائِقُ

المُجَلَّدُ السَّادِسُ عَشَرَ

رَتَّبَهُ وَأَعَدَّهُ لِلطِّبَاعَةِ
د. محمد بن عبد الله الطيَّار

دَارُ التَّدْمُرِيَّةِ

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد اللّه بن محمد بن أحمد الطيار
الوعظ والرقائق

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـــ ٢٠١٠م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد اللّه بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

الوعظ والرقائق

المجلد السادس عشر

رتبه وأعده للطباعة

محمد بن عبد اللّه الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

أحب الأعمال إلى الله[1]

(١) اشترك مع المؤلف في تأليف هذا الكتاب الأستاذ الدكتور عاطف بن محمد عبد المجيد، الأستاذ في كلية التربية للبنات بالزلفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُه ونَسْتَعِيْنُه ونَسْتَغْفِرُه ونَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَه وبعد:

إِنّ مِنْ عَظِيْم نِعَمِ اللهِ تَعَالىَ عَلىَ عِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهَم أَفْضَلَ الشَّرَائِع وَأَحْسَنها، وَدَلَّهَمْ عَلَيْها، وَرَغّبَهم فِيها، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَعَبَّدُوا إِلَيه بِها، فَمَتىَ قَامَ العبادُ بِما أُمِرُوا بِه وانْتَهَوا عَمّا نُهُوا عَنْه، سُعِدُوا فِي الدّنيا وَٱلآخِرة، وَمَتى خَالَفُوا أَمْرَ خَالِقِهم وَتَمَرّدُوا على عِبَادَته حَصَلَ لهَم بِذَلِك الشّقَاوَةُ في الدّنْيا وَالآخِرة، قَالَ تَعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] وقال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] فَالْجَزاء مِنْ جِنسِ ٱلْعَمَل.

وَلَمّا رَغبَ الرَّبّ سبحانه وتعالى فِي عِبادَتِه بَيَّن ﷺ أَنَّ ٱلأَعْمَالَ لَيْسَتْ عَلىَ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ بَل يَتَفَاضَلُ بَعْضُهَا عَلىَ بَعْضٍ، وَلِذَا كَانَتْ مَحبَّته سبحانه وتعالى لِبَعْضِ ٱلأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ مَحبَّته لِغَيْرِهَا، وَلَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ النَّبي ﷺ ـ رِضْوَان الله عَلَيْهِم ـ يَسْأَلُوْنَ النَّبيَّ ﷺ عَنْ أَحبِّ ٱلأَعْمَالِ إِلىَ اللهِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِهَا، وَيَنَالُوا أَعْلىٰ دَرَجَاتِ ٱلمَحبَّةِ مِنَ اللهِ تَعَالى، فَعَنْ أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: أَيُّ ٱلأَعْمَالِ أَحبُّ إِلىَ اللهِ تَعَالىٰ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلىٰ وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «**بِرُّ ٱلوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[1].

---

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ١٠/٣٣٦، ومسلم برقم (٨٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(١).

وهكذا كان صحابته ﷺ يسألون عن أفضل أعمال البر وأحبها إلى الله لكي ينالوا محبته سبحانه ويفوزوا بأعلى الدرجات في جناته.

ولما كانت النفس البشرية ينتابها شيء من الكسل والفتور أحياناً، كان من الأفضل لها، أنه تتعرف على جانب من أنواع العبادات التي خصها الله تعالى بالفضل لكي تتعبد لله بها ويحصل من فعلها لها ما لا يحصل لها يترك بعضها.

والنفس البشرية تميل إلى التنويع؛ لأن في التنويع رياضة لهذه النفس ودعوة لها للاستمرار، فإن النفس البشرية إذا تعودت على أمر ما قد يصيبها شيء من الملل لكن إذا فتح لها باب من أنواع العبادات اختارت ما يناسبها حال الكسل وحال الهمة والنشاط.

وحرصاً منا على نفع إخواننا المسلمين جعلنا هذه الرسالة التي تبين جملة من أنواع العبادات التي يحبها الله تعالى مع بيان عظيم الأجر لمن قام بها نسأل الله أن يرزقنا محبته وأن يجمعنا وإخواننا المسلمين في دار كرامته إنه سميع مجيب.

وقبل الشروع في موضوعنا نحب أن ننبه على أمرٍ هام وهو بيان مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، وذلك لأن موضوع الرسالة في بيان الأعمال التي يحبها ومن خلال هذا المسمى «**أحب الأعمال إلى الله**» إذ فيه إشارة إلى إثبات صفة المحبة لله تعالى التي عطلها أهل التعطيل أو حرفها أهل التحريف.

فما هو مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى؟

قال سماحة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ٣/ ٣٠٢، ومسلم برقم (٨٣).

«أهل السنة والجماعة طريقتهم في أسماء الله وصفاته أنهم يعتبرون أن ما ثبت من أسماء الله وصفاته في كتاب الله، أو فيما صح عن رسول الله ﷺ هو حق على حقيقته يراد به ظاهره ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين وذلك لأن تحريف المحرفين، مبني على سوء فهم، أو سوء قصد حيث ظنوا أنهم إذا أثبتوا تلك النصوص، أو تلك الأسماء والصفات على ظاهرها ظنوا أن ذلك إثبات للتمثيل، ولهذا صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه، وقد يكونون ممن لم يفهموا هذا الفهم ولكن لهم سوء قصد في تفريق هذه الأمة الإسلامية شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سمى الله به نفسه وما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فهو حق على حقيقته وعلى ظاهره، ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وهو أيضاً لا يمكن أن يفهم منه ما لا يليق بالله ﷻ من صفات النقص أو المماثلة بالمخلوقين، بهذه الطريقة المثلى يسلمون من الزيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، غير زائدين في ذلك ولا ناقصين عنه، ولهذا كانت طريقتهم أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا يمكن لأحد أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه أو أن يصف الله بما لم يصف به نفسه.

فإن أي إنسان يقول أن من أسماء الله كذا، أو ليس من أسماء الله، أو أن من صفات الله كذا، أو ليس من صفات الله بلا دليل فهذا بلا شك قول على الله بلا علم، وقد قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم إن طريقتهم في أسماء الله تعالى مما سمى الله به نفسه فإن كان من الأسماء المتعدية فإنهم يرون من شرط تحقيق الإيمان به ما يلي:

١ ـ أن يؤمن المرء بذلك الاسم اسماً له ﷻ.

٢ ـ أن يؤمن بما دل عليه من الصفة سواء كانت الدلالة تضمناً أو التزاماً.

٣ ـ أن يؤمن بأثر ذلك الاسم الذي كان مما دل عليه الاسم من الصفة ونحن هنا نضرب مثلاً:

من أسماء الله تعالى «السميع» يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يثبت هذا الاسم من أسماء الله فيدعى لله به ويعبد به فيقال مثلاً عبد السميع ويقال يا سميع يا عليم وما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكذلك أيضاً يثبت ما دل عليه هذا الاسم من الصفة وهي السمع فنثبت لله سمعاً عاماً شاملاً فلا يخفى عليه أي صوت وإن ضعف.

كما نثبت أيضاً أثر هذه الصفة وهي أن الله تبارك وتعالى يسمع كل شيء وبهذا ننتفع انتفاعاً كبيراً من أسماء الله لأنه يلزم من هذه الأمور الثلاثة التي أثبتناها في الاسم إذا كان متعدياً أن نتعبد الله بها فنحقق قول الله: ﷻ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأنت إذا آمنت بأن الله يسمع فإنك لن تُسْمِع ربك ما يغضبه عليك، لن تسمعه إلا ما يكون به راضياً عنك؛ لأنك تؤمن أنك مهما قلت من قول سواء كان سراً أم علناً فإن الله تبارك وتعالى يسمعه، فسوف ينبئك بما كنت تقول في يوم القيامة، فسوف يحاسبك على ذلك على حسب ما تقتضيه حكمته في كيفية من يحاسبهم تبارك وتعالى، إذاً القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الاسم من أسماء الله إذا كان متعدياً فإنه لا يمكن تحقيق الإيمان به إلا بالإيمان بهذه الأمور الثلاثة:

١ ـ أن نؤمن به اسماً من أسماء الله فنثبته من أسمائه.

٢ ـ أن نؤمن بما دل عليه من صفة.

٣ ـ أن نؤمن بما يترتب على تلك الصفة من الأثر.

وبهذا يتحقق الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى المتعدية.

أما إذا كان الاسم لازماً فإنهم يثبتون هذا الاسم من أسماء الله، ويسمون الله به ويدعون الله به، ويثبتون ما دل عليه الاسم من صفة على الوجه الأكمل اللائق بالله تعالى، ولكن هنا لا يكون أثر؛ لأن هذا الاسم مشتق من شيء لا يتعدى موصوفه فلذلك لا يكون أثر، ونضرب مثلاً بـ «الحي» فإن الحي من أسماء الله ﷻ نثبته اسماً لله فنقول من أسماء الله تعالى «الحي» وندعو الله به فنقول: «يا حي، يا قيوم».

ونؤمن بما دل عليه من صفة، سواء كان ذلك تضمناً، أو التزاماً وهي الحياة الكاملة التي تتضمن كل ما يكون من صفات الكمال في الحي من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام وغير ذلك، فعلى هذا نقول: إذا كان الاسم من أسماء الله غير متعد فإن تحقيق الإيمان به يكون بأمرين:

أحدهما: إثباته اسماً من أسماء الله.

والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفة على وجه الكمال اللائق بالله تبارك وتعالى.

أما الصفات فإننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه سواء ذكر الصفات وحدها بدون أن يتسمى بما دلت عليه، أو كانت هذه الصفة مما دلت عليه أسماؤه، فإنه يجب علينا أن نؤمن بهذه الصفة على حقيقتها مثال ذلك: أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه أنه استوى على عرشه، وهو يخاطبنا بالقرآن النازل باللسان العربي المبين، وكل الناس الذين لهم ذوق في اللغة العربية يعلمون معنى استوى في اللغة العربية، ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وهذا اللفظ أدق من اللفظ الآخر؛ لأن كلمة «الكيف غير معقول» تدل على أنه إذا انتفى عنه الدليلان النقلي والعقلي فإنه لا يمكن التكلم به.

هذه الصفة من صفات الله لم يرد اسم من أسماء الله مشتق منها فليس

من أسمائه المستوى، ولكننا نقول إنه استوى على العرش ونؤمن بهذه الصفة على الوجه اللائق به ونعلم أن معنى الاستواء هو العلو، فهو علو خاص بالعرش، ليس العلو المطلق على جميع المخلوقات، بل هو علو خاص ولهذا نقول في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه: ٥].

أي: علا واستقر على وجه يليق بجلاله وعظمته، وليس كاستواء الإنسان على البعير والكرسي مثلاً؛ لأن استواء الإنسان على البعير والكرسي استواء مفتقر إلى مكانه الذي يستوي عليه، أما استواء الله جل ذكره فإنه ليس استواء مفتقر، بل إن الله تعالى غني عن كل شيء، كل شيء مفتقر إلى الله، والله تبارك وتعالى غني عنه.

ومَنْ زعم أنه بحاجة إلى عرش يقله أساء الظن بربه ﷻ فهو ﷻ غير مفتقر إليه، كذلك النزول إلى سماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل الآخر نؤمن به على أنه نزول حقيقي، لكنه يليق بالله ﷻ لا يشبه نزول المخلوقين، ومن هنا نقول أنه يجب على المؤمن أن يتحاشى أمراً يلقيه الشيطان في باله أمراً خطيراً للغاية ـ وهو أمر حمل أهل البدع على تحريف النصوص، من أجل هذا الأمر الذي يجعله الشيطان في قلوب الناس ـ ألا وهو تخيل كيفية صفة من صفات الله، أو تخيل كيفية ذات الله ﷻ.

فاعلم أنه لا يجوز أبداً أن يتخيل كيفية ذات الله، أو كيفية صفة من صفاته، واعلم إنك إذا تخيلت أو حاولت التخيل فإنك لا بد أن تقع في أحد أمرين:

إما التحريف والتعطيل، وإما التمثيل والتشبيه ولهذا يجب عليكم أيها الإخوة أن لا تتخيلوا أي شيء من كيفية صفات الله ﷻ، لا أقول لا تثبتوا المعنى لأن المعنى يجب أن يثبت، لكن تخيل كيفية تلك الصفة لا يمكن أن تتخيلها وعلى أي مقياس تقيس هذا التخيل.

لا يمكن أبداً أن تتخيل كيفية صفات الله ﷻ لا بالتقدير ولا بالقول، يجب عليك أن تتجنب هذا لأنك تحاول ما لا يمكن الوصول إليه بل تحاول ما يخشى أن يوقعك في أمر عظيم لا تستطيع الخلاص منه إلا بسلوك التمثيل

والتعطيل وذلك لأن الرب جلت عظمته لا يمكن لأحد أن يتخيله على كيفية معينة لأنه إن فعل ذلك فقد قفا ما ليس له به علم وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن تخيله على وصف مقارب بمثيل فقد مثل الله والله ﷻ يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وبهذا نعلم أن من أنكر صفات الله أنكرها لأنه تخيل أولاً، ثم قالوا هذا التخيل يلزم منه التمثيل ثم حرفوا، ولهذا نقول إن كل معطل ومنكر للصفات فإنه ممثل سبق تمثيله تعطيله. مثَّل أولاً وعطَّل ثانياً ولو أنه قدر الله حق قدره ولم يتعرض لتخيل صفاته سبحانه ما احتاج إلى هذا الإنكار وإلى هذا التعطيل[١].



(١) مجموع فتاوى ورسائل لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ١٨٥ ـ ١٩٠.

الإيمان بالله ـ وصلة الرحم ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: الإيمان بالله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقول النبي ﷺ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(١).

أولاً: الإيمان بالله:

الإيمان في اللغة: مطلق التصديق.

وفي **الشرع:** تصديق النبي ﷺ بكل ما جاء به مما عُلم من الدين ضرورة(٢)

وفسره النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٣).

وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الإيمان على هذه الأصول، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

(١) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع ١/ ٩٥ رقم (١٦٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٧٧ رقم (١٣٤٥٤): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاجي وهو ثقة اهـ.

(٢) مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص٨.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٨).

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا المفهوم أجمله سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم بقولهم: «الإيمان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ يرحمه الله ـ:

«والمأثور عن أصحابنا وأئمة التابعين، وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية...»(١).

وقال ابن حجر رحمه الله روى اللالكائي بسنده الصحيح عن البخاري قال: «لقيت أكثر من الف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت منهم أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(٢).

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله:

«... والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية...»(٣).

ونظم ابن مشرف في ذلك أبياتاً منها:

إيماننا قول وقصد وعمل ... إن وافق الشرع به نيل الأمل
والزيد والنيقصان للإيمان ... يعرض بالطاعة والعصيان(٤)

وهذا العالم العلامة ابن القيم ـ يرحمه الله ـ يشرح حقيقة الإيمان وكماله فيقول:

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٠٥.
(٢) فتح الباري ١/ ٧٤.
(٣) العقيدة الطحاوية، تعليق سماحته ص٣٦.
(٤) ديوانه ص٩.

«وهو ـ أي الإيمان ـ حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإفراد به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان.

وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله، وبالله التوفيق»[(١)].

وفي القرآن الكريم والسنّة المطهرة نصوص كثيرة تدل على كون الإيمان بالقلب، قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر»[(٢)]

ومن هذه الأدلة قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«نزلت في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١] أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

---

(١) الفوائد ص١٤٠.

(٢) العقيدة الطحاوية هامش ص٣٦.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٧٨.

وقول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسدت الجسد كله ألا وهي القلب**»(١).

فهذه النصوص تدل على أن الإيمان يدخل القلب ويطمئن به، وأن إيمان القلب شرط في صحة الإيمان.

وكون الإيمان باللسان يدل عليه قول النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»(٢).

وقوله ﷺ: «**يخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان**»(٣).

فنطق الشهادتين باللسان شرط لصحة الإيمان وأن قائلها غير مخلد في النار كما هو واضح في هذين الحديثين الشريفين.

وكون الإيمان عملاً بالجوارح يزيد وينقص يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

قال الحافظ ابن كثير ـ يرحمه الله ـ:

«... وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأئمة، بل قد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد. . . »[١].

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤].

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يكون بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة وغيرهما.

والمراد بالإيمان بالله تعالى: التصديق القاطع الجازم بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة دون كل ما سواه.

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «. . . من الإيمان بالله الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه، لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرّهم وعلانيتهم والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها. . . »[٢].

ويتحقق هذا الإيمان بأمور ثلاثة هي:

١ ـ الإيمان بأسماء الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر**»[٣].

وزاد الترمذي بعد قوله: «يحب الوتر»:

---

(١) المصباح المنير على تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٢٥.

(٢) العقيدة الصحيحة ونواقض الإيمان ص٧.

(٣) رواه الإمام أحمد (٧٤٩٣) و(١٠٤٨٦)، والبخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٦)، وابن ماجه (٣٨٦٠).

«هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحكيم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الولي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الوارث الرشيد الصبور».

ثم قال: «حديث غريب.... وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلمه في شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث»(١).

ومعنى الأسماء الحسنى: أحسن الأسماء؛ لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك.

والحسنى مؤنث أحسن، وجمع التكثير لغير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة(٢).

وفي قوله ﷺ: «**من أحصاها**» أقوال منها: مَنْ حفظها، مَنْ عرف معانيها وآمن بها، مَنْ قرأ القرآن حتى يختمه فإنه يستوفي هذه الأسماء في تلاوته(٣).

وقد أَلَّفَ عدد من العلماء مؤلفات شرحوا فيها هذه الأسماء، جاء في كتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون:

---

(١) شرح الترمذي لابن العربي ١/ ١٣ وما بعدها.
(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٣٠.
(٣) انظر في هذا: بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٦٤، وتلخيص الحبير لابن حجر ٤/ ١٧٤.

«شرح الأسماء الحسنى لجماعة من أهل العلم منهم: الأزهري، والإقليشي، والبواسي، والنسفي، والبقالي، والبيضاوي، وفخر الدين، والقشيري، وغيرهم».

٢ ـ الإيمان بصفات الله تعالى:

مثل: الوجود والقدم والوحدانية والبقاء والقدرة والإرادة..... بالكيفية التي أثبتها الله لنفسه.

قال سماحة شيخنا ـ ابن باز ـ يرحمه الله: «... الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته وإثباتها لله على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]. وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾» [الأعراف: ١٨٠][(١)].

٣ ـ الإيمان بأفعال الله تعالى:

مثل: الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة...

قال شيخنا محمد صالح العثيمين رحمه الله: «فالله وحده هو الخالق ولا خالق سواه قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] فالله تعالى وحده هو الخالق: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وخلقه يشمل ما يقع من مفعولات خلقه أيضاً...»[(٢)].

---

(١) العقيدة الطحاوية ص٦، ٧.

(٢) التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة ص٤.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «... فنؤمن بربوبية الله تعالى أي بأنه الرب الخالق الملك المدبر لجميع الأمور...»(١).

ويقوم هذا الإيمان على أسس أهمها:

١ ـ الكفر بالطاغوت:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**»(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحاصله ـ أي التوحيد ـ هو البراء من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وهو معنى لا إله إلا الله...»(٣).

وفي الآية الأولى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن﴾... قدم الحق سبحانه: الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأنه فعل العبد وامتثاله لما كلف به، فيجب أولاً أن يخلع ثوب الشرك ويكفر بالطاغوت ثم يدخل الإيمان في قلبه نقياً طاهراً.

وفي الآية الثانية: والحديث قدم الإيمان بالله على الكفر بالطاغوت؛ لأن دعوة الرسل تتجه إلى المقصد الأهم وهو العبادة الخالصة ثم بيان شرطها وهو الكفر بالطاغوت وغيره.

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ص٦.
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.
(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص١٣٩.

٢ ـ الإيمان بالغيب:

والأدلة عليه كثيرة منها:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وقد وضّح ابن كثير المراد به فقال: «... قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أبي عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت والبعث، فهذا غيب كله، وكذا قال قتادة بن دعامة»[١].

٣ ـ امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه:

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تبين هذا الأساس وتوضحه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨] والسلم: الإسلام، والمراد بكافة: جميع شرائع الإسلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٢.
(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٥٣.

و﴿يُحْيِيكُمْ﴾ يصلحكم و﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ قال السدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه[١].

وقد حذر الله سبحانه من التفريط في الطاعة وعدم الالتزام بالتكليف فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن السنّة قوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

٤ ـ الإخلاص لله في العبادة:

ومعناه: أن يقصد العبد في كل عبادته وجه الله تعالى، فلا يشرك مع ربه أحداً، ولا يصرف شيئاً منها لغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذا ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ[٣].

وبيّن النبي ﷺ أن إخلاص العبادة لله وحده حق له سبحانه على عباده. فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق**

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٣٢.
(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٣) المصباح المنير ص٨١٨.

العباد على الله أن لا يعذب من يشرك به شيئاً»(١).

٥ ـ صدق المتابعة للنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن حقق الإيمان بالله بالكيفية التي أرادها الله سبحانه، ووضحها لنا نبينا ﷺ جنى ثمرات الإيمان والتي منها:

- **محبة الله، وتعظيمه، وطاعته، والسعادة في الدارين.**

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «... فالإيمان بالله وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع...»(٣).

ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) المصباح المنير ص١٠٨٢.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة ص٣٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

أي: بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده حصلت له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين من الثناء والدعاء له حياً وميتاً والاقتداء به، وحصول الإمامة في الدين[١].

• **ومن ثمرات الإيمان أيضاً: حصول البشارة بكرامة الله، والأمن التام من جميع الوجوه:**

لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي الأمن يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة: أمنٌ من سخط الله وعقابه، وأمنٌ من جميع المكاره والشرور وله البشارة الكاملة بكل خير...

ويوضح هذه البشارة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢][٢].

• **ومنها: أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة.**

لقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق**

(١) انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٣) العقيدة الإسلامية ص١٢٨.

(٢) المجموعة الكاملة (٣) العقيدة الإسلامية ص١٣٠.

حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن»[(١)].

فالإيمان يعصم صاحبه من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فما أحوج الأمة إلى الإيمان الكامل في هذا الزمان الذي تكالب فيه الأعداء عليها، وسعوا جاهدين إلى نشر الرذائل بكل الوسائل، مستغلين تقدمهم العلمي في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

لهذا كان الإيمان بالله من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر بذلك الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ.

ثانياً: صلة الرحم:

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلة الرحم لقوله ﷺ: «**ثم صلة الرحم**» والرحم: رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة[(٢)].

ويطلق الرحم على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء.

وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وإن أساءوا[(٣)].

وواصل الرحم يصله الله، جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**الرحم متعلقة بالعرش تقول مَنْ وصلني وصله الله، ومَنْ قطعني قطعه الله**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك،**

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١٣٦، ومسلم ١/ ٥٤، والترمذي ١٠/ ٩١.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٩١.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٧٢٨.

قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: «... وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الرحم خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل المال»[(١)].

وصلة الرحم من علامات الإيمان، لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(٢)].

كما أنها سبب بسط الرزق وطول العمر، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»[(٣)].

والزيادة في العمر قد تكون معنوية وذلك بأن يبارك الله فيه فيهب لصاحبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، وعزيمة في الرأي، ويوفقه لأعمال الخير والبر والطاعة، فتكون حياته حافلة بالأعمال الصالحة.

وقد تكون الزيادة في عمر الواصل حقيقية فيطول عمره ويمتد أجله، يوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول: «... والأجل أجلان: مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**». فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزاد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»[(٤)].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٢٨.
(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) و(٦١٣٦)، ومسلم (٤٧)، والإمام أحمد (٦٦٢١).
(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ٥١٧.

وصلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنة: فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[١].

هذا بالإضافة إلى آثار صلة الرحم الحميدة على الفرد والجماعة من نشر المودة والألفة والمحبة بين ذوي الأرحام حتى تصير الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فما أحوج أمتنا في هذا الزمن إلى الاتحاد والترابط.

فَصِلْ أخي المسلم أرحامك وإن قطعوك، وأعطهم وإن حرموك، وبرّهم وإن جفوك، وأحلم عليهم وإن جهلوا عليك، تفز برضى الله في الدارين، وحسابهم على الله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، قال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دامت على ذلك**»[٢] ومعنى تسفهم: تطعمهم، والمل: الرماد الحار.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث: «وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه».

وقيل معناه: أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقِّرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم، كمن يسف الملّ.

وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم. والله أعلم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر: المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جداً

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨)، والإمام أحمد (٧٩٧٩).

إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم	قدحتُ لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا	وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا[١]

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

رسولنا ﷺ خير الرسل؛ لأن الله نسخ برسالته كل الرسالات. وأمتنا خير الأمم؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعروف: اسم لكل فعل يُعْرَف بالعقل أو الشرع حُسْنَه.

والمنكر: ما ينكر بالعقل أو الشرع[٢]

وقد أمر الله المسلمين بهما وحثهم عليهما، فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال الحافظ ابن كثير ـ يرحمه الله ـ: «﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٣].

وهو واجب على كل فرد من أفراد هذه الأمة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٤].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرح هذا الحديث: «... وأما قوله:

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٣٣١.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٢٣٧.

(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧) (١٧٩).

«**فليغيره**» فهو أمر إيجابي بإجماع الأمة، وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين»(١).

ويؤكد هذا ويقوِّيه ما يرويه حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٢).

وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان أنبيائهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما يستقيم به أمره، وما تصلح به دنياه، وتعمر به أخراه، قد ألزمه بهذا الأمر.

ولما تهاون المسلمون في هذه الشعيرة انتشر في كثير من بلادهم الفسق والفجور، وأصبح الفاجر الفاسق المجاهر بالمعصية المتباهي بها الداعي إليها عزيزاً كريماً، والمؤمن المتمسك بدينه ذليلاً إرهابياً أصولياً حقيراً، فلا حول ولا قول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهنا نسجل بكل إعزاز وفخر أن بلاد الحرمين الشريفين (المملكة العربية السعودية) متفردة من بين البلاد الإسلامية بإحياء هذه الشعيرة، فلا توجد هيئة منظمة تنظيماً دقيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا فيها، ولا يوجد رجال للحسبة يجوبون البلاد من أقصاها إلى أقصاها آمرين بالمعروف ناهين

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٨٢.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩) وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد (٢٣٦٩٠)، والطبراني في الكبير ١٠/١٤٦ رقم (١٠٢٦٧)، والبيهقي في الشعب (٧٥٥٦) وحسنه الألباني.

عن المنكر، إلا فيها، وهذا مما أغاظ أعداء الإسلام في كل مكان كافرين ومنافقين فتعالت أصواتهم مطالبين بالقضاء على هذه الهيئة المباركة، أو تحجيم دورها وجعلها شكلاً فقط.

نسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم وأن يشغلهم بأنفسهم عن المسلمين.

كما نسأله سبحانه أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه وأن يحفظ لنا هذه الفئة المؤمنة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، والتي كانت سبباً بعد فضل الله في حماية بلاد الحرمين الشريفين من شرور كثيرة وآثام عديدة.

ومن هنا ندرك لماذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أحب الأعمال إلى الله كما قال سيدنا رسول الله ﷺ؟



الحنيفية السمحة

من أحب الأعمال إلى الله الحنيفية السمحة لقول النبي ﷺ: «**أحبّ الأعمال إلى الله تعالى: الحنيفية السمحة**»(١).

الحَنَفُ: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة، وضده الجنف: وهو الميل عن الاستقامة إلى الضلال.

والحنيف: هو المائل إلى الاستقامة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. وتحنَّفَ فلان: أي تحرى طريق الاستقامة.

وسمَّتْ العرب كل من حج أو اختتن حنيفاً تنبيهاً أنه على دين إبراهيم عليه السلام.

والأحنف: مَنْ في رِجله ميلٌ.

قيل: سُمِّي بذلك تفاؤلاً، وقيل: بل استعير للميل المجرَّد(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٠٧) بلفظ: «قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: **الحنيفية السمحة**». ورواه عبد بن حميد في مسنده ص (١٩٩) رقم (٥٦٩).
وقال ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٥٥ رقم (٢٠٣): رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير والبزار وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع اهـ.
وقد بوَّب البخاري في كتاب الإيمان (٢٩) حديث رقم (٣٩)، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»، وحسنه ابن حجر في الفتح ١/ ٩٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٣٣ ـ ١٣٤.

والحنيفية: هي الملَّة المائلة عن الشرك المبنية على الإخلاص لله ﷻ[١] وهي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«... الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين»[٢].

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣٧) هامش (٤).

(٢) ثلاثة الأصول ٣٧.

مفهوم العبادة

وللعبادة مفهومان:

الأول: عام وهو التذلل لله محبه وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

والثاني: خاص وهو كونها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف والخشية والتوكل والصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الله(١).

وقد خلق الله الخلق لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأمر الله بها فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وبعث الله بها الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبيّن رسولنا ﷺ أنها حق الله على عباده، وذلك فيما يرويه معاذ بن جبل حيث يقول: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**»(٢).

---

(١) انظر السابق ص٣٧.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

أنواع العبادة

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «... واعلم أن العبادة نوعان: عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكونيّ، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعيّ، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاء به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان؛ لأنه بغير فعله... بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه»[(١)].

ولا يقبل الله العبادة من عباده إلا إذا اقترنت بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهذان ركنا العمل المتقبل: لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ...»[(٢)].

وللعلماء في الإخلاص أقوال كثيرة منها:[(٣)]

(١) شرح ثلاثة الأصول ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٨١٨.

(٣) انظر: هذه الأقوال في بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩، ومختصر شعب الإيمان ص١٦٣، وشرح ثلاثة الأصول ص٣٧.

- أن يراد بالعمل وجه الله تعالى لا غيره.
- إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.
- تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.
- أن يقصد المرؤ بعبادته وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً.



ثمرات الإخلاص

وللإخلاص ثمرات كثيرة أهمها:

* نصر الأمة:

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»(١).

وأمتنا ـ أخي القارئ الكريم ـ تعيش اليوم حالة من الضعف والهزيمة فهي في حاجة إلى دعائك وصلاتك وإخلاصك فلا تبخل عليها بما تستطيعه ولك الأجر والمثوبة ـ إن شاء الله ـ.

* النجاة من عذاب الآخرة والفوز بالجنة:

لقوله تعالى في حق طائفة من المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٨].

فعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له هما ملة إبراهيم عليه السلام ـ وهي الحنيفية السمحة ـ وقد أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ أن يتبعها، فقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٦٥.

ووصف الذين يرغبون عنها بقوله ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٣٠].

لهذا كانت الحنيفية السمحة من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما قال النبي محمد ﷺ.



الصلاة وبر الوالدين والجهاد

من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى: الصلاة وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله. فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحبّ إلى الله تعالى؟

قال: «**الصلاة على وقتها**».

قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**».

قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

أولاً: الصلاة على وقتها:

- **الصلاة لغة:**

للصلاة في اللغة معان كثيرة، أهمها:

الدعاء، يقال: صلّيت عليه، أي دعوت له، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، وإن كان صائماً فليصلِّ**»(٢) أي: ليدع لأهله(٣)

ومنه ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال ابن كثير ﵀: «. . . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى ﵁ قال: كان النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وانظر أيضاً في: رياض الصالحين ص١٥٦، وفتح الباري لابن حجر ٢/ ١٢.

(٢) رواه مسلم ٢/ ١٠٥٤.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٨٥.

إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: **اللهم صل على آل أبي أوفى**»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

جاء في تفسير ابن كثير عقب هذه الآية: «قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»[٢].

وقال بعضهم: أصل الصلاة من الصِّلاء، ومعنى صلَّى الرجل أي أزال عن نفسه بهذه العبادة الصِّلاء الذي هو نار الله الموقودة[٣].

وقيل: أصلها التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه[٤].

● **وشرعاً:**

وأما تعريفها في الشرع فهي: «التعبد لله بأقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم»[٥].

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «... الصلاة عبادة ذات أقوال وأفعال أولها التكبير وآخرها التسليم»[٦].

وقد أمر الله المسلمين بالمحافظة عليها وإقامتها في أوقاتها فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٩].

فلا يجوز تأخيرها عن وقتها إلا لعذر قدره الشرع من نوم أو نسيان وما

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٨٩.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١١٠٢.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٨٥.
(٤) لسان العرب لابن منظور ١٤/٤٦٦.
(٥) انظر: الروض المربع ١/١١٨.
(٦) رسائل في الطهارة والصلاة ص٢٨.

يلحق بهما من إغماء وغيره قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي مفروضاً، وقال: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج»(١)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول:

«... فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لجنابة ولا لحدث ولا لنجاسة ولا غير ذلك، بل يصلي في الوقت بحسب حاله؛ فإن كان محدثاً وعدم الماء أو خاف الضرر باستعماله، تيمم وصلى، وكذلك الجنب يتيمم ويصلي إذا عدم الماء أو خاف الضرر باستعماله لمرض أو لبرد، وكذلك العريان يصلي في الوقت عرياناً، ولا يؤخر الصلاة حتى يصلي بعد الوقت في ثيابه، وكذلك إذا كان عليه نجاسة لا يقدر أن يزيلها فيصلي في الوقت بحسب حاله، وهكذا المريض يصلي على حسب حاله في الوقت... وهذا كله لأن فعل الصلاة في وقتها فرض والوقت أوكد فرائض الصلاة»(٢).

وقال ـ أيضاً ـ: «فالمريض له أن يؤخر الصوم باتفاق المسلمين، وليس له أن يؤخر الصلاة باتفاق المسلمين»(٣).

وجاء الأمر في القرآن الكريم بإقامة الصلاة وليس بالصلاة فقط:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٢١.
(٢) الفتاوى ٢٢/ ٣٠.
(٣) الفتاوى ٢٢/ ٣١.

وقال: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٢﴾ [الأنعام: ٧٢].

وقال: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال: ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأكثر من ذلك فإنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر الصلاة - غالباً - إلا مقترنة بلفظ الإقامة أو ما اشتق منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

وإذا أطلق لفظ الإقامة في القرآن الكريم فإنه يراد به الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١، ٢].

قال ابن كثير ـ يرحمه الله ـ: «... يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ... وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله به من قيام الليل...»(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]. قال الضحاك رحمه الله: «أي إلى الصلاة»(٢). وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾ [الشعراء: ٢١٨]. ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

المراد بإقامة الصلاة:

والمراد بإقامتها: إتمام قراءتها وإتمام ركوعها، وإتمام سجودها، وحضور القلب فيها وكل ذلك في خشوع وخضوع لله رب العالمين.

قال الضحاك رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما «إقامة الصلاة إتمام الركوع والتلاوة والخشوع والإقبال عليها».

وقال قتادة رحمه الله: «إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها»(٣).

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عمّا سواها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون الصلاة راحة لبدنه، وقرة لعينه، وطمأنينة لفؤاده وسكينة لقلبه كما قال ﷺ: «**حُبِّبَ إليّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٤).

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٤٥٤.
(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٣٢٥.
(٣) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٣.
(٤) رواه أحمد (١٩٩١٣)، والنسائي ٧/ ٦١، ٦٢.

وكثير من الناس ـ إلا من رحم الله ـ لا يحققون الصلاة بهذا المفهوم فإذا دخل المرؤ في الصلاة أقبل عليه الشيطان بخيله ورجله وأخذ يوسوس له، ويصرفه عن الصلاة ويشغله بأمور الدنيا، ويجعله يكثر من الحركة والالتفات حتى أنه لم يعقل من صلاته شيئاً، فالمصلون كثير والمقيمون قليل، وكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الحاج قليل والركب كثير».

وهذا أمر خطير يئن منه كثير من المصلين، ونحن نوصي أنفسنا ونوصيك أيها القارئ الكريم الحبيب بأن يجاهد كل منا نفسه حتى يتخلص من هذا الأمر، ويحقق إقامة الصلاة كي يتحقق لنا جميعاً الفلاح والفوز والسعادة في الدارين. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

ولأبي حامد الغزالي رحمه الله كلام طيب يساعد على الخشوع في الصلاة فاقرأه ـ يرحمك الله ـ بتدبر وإمعان، يقول:

«. . .اعلم أن الصلاة إنما هي ذكر وقراءة ومناجاة ومحاورة، وذلك لا يكون إلا بحضور القلب، وتمامه يحصل بالتفهيم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، وعلى الجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور، فإذا سمعت المؤذن ينبغي أن تستحضر القلبَ هول النداء يوم القيامة، وتتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فإن وجدت قلبك مملوءاً بالفرح والاستبشار ومشغوفاً إلى الابتدار فسيكون ذلك في ذلك النداء، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أرحنا بها يا بلال**» إذ كانت قرة عينه في الصلاة.

فالطهارة طهارة السرِّ عما سوى الله، فبها تتم هذه الصلاة، فإنك إن سترت العورة بالثياب فما الذي يستر عورتك في الباطن عن الله؟

فتأدب بين يدي الله، واعلم أنه يطلع على سرِّك فتواضع بظاهرك وباطنك وانظر لو قمت بين يدي الملك كيف تكون؟

ولا نسبة بينه تعالى وبين الملوك، والكل عبيده، فإذا فعلت ذلك فلا تكون كاذباً في قولك: «وجهت وجهي» وفي قولك: «حنيفاً مسلماً وما أنا من

المشركين» وقولك: «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين».

فانظر فلا ينبغي أن يكون هذا كذباً فيكون سبب هلاكك، وينبغي أن تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك، وتعلم ذلك بصغارك، والله برحمته أهَّلك لمناجاته فلا أقلّ من التأدب والحضور بقلبك بين يديه. قال ﷺ: «**إن الله يُقبل على المصلي ما لم يلتفت**» فاحفظ ظاهرك وباطنك عن الالتفات قال عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد ليصلي ولا يكتب له من صلاته لا نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها**».

وقال بعضهم: إن العبد يسجد السجدة، وعنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا، قيل: وكيف ذلك؟

قال: يكون ساجداً عند الله تعالى وقلبه مُصْغٍ إلى هوى، ومشاهد لباطل قد استولى عليه...»[1].

فاسْتِحْضَارُ القلب، والتدبرُ في القراءة، وَتَذَكّرُ عظمة الله وكبريائه، يساعد على ترك الانشغال في الصلاة وترك الالتفات وترك الحركة فيها، ويجلب الخشوع والخضوع والطمأنينة في الصلاة.



(١) المرشد الأمين من إحياء علوم الدين ص٣٤، ٣٥.

من فوائد الصلاة

للصلاة فوائد كثيرة، وفضائل جليلة، نذكر منها ـ بإيجاز واختصار:

١ ـ النهي عن الفحشاء والمنكر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: «**إنه سينهاه ما تقول**»[١].

وقال أبو العالية: «إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله؛ فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله يأمره وينهاه»[٢].

وقال ابن عوف الأنصاري: «إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر»[٣].

٢ ـ البسطة في الرزق والزيادة في الفضل:

لقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٤٤٧.
(٢) المصباح المنير في تفسير ابن كثير ص١٠٤٢.
(٣) السابق ص١٠٤٢.

ولقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

٣ ـ مغفرة الذنوب وتكفير السيئات:

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة: ١٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءهن وجاء بهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، وإن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»(١).

ولقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٢).

وحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»(٣).

وقال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) صحيح مسلم ١/٢٠٩.

(٣) مختصر شعب الإيمان ص٥٥.

(٤) صحيح البخاري ١/١٣٤، وصحيح مسلم ١/٤٦٢.

وهذا يدعوك أخي الحبيب إلى المحافظة على الصلاة في أوقاتها بخشوع وخضوع لله رب العالمين، حتى يغفر الله لك ذنبك، ويمحو خطأك، ويرفع عنك وزرك، وما أحوجنا لهذا فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

٤ ـ الفوز بالجنة:

لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٧].

وفي الجنة نعيم مقيم ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقد وصف ابن القيم رحمه الله بعض نعيمها في نونيته المشهورة فقال:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً ... لو صالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت ... بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعلت ... السعي منك لها على الأجفان
ولو وصفت طريق مسكنها فإن ... رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان[1]

ثم قال:

هي جنة طابت وطاب نعيمها ... فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل ... عسكر الإيمان والقرآن

(١) شرح القصيدة النونية ٢/٣٠١.

فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران[١]

نسأل الله أن يجعلنا وإياك والمسلمين من الذين يقال لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

ولهذا وغيره الكثير كانت الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما قال سيدنا محمد ﷺ.

ثانياً: بر الوالدين:

من مبادئ الإسلام السامية «مبادلة الإحسان بالإحسان» قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

انطلاقاً من هذا المبدأ الكريم حثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الأولاد على الوفاء لوالديهم والاعتراف بفضلهم والبر بهم ورغبت في ذلك.

وبر الوالدين معناه التوسع في الإحسان إليهما وذلك بطاعتهما وإكرامهما والتواضع لهما والشفقة عليهما والتلطف بهما بأن يقول لهما قولاً حسناً وكلاماً طيباً مقروناً بالاحترام والتعظيم.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أتى رجل النبي ﷺ ومعه شيخ، فقال النبي ﷺ: «**من معك؟** فقال: أبي، قال: **لا تمش أمامه، ولا تقعد قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له**[٢]»[٣].

---

(١) شرح القصيدة النونية ٢/ ٣٠٥.

(٢) معنى لا تستسب له: لا تكن سبباً في سبه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٣٨ رقم الحديث (٢٠١٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص٤٤، والدارقطني في العلل ٥/ ٨٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص٣٩٥ من حديث أبي هريرة، وضَعَّف إسناده محقق الكتاب بشير محمد عيون، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٥ رقم (١٣٣٩٦) بعد ذكره للحديث: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثقه، ومحمد بن عروة بن البرند لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٤٦ رقم (٣٢).

وقد قرن الله سبحانه برَّ الوالدين بعبادته لبيان حقهما على الولد إذ أنهما السبب الظاهر لوجوده في الحياة الدنيا قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

كما قرن سبحانه شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تُقْبَل منها واحدة بغير قرينتها.

إحداها: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾ [المائدة: ٩٢]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فمن صلى ولم يزَّكِ لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه[١]

والحق تبارك وتعالى أمر الأولاد بالبر بوالديهم، والرفق بهم، وخفض الجناح لهم، ولين القول والمؤانسة، والرحمة والملاطفة، والدعاء لهم والصدقة عنهم، وهذه آيات الإسراء تحدد النهج الذي يجب اتباعه في معاملة الوالدين ومعاشرتهما والتوصية بهما وخصوصاً حين يضعفان ويمرضان ويكبران ويحتاجان إلى العناية والخدمة.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

---

(١) كتاب الكبائر ص١٤٣.

فلو تدبر الأولاد هذه الآيات المحكمات وفهموا معانيها وعلموا أنهم سيجزون في كبرهم بما جازوا به آباءهم وأمهاتهم لما عقوهم ونهروهم.

والحياة دين ووفاء فمن برَّ والديه برّه أبناؤه قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد عليّ الحوض**»[١].

واعلموا أيها الأبناء أن الله قد جعل لكل من الوالدين باباً من الجنة يتفتّح بالخير على الولد كلما خرج يسعى لهما، وتنزل عليه رحمة الله ما دام حريصاً على إرضائهما، فإن أغضب أحدهما غضب الله عليه وأغلق دونه باب الخير وإن كان الولد مظلوماً[٢].

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتبساً إلا فتح الله له بابين من الجنة وإن كان واحد فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه**»[٣].



(١) القضاء يستعمل في اللغة على وجوه: فيكون بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر وألزم وأوجب، ويكون بمعنى الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] يعني: خلقهن، ويكون بمعنى الحكم كقوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي: احكم ما أنت تحكم، ويكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] أي: فرغ ويكون بمعنى الإرادة كقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: أراد. انظر المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦.

(٢) الترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٣/ ١٣٧.

(٣) انظر: بر الوالدين للأستاذ عبد الرؤوف الحناوي ص٢٤.

برّ الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله

برّ الوالدين فرض عين على أولادهما، والجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ـ إلا إذا غزى العدو بلاد المسلمين واغتصب أرضهم فإنه يصبح فرض عين، وفي هذه الحالة لا يجب على الولد أن يستأذنهما.

وفرض العين مقدم على الكفاية، لذا قُدِّم برّ الوالدين على الجهاد، والأحاديث في ذلك كثيرة تذكر منها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحي والداك؟** قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**»[1].

فمع عظم فضل الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة فقد قدم الرسول ﷺ برّ الوالدين وطاعتهما عليه حيث قال للرجل: «**ففيهما فجاهد**» أي: ابذل غاية جهدك في خدمتهما، واعمل أقصى ما تستطيع لإرضائهما.

وعنه رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال ـ أي: النبي ﷺ ـ: «**فهل من والديك أحد حيّ؟ قال**: ـ أي الرجل ـ: نعم، بل كلاهما قال: **أفتبتغي الأجر من الله؟** قال: نعم، قال: **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[2].

---

(١) الأدب المفرد ص١٥.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩)، والإمام أحمد (٦٥٤٤)، والنسائي (٣١٠٣).

ما أحسن قول النبي ﷺ: «**فأحسن صحبتهما**»! ففيه حث على برهما وطاعتهما والتلطف بهما وخفض الجناح لهما وهذا يعدل أجر المجاهد في سبيل الله.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: هاجر إلى رسول الله ﷺ رجل من اليمن، فقال له رسول الله ﷺ: «**هجرت الشرك ولكنه الجهاد، هل باليمن أبواك؟** قال: نعم، قال: **أذنا لك؟** قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **ارجع إلى أبويك فإن فعلا وإلا فبرهما**»(١).

ومقتضى هذا الحديث أنه لا يجوز للأبناء أن يخرجوا للجهاد ولا للسفر ولا لغيرهما إلا بإذن الآباء والأمهات.

وهنا نوجه دعوة للشباب الذين غُرِّر بهم وخُشِيت عقولهم بآراء منحرفة، وأفكار غريبة، أن يقرءوا هذا الحديث ويعملوا به ويستأذنوا آباءهم وأمهاتهم قبل أن يخرجوا من بيوتهم لارتكاب أعمال التخريب والتفجير التي روّعت الآمنين وأفزعت المواطنين والمقيمين، وأزهقت أرواحاً، وأراقت دماء، وأهدرت أموالاً، وخربت دياراً.

فإن آباءهم سوف يبينون لهم الطريق ويهدونهم سواء السبيل، ويوضحون لهم الحق من الباطل، ويأخذون على أيديهم حماية لأنفسهم أولاً ثم لوطنهم ثانياً.

فأول ذنب ارتكبه هؤلاء هو عقوق الوالدين، والعاق في النار، فعن عليَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحزن والديه فقد عقهما**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بكاء الوالدين من العقوق**»(٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يُقرّ الخبث في أهله**»(٤).

وإذا كانت الجنة محرمة عليه فإن النار هي مصيره وبئس المصير.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/ ١٣٧.

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/ ١٣٧.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٣١.

برّ الوالدين مقدم على رضى الزوجة

حفظ الإسلام للزوجة حقوقها وصان لها كرامتها وأوجب على الرجل الإنفاق عليها، وأمره بحسن معاشرتها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**»[(١)]»[(٢)].

ومع هذا فقد قُدِّم برّ الوالدين على رضى الزوجة لما لهما من فضل على الولد، قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : كانت تحتي امرأة، كنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمرُ النبي ﷺ فذكر ذلك له،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥٣٧٢) و(٦١١٣) وقال محقق الموسوعة الحديثية ١٠/ ٢٦٩ رقم (٦١١٣): حديث صحيح، وهذا سند ضعيف لجهالة راويه عن سالم.اهـ. والبزار (١٨٧٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ١/ ٥٨٥ رقم (٣٠٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٠) رقم (١٣٤٣١): رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٦١٩) وصححه محقق الموسوعة الحديثية ٤٠/ ١٤٤ حيث قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، والبيهقي في السنن ١٠/ ١٨، وابن حيان في صحيحه (٤٦٩١) وصححه محقق الكتاب: شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣٢٥١).

فقال النبي ﷺ: «**طَلِّقْهَا**»[١].

ففي ذلك تقديم لبرّ الوالدين على الزوجة في أمر خطير ألا وهو طلاقها، وإنهاء حياتها معه، وإخراجها من عصمته، مع أنه يحبها ويريدها، وعلى العكس من ذلك سأذكر لك أيها القارئ الكريم قصة عجيبة من عصرنا الحاضر تبكي العين، وتُدمي الفؤاد، وتحزن القلب لما فيها من تفضيل للزوجة على الأم.

وهذه القصة رواها الشيخ علي القرني عن أحد بائعي المجوهرات في محاضرة له بعنوان «كل يغدو».

يقول البائع للشيخ: «جاءني في أحد الأيام الأخيرة من شهر رمضان رجل وزوجته وأمه وابنه، وكانت الأم على حياء ومعها ابن هذا الرجل، فوقفت به في جانب المحل، وجاءت زوجته وأخذت من الذهب ما يعادل العشرين ألف ريال، ثم تقدمت الأم وأخذت خاتماً واحداً من الذهب قيمته مائة ريال وعندما جاء الابن ليدفع الحساب دفع العشرين ألف ريال، فقلت: بقي مائة ريال، فقال الابن: لأي شيء؟ فقلت: لهذا الخاتم الذي أخذته أمك، فقال الابن: العجائز ليس لهن ذهب، وأخذ الخاتم من يدها ورماه على الطاولة، فما كان من الأم إلا أن تجرعت غصصها وأخذت ابنه بين يديها وخرجت إلى السيارة، فأنبته زوجته قائلة: لماذا فعلت ذلك؟ ستخرج أمك من عندنا، من سيمسك ابننا بعد ذلك؟ فأخذ الخاتم وذهب به إلى أمه، فقالت الأم: والله لن ألبس ذهباً ما حييت أبداً، ما كنت أريد سوى هذا الخاتم لأفرح به يوم العيد مع الناس، فقتلت هذه الفرحة في نفسي فسامحك الله»[٢].

هذا الولد أبكى بفعلته هذه قلب أمه، ولو أدرك ما يحل به من الخسران والندامة في الدنيا والآخرة لأسعدها قبل أن يسعد زوجته ويرضيهما.

وقد ذكرتُ هذه القصة بعد قصة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليتبين لنا الفرق بين البر والعقوق، ولأخذ العبرة والعظة، فالسعيد من سعد بغيره والشقي من شقي بنفسه.

---

(١) ابن كثير ص٢٨٢.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، رياض الصالحين ص١٤٩.

برّ الوالدين بعد موتهما

من الوفاء أن لا ينسى الإنسان المعروف ولا يجحد الفضل، وفضل الآباء على الأبناء عظيم ولذلك لم تكتف آيات الإسراء بالأمر بالإحسان إلى الوالدين في الدنيا فحسب بل بعد موتهما أيضاً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤][(١)].

وقد بينت السنّة المطهرة الطرق التي يستطيع الإنسان أن يبرّ والديه بعد موتهما من خلالها، حدّث مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرّهما به؟ قال: «**نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**رفع للميت بعد موته درجته فيقول: أي ربي أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك**»[(٣)].

فاستغفر أيها القارئ لوالديك أو لمن مات منهما وردد قائلاً: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وأكثر من الدعاء لهما فلقد انقطع عملهما من الدنيا إلا من ثلاثة أنت واحد منها، قال سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا**

---

(١) انظر: كتاب بر الوالدين وتحريم عقوقهما للشيخ غالب بن سليمان الحربي ص٤٩، ٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦١٥٦)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص٣٥) وضعفه الألباني.

(٣) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢٠، ٢١.

من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[١].

فلا تبخل أُخيّ على والديك بعد موتهما بالدعاء لهما والاستغفار، واستمطار الرحمة عليهما والرضوان، وتحرى أوقات الاستجابة والغفران.

ثم عليك أيضاً إنفاذ وصيتهما والصدقة عنهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قَال: «**نَعَمْ**»[٢].

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: «**قلت يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قلت: فأي صدقة أفضل؟ قال: سقي الماء**»[٣].

ولا يتوقف البر بهما عند الدعاء والاستغفار والصدقة بل يمتدّ أيضاً ليشمل أموراً أخرى كثيرة منها:

ـ **قضاء النذر عنهما** فلقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة استفتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: «**اقضه عنها**»[٤].

ومنها **قضاء الصوم عنهما،** فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من مات وعليه صوم صام عنه وليه**»[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**نعم فدين الله أحق أن يقضى**»[٦].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢١.

(٢) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢١.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٨٢٦)، والنسائي (٣٦٦٤)، وأبو داود (١٦٨١)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣٧) وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦١) و(٦٦٩٨) و(٦٩٥٩)، ومسلم (١٦٣٨)، والإمام أحمد في مسنده (١٨٩٣)، والنسائي (٣٦٥٧)، وأبو داود (٣٣٠٧)، والترمذي (١٥٤٦)، وابن ماجه (٢١٣٢).

(٥) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأبو داود (٢٤٠٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨).

ومن ذلك أيضاً الحج عنهما فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفحج عنها؟ قال: «**حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا دين الله، فالله أحق بالوفاء**»(١)

ـ **ومن ذلك صلة أصدقائهما**: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه**»(٢).

فمن قصر في بر والديه في حياتهما، وندم على ما فرط في حقهما وخاف عاقبة العقوق، فلا ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، وليعلم أن باب الإحسان إليهما مفتوح على مصراعيه، فليدخل منه داعياً ومستغفراً لهما، وصائماً عنهما وحاجاً لهما وواصلاً أهل ودّهما، وإنما يتقبل الله من المتقين.



---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢).

(٢) الأدب المفرد، باب (٢٠) ص٢١، ٢٢.

ثمرات بر الوالدين

لبرّ الوالدين ثمرات كثيرة منها:

* تفريج الكروب وذهاب الهموم والأحزان[١]:

قال رسول الله ﷺ: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله فرجة فرأوا منها السماء؛ وقال الثاني: اللهم إنه كان لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمئة دينار، فسعيت حتى جمعت مئة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها، ففرج لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل**

(١) بر الوالدين ص٣٠.

أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم»(١).

فبر الوالدين كما جاء على لسان الصادق المصدوق ـ في هذه القصة ـ المبلغ عن ربه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: سيدنا محمد ﷺ سبب في حلول الفرج إذا بلغت الشدة غايتها، وسبب في تيسير العسر إذا استحكمت عقده.

* الزيادة في العمر والبركة فيه:

قال رسول الله ﷺ: «**من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره**»(٢).

وقال أيضاً: «**وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»(٣).

فما أحلى الحياة إذا طال فيها العمر، وكثر فيها المال الحلال؛ وما أهنأ العيش إذا رافقته طمأنينة النفس وراحة الضمير ومحبة الناس.

ولك أُخيَّ أن تتأمل معي هذا الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: «**من سرّه أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه**»(٤).

* إجابة الدعوة:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي**

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٧.
(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٧.
(٣) الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٧.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٣٨٤٧) قال محقق المسند: الموسوعة الحديثية ٢١/ ٣١٩ رقم الحديث (١٣٨١١): حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ميمون بن سياه ومن دونه ثقات اهـ.

عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك الله فافعل»(١).

فلأويس بن عامر فضل كبير، ومنزلة عالية عند الله تعالى، حتى أنه لو أقسم على الله لأبر الله قسمه، وذلك لبرّه بأمه وإكرامه لها.

* مغفرة الذنوب وقبول التوبة:

روي عن يحيى بن أبي بكر، قال: لما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر على رسول الله ﷺ وأسلما، قال: «**ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟** قالوا: تركناها في أهلها، قال: **فإنه قد غُفِر لها**، قالوا: بما يا رسول الله؟ قال: **كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءها النذير، إن العدو يريد أن يغير عليكم، فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها ثم ألزقت بطنها ببطن أمها، وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت»**(٢).

* قبول الأعمال ودخول الجنة:

في سورة الأحقاف آيات تحدثت عن صنف من الناس عرف حق الله تعالى عليه فشكره، وعرفَ حقَّ والديه فأحسن إليهما وأطاع أمرهما، واجتهد في برهما، وعرف حق ذريته فأحسن تربيتها ودعا لها بالإصلاح والتوفيق، وسأل الله تعالى التوبة والمغفرة، فتقبل الله عمله، وغفر له ذنبه، ووعده بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).
(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في شعب الإيمان. انظر: كتاب بر الوالدين ص٨٢.

وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥، ١٦].

وهكذا فليكن الأبناء: حبٌّ للآباء، وبرٌّ بهم، واعتراف بفضلهم، وطاعة لهم، وتقديمهم على النفس والأهل والولد، خفض الجناح لهم، ولين الكلام معهم، ثم الدعاء والاستغفار لهم بعد وفاتهم.

وأختم هذا الموضع بأبيات تبين حقوق الأم وفضلها، يقول الشاعر:

لأمك حق لو علمت كبير	كثيرك يا هذا لديه يسيرُ
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنّة وزفيرُ
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
فكم غسلت عنك اللأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فآه لذي عقل ويتبع الهوى	وآه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير(١)



(١) حقوق الآباء على الأبناء، طه عبد الله العفيفي ص٢٩ ـ ٣٠.

ثالثاً: الجهاد في سبيل الله

عمّت الدعوة الإسلامية أرجاء المعمورة بسبب الجهاد الذي بذله المسلمون لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

ولولا الجهاد لانحصر الإسلام في تلك البقعة الصغيرة التي انطلق منها، ولاندثرت معالم هذا الدين في فترة وجيزة من الزمن.

والجهاد هو بذل الجهد والطاقة والنفس والمال في محاربة العدو، فمادة الكلمة (ج هـ د) تدل في اللغة على: الطاقة والمشقة والوسع والقتال[1].

وهو من أحب الأعمال إلى الله، وأفضل القربات إليه سبحانه، وهو ماض إلى يوم القيامة؛ نصرة لدين الله، وحماية لحوزته، وذوداً عن حياضه، وحفاظاً على عزة أمته، ودحضاً للباطل وأهله، ولذلك رفع الله شأن الجهاد في الإسلام ووعد أهله المنازل العالية والأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قال القرطبي رحمه الله: «... أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلافهم أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه عوضاً عنها الجنة إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه

(١) انظر: المفردات للراغب ص٩٩، وبدائع الصنائع للكاساني ٤٢٩/١٩.

عوض ولا يقاس به..»(١)

والجهاد تجارة رابحة مع الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

فرأس مال هذه التجارة هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. وربحها مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وبشارة بالنصر على الأعداء.

وهو أفضل عند الله من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج فيه، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يستوى عنده عُمَّار المسجد الحرام، وهم عماره بالاعتكاف والطواف والصلاة، هذه هي عمارة مساجده المذكورة في القرآن، وأهل سقاية الحاج، لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل الله، وأخبر أن المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده، وأنهم هم الفائزون، وأنهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان والجنات، فنفي التسوية بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام مع أنواع العبادة، مع ثنائه على عماره بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة: ١٨](٢).

---

(١) أحكام القرآن ٨/ ٢٦٧.

(٢) انظر: منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري ص٣٥٠.

فهؤلاء هم عمار المساجد، ومع هذا فأهل الجهاد أرفع درجة عند الله منهم»[١].

والشهداء عند الله أحياء غير أموات، فرحين بما آتاهم ربهم من العطايا والهبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

كما رويت عن الرسول الكريم ﷺ أحاديث كثيرة تبين فضل الجهاد ومنزلة الشهداء عند الله وما أعدَّ لهم من نعيم مقيم، وخيركثير، ودرجات عالية ومنازل رفيعة، نذكر منها:

عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة**»[٢].

ففي الحديث بيان درجات المجاهدين التي لا ينالها غيرهم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو ادخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل**

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٦٢٣، طبع الشؤون الدينية في قطر.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٧٩٠)، وفتح الباري ٦/ ١١.

في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»(١).

فالمجاهد رابح على كل حال، انتصر على عدوه فعاد إلى بيته غانماً مأجوراً، أو استشهد فإنه يدخل الجنة، ولا يتمنى أحد غير الشهيد أن يحييه الله ويخرجه من الجنة ليعود إلى الدنيا ليقاتل في سبيل الله مراراً، لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة في سبيل الله.

فعن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**»(٢).

بل إن رسول الله ﷺ صاحب المقام المحمود، والحوض المورد، والفردوس الأعلى، يتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل في سبيل الله حباً في كرامة الشهداء عند الله.

وعن نعيم بن همار الغطفاني ﵁ أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الشهداء أفضل؟ قال: «**الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى في الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه**»(٣).



(١) صحيح البخاري رقم (٣٦)، وفتح الباري ١/ ٩٢.
(٢) صحيح البخاري رقم (٢٨١٧)، وفتح الباري ٦/ ٣٢.
(٣) مسند أحمد ٥/ ٢٨٧.

حكم الجهاد

الجهاد إما فرض كفاية وإما فرض عين:

أ ـ فرض كفاية: إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإلَّا أثم الجميع بتركه، قال السرخسي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«... ونوع هو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين»(١).

قال مصطفى السيوطي: «... وشرعاً: قتال الكفار، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط وجوبه عن غيرهم، وإلا أثم الناس كلهم»(٢).

ب ـ فرض عين: على جميع المسلمين وذلك إذا غزا العدو بلاد المسلمين واعتدى على حرماتهم ومقدساتهم ـ كما هو الحال الآن ـ فيجب على كل مسلم أن يهبّ للدفاع عن أرضه ومقدساته بدمه وماله فمن لم يستطع الجهاد بنفسه فعليه التبرع بماله تدعيماً للمحاربين، ومن لم يقدم كل ما يستطيع تقديمه للجهاد والمجاهدين يكون آثماً لتخلفه عن واجب الجهاد، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) المبسوط ١٠/ ٣٠.

(٢) مطالب أولي النهى ٢/ ٤٩٧.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق**»(٢).

فالجهاد واجب يا عباد الله على جميع المسلمين اليوم لكن ذلك بشروط. قال الشيخ **محمد بن عثيمين** رحمه الله: «لا بد فيه ـ أي في الجهاد ـ من شرط وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة، ولهذا لم يجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين القتال وهم في مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء فلما هاجروا إلى المدينة وكونوا الدولة الإسلامية وصار لهم الشوكة أمروا بالقتال، وعلى هذا فلا بد من هذا الشرط...»(٣).

وقال الشيخ **صالح الفوزان** ـ حفظه الله ـ: «... أما أهل السنّة فيقولون: لا بد من راية ولا بد من إمام هذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ، فالذي يفتي بأنه لا إمام ولا راية، وكل يتبع هواه، هذا رأي الخوارج»(٤).

وهذه الشروط لا تكون إلا في جهاد الطلب والغزو. قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في هذا: «... أما قتال الطلب والغزو فهذا لا يكون إلا إذا توفرت مقوماته...»(٥).

أما جهاد الدفاع فلا يشترط فيه شروط، بل يخرج الولد من غير إذن والديه، والمرأة من غير إذن زوجها، كما هو الحال في بعض ديار المسلمين،

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٥٠٤)، والدارمي (٢٤٣١) أحمد (١٢٢٦٨).
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٥٧.
(٣) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع الأستاذ محمد بن فهد الحصين ص١٠٦.
(٤) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١٠٩.
(٥) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١١١.

فإن أهل هذه البلاد يهبون للدفاع عن بلادهم وأرواحهم وأعراضهم بدون إذن وبدون أمير وبدون راية، وإن وجدت الراية والأمير فذلك أحسن وأولى لدحر العدو عن ديار المسلمين.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... إذا حصر العدو بلدة صار الجهاد واجباً؛ لأنه جهاد دفاع؛ لأن العدو إذا حصر البلد معناه أن أهلها يكونون عرضة للهلاك... فيجب الدفاع ما دام عندهم ما يمكن أن يدافعوا به يجب أن يدافعوا»(١).

ويجب على البلاد المجاورة لهم نصرتهم ومساعدتهم بكل ما يملكون تحقيقاً للأخوة الإسلامية ومبدأ التناصر ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فتناصروا أيها المؤمنون واتحدوا: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].



(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١٠٤.

كلمة حق عند سلطان جائر

يقوم النبي ﷺ: «**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر**»[(١)].

عُنيت الشريعة الإسلامية بولاة الأمر عناية فائقة، وأكدت على حقوقهم تأكيداً عظيماً، وجعلت طاعتهم أمراً واجباً على الرعية في حدود ما شرع الله.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] و«أولو الأمر» كما قال المفسرون هم الحكام والعلماء.

وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله ما لم نر كفراً بواحاً لنا فيه من الله برهان»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[(٣)].

فللحاكم على الرعية حق السمع والطاعة؛ لأنه يحمل همهم، ويقودهم إلى الحق، ويحفظ حقوقهم، ويدافع عن حرماتهم.

وله ـ أيضاً ـ عليهم حق النصح والتذكير؛ لأن الحاكم غير معصوم من الخطأ والزلل. وهذا واجب العلماء الربانيين دون شقٍ لعصا الطاعة، أو إثارة لفتنة، أو دعوة إلى طائفية أو حزبية لغير الحق.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢١٢) وحسنه الألباني.
(٢) متفق عليه انظر: فتح الباري ١٣/٥، ٦، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/٢٢٨.
(٣) رواه البخاري رقم (٧١٤٤).

وقد كان مشاهير علماء السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يقومون بالنصيحة لأئمة المسلمين وحكامهم؛ لأن هداية الحاكم من أعظم الخير، وأجلّ ثمرات الجهاد؛ إذ بصلاحه صلاح البلاد وأحوال العباد.

يقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حق على كل مسلم جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه»[(١)].

ومن أمثلة ذلك:

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس على سريرة ـ وحوله الأشراف من كل بطن ـ وذلك في مكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به، قام وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له:

«يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهدهما بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل. ثم نهض، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم انصرف.

فقال عبد الملك: هذا ـ وأبيك ـ الشرف»[(٢)].

• **وبعث الحجاج إلى الحسن البصري، فلما دخل عليه قال: «أنت الذي تقول: قاتلهم الله، قتلوا عباد الله على الدينار والدراهم؟ قال: نعم.**

قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق: ليبيننه للناس ولا يكتمونه. قال: يا حسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن

(١) المهذب من إحياء علوم الدين ١/ ٤٨١.
(٢) نفسه ١/ ٤٨٢.

يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك»[١].

وهكذا، فجهر العلماء بالحق أمام الحكام ومناصحتهم سراً وتضحيتهم في سبيل ذلك بأرواحهم، وعدم خشيتهم في الله لومة لائم، من أحب الجهاد إلى الله تعالى كما قال النبي ﷺ والحاكم الصالح لا بد أن يستجيب لهؤلاء ما دامت نصيحتهم خالصة وحسب الضوابط الشرعية، وليس وراءها مطامع شخصية، وهذا دأب العلماء والحكام قديماً وحديثاً، ولقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ منهجاً متميزاً في مناصحة الحكام وملاطفتهم ودلالتهم على الخير، ولذا تحقق على يده خير عظيم للبلاد والعباد داخل بلادنا وخارجها فرحمه الله رحمة واسعة[٢].



(١) نفسه ١/ ٤٨٣.

(٢) عقدت مبحثاً خاصاً لهذا الأمر في ترجمة الشيخ ضمن كتاب لقاءاتي مع الشيخين (الطيار).

المداومة على الطاعات

من أحب الأعمال إلى الله المداومة على الطاعات، جاء في صحيح مسلم: حدثنا ابن مخير حدثنا أبي حدثنا سعد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ**» قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[١].

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في الأقوال والأفعال، ولذلك ينبغي للمسلم أن يتوسط في العبادة، ولا يحمّل نفسه ما لا تطيق فإنه إذا أجهدها ملّت وكلت وانقطعت عن العبادة.

فقليل العبادة الدائم خير من كثيرها المنقطع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢] هذا مثل قرآني لمن نقض عهده بعد توكيده.

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «...العمل وإن قلّ إذا داومت عليه كان أحسن لك؛ لأنك تفعل العمل براحة وتتركه وأنت ترغب فيه، لا تتركه وأنت تمل منه»[٢].

وكانت صلاة النبي ﷺ وخطبته «قصداً» ـ أي: بين الطول والقصر ـ فعن أبي عبد الله جابر بن سمرة السوّائي قال: «**كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً**»[٣].

وقد أمرهم النبي ﷺ أن يحلوا حبل زينب من المسجد فعن أنس رضي الله عنه

---

(١) صحيح مسلم ١/٥٤١ رقم (٧٨٢).
(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين ١/٥٦١.
(٣) صحيح مسلم رقم (٨٦٦).

قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين قال: «**ما هذا الحبل؟** قالوا هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ **حُلُّوهُ! ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»[١].

والعمل القليل المستمر أفضل من العمل الكثير الذي تمل به النفس وتسأم منه، ثم تتركه وتنقطع عنه، وقد بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لأصومنّ النهار، ولأقومنّ الليل ما عشت، فقال له النبي ﷺ: «**أنت الذي قلت ذلك؟** قال: نعم يا رسول الله، قال ـ أي النبي ﷺ ـ: **إنك لا تطيق ذلك، فصم وأفطر ثم نم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر،** قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود** عليه السلام **وهو أعدل الصيام،** فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **ولا أفضل من ذلك**»[٢].

وكبر عبد الله بن عمرو، وصار يشق عليه أن يصوم يوماً ويترك يوماً، فقال: ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ، ثم صار يصوم خمسة عشر يوماً سرداً، ويفطر خمسة عشر يوماً سرداً[٣]

والاقتصاد في العبادة من سنن النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا، كأنهم تقالّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما انا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛**

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢١٢)، وصحيح مسلم رقم (٧٨٦).
(٢) صحيح البخاري رقم (١٩٧٦).
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٥٦٢.

فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب وغيرهما، وهذا معنى ما أوصى به الرسول ﷺ حنظلة رضي الله عنه.

فعن أبي ربعيّ حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب، أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا[٢] الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا؛ فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذِّكْرِ، لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة» ثلاث مرات[٣].

فالحمد لله الذي أراد بنا اليسر ولم يرد بنا العسر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وصدق رسول الله القائل: «**إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة[٤] والروحة[٥] وشيء من الدلجة»**[٦].

(١) صحيح البخاري رقم (٥٠٦٣)، ومسلم رقم (١٤٠١).
(٢) عافسنا: لَاعَبْنا.
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٥٠).
(٤) الغدوة: سير أول النهار.
(٥) الروحة: آخر النهار.
(٦) الدلجة: آخر الليل. رواه البخاري رقم (٦٤٦٣).

آثار المداومة على الأعمال الصالحة

للمداومة على الأعمال الصالحة آثار كثيرة منها:

* **دوام اتصال القلب بخالقه** وذلك يكسبه قوة ويقيناً وثباتاً وتعلقاً بالله سبحانه وتوكلاً عليه ومن ثم يكفيه الله همه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

* **أنها سبب محبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»(١).

* **أنها سبب في محو الذنوب والخطايا**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٢).

فالمداومة على الصلوات الخمس في أوقاتها حيث ينادي بهن، وكثرة الخطا إلى المساجد يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب والآثام، ويرفع به

---

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٣٤٠.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٨)، ومسلم رقم (٦٦٧).

الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟** قالوا بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١).

* **أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الخاتمة**، حيث أن في المداومة جهاد للنفس ودفع للشيطان قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* **أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق، ونجاة صاحبه من النار.**

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق**»(٢).

* **أنها سبب لدخول الجنة**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم»(٣).

لهذا كان دوام العمل من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٢).
(٢) أخرجه الترمذي ٢/٧.
(٣) متفق عليه. رواه البخاري رقم (٣٤٦٦) ومسلم (١٠٢٧).

ذكر الله ﷻ

من أحب الأعمال إلى الله «ذكر الله» لقول النبي ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله، أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**»[١].

لذكر الله في الإسلام شأن عظيم، ومنزلة سامية، ومكانة عالية، وثواب جزيل، وأجر كبير.

وهو من أجل العبادات، ومن أعظم القربات، ومن أنفع الطاعات، ومن أحب الأعمال.

ولهذا جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مبينة لفضله، وموضحة لمكانته، وآمرة به، وحاثة عليه، ومرغبة فيه، ومحذرة من تركه والإعراض عنه.

قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» وقال قتادة: «ذكر الله أكبر من كل شيء».

وقيل: ذكر الله أكبر من سائر أركان الصلاة، وقيل: أكبر من كل العبادات، وقال ابن عطية رحمه الله: «وعندي أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر...»[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني، ورواه ابن حيان رقم (٢٣١٨) باب فضل الذكر والذاكرين.

(٢) انظر هذه الأقوال في: البحر المحيط لأبي حيان ٨/٣٥٩.

قال شيخنا محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب»[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي تطيب وتركن إلى جانب الله، تسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: هو حقيق بذلك»[(٢)].

فما أحوجنا إلى ذكر الله في زمن طغت فيه المادة، وكثرت فيه أمراض القلوب، واضطرابات النفوس وسيطر القلق والخوف والفزع والظنون والهواجس عليها.

وقد شبه النبي ﷺ الذاكر لله بالحي، والمعرض عنه بالميت ـ ولا يستوى الأحياء والأموات ـ فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»[(٣)].

وسيدنا رسول الله ﷺ كان ملازماً لذكر الله، يذكر الله في كل أحواله، في الصباح والمساء وفي الليل والنهار وفي اليقظة وعند المنام. تقول أم

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣/ ٥٤٤.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٦٨٨.
(٣) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧).

المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يذكر الله في كل أحيانه»[(١)].

ويوصي النبي ﷺ بملازمة الذكر واستمراره فعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به! قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»[(٢)].

ويُنَبِّيء ﷺ أصحابه بخير الأعمال وأفضلها فيقول: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم**؟ قالوا: بلى، قال: **ذكر الله تعالى**»[(٣)].

وَلِذِكْرِ الله صيغ كثيرة أفضلها قراءة القرآن، وقول «لا إله إلا الله» وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، والاستغفار وغير ذلك.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[(٤)]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**»[(٥)].

التحذير من ترك الذكر:

ترك ذكر الله تعالى والإعراض عنه خطر عظيم إذ أنه يورث قسوة القلب، وضيق الصدر، وتسلط الشياطين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والعشا: في العين ضعف بصرها، والمراد ههنا عشا البصيرة، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٧٣).
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢).
(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٤).
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٠).
(٥) رواه مسلم رقم (٢٧٣١).

ﵟٱلۡهُدَىٰﵞ [النساء: ١١٥] وكقوله: ﵟفَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚﵞ [الصف: ٥]. وكقوله ﷻ: ﵟوَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡﵞ [فصلت: ٢٥] ولهذا قال تبارك وتعالى: ﵟوَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَاﵞ [الزخرف: ٣٧، ٣٨]؛ أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم...»(١).

والمعرض عن ذكر الله يعيش في الدنيا عيشة ضنكاً وإن كان في الظاهر متنعماً، ويعذب في الآخرة العذاب الشديد؛ لأنه نسي الله فأنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة: ﵟوَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ﵞ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ﵟفَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗاﵞ أي: ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة...»(٢).

وقال النبي ﷺ: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»**(٣).

فانتبه أخي الحبيب ولا تكن من الغافلين، وأكثر من ذكر الله تكن من الفائزين.

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٢٤٧.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٨٥٦.
(٣) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٨٩، ٤٩٤.

فوائد ذكر الله تعالى:

لذكر الله تعالى فوائد كثيرة جداً نذكر منها[١]:

أنه يطرد الشيطان ويقمعه:

قال ابن عباس رضي الله عنه: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى انخنس»[٢].

أنه من أحب الأشياء إلى الرحمن سبحانه:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»[٤].

أنه يجلو صدأ القلب:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله عز وجل»[٥].

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «**لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله** عز وجل»[٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار»[٧].

---

(١) انظر في هذا كتاب: الصيب الوابل ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص٨٤.
(٢) أخرجه الطبري ٣٠/ ٢٨.
(٣) صحيح البخاري رقم (٦٦٨٢)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٩٤).
(٤) رواه مسلم (٢١٣٧).
(٥) انظر الوابل الصيب لابن القيم ص٨١.
(٦) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٩٥.
(٧) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ص٨٦.

أنه يمحو الخطايا ويذهب السيئات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمّد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(١)].

أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة

وحفوف الملائكة بالذاكر ففي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)].

أنه يهون الصعاب ويخفف المشاق وييسر العسير:

قال ابن القيم رحمه الله: «... فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهمّ»[(٣)]

□ **أن الله** عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم. قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا.

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٩٧).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠).

(٣) الوابل الصيب ص١٥٥.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك. قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني: أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة»[١]

أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق:

قال كعب رضي الله عنه: «من أكثر من ذكر الله عز وجل بريء من النفاق»[٢].

أنه ينجي من عذاب الله:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما عمل آدمي عملاً قط أَنْجَى له من عذاب الله من ذكر الله** عز وجل»[٣].

ومن نجى من عذاب الله دخل الجنة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وإذا لم يكن لذكر الله إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فأكثر أخي الحبيب من ذكر الله عز وجل حتى تلقى الله ولسانك رطب من ذكره سبحانه فتفوز بالجنة وتنعم بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

لهذا كان الإكثار من ذكر الله والمداومة عليه من أحب الأعمال إلى الله عز وجل كما أخبر بذلك الحبيب المحبوب الصادق الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



(١) رواه مسلم رقم (٢٠٧١).

(٢) الوابل الصيب ص١٦٤.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٩.

المساجد

أحب البقاع إلى الله المساجد، لقوله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»[١].

أوردنا هذا الحديث هنا مع أنه من أحب البلاد وليس من أحب الأعمال؛ لأن من أهم وظائف المسجد ذكر الله وإقامة الصلاة فيه لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

وهذه الأشياء من أحب الأعمال إلى الله.

وللمسجد في الإسلام مكانة عظيمة لكونه مكاناً للعبادة، ولإضافته إلى الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

لذا حث الإسلام على عمارة المساجد، والعناية بها، ورغب في بنائها، قال النبي ﷺ: «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**»[٢].

وبيَّن الله صفات عمار المساجد فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨] وعمارة المساجد تكون بالمحافظة على الصلاة فيها مع الجماعة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ولذلك أجر عظيم فقد سماه الرسول الكريم ﷺ الرباط.

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٧١).

(٢) جامع الأصول ١١/١٨٦.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١).

وتكون أيضاً بتلاوة القرآن الكريم والتهليل والتسبيح والتعليم والتناصح في الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

فوظيفة المسجد الحقيقية هي بناء شخصية المسلم المتكاملة في خلقه وسلوكه، وعمله وعبادته، وفي علاقته بربه وبنفسه وبأخيه المسلم وبالناس أجمعين، ولذلك كانت من أحب البقاع إلى الله.

وللمسجد آداب ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم منها:

* **الذهاب إليه في سكينة ووقار**(٢): ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**».

* **تجنب الروائح الكريهة عموماً، وخصوصاً رائحة البصل والثوم والكراث والدخان**: فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا**».

وفي رواية لمسلم: «**من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»(٣).

* **المحافظة على نظافتها**: فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**»(٤).

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١).

(٢) السكينة: هي الطمأنينة والتأني، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر وخفض الصوت.

(٣) رواه البخاري رقم (٨٥٤)، ومسلم رقم (٥٦٤).

(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥).

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله تعالى، وقراءة القرآن**»[١].

*** تجنب الجدال والخصومة ورفع الصوت فيها ونشد الضالة والبيع والشراء ونحو ذلك:** فعن السائب بن زيد الصحابي رضي الله عنه قال: «كنت في المسجد فحصبني رجل، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأتني بهذين فجئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا: لا ردّها الله عليك**»[٣].

*** إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت** حتى لا تؤذي المصلين وتؤثر على خشوعهم بصوته.

فالتزم أخي الكريم بهذه الآداب، وكن ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد تكن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.



(١) رواه مسلم رقم (٤١٥).
(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٠).
(٣) رواه الترمذي رقم (١٣٢١)، وقال: حديث حسن.

فائدة

الأسواق من أبغض البقاع إلى الله بسبب ما يقع فيها من المنكرات مثل: الكذب في المرابحة، وإخفاء عيوب البيع، والأيمان الفاجرة، ونقصان الكيل والوزن أو التطفيف فيهما، وبيع أدوات اللهو، والصور المجسمة المحرمة شرعاً.

واختلاط النساء بالرجال مع تبرج وسفور كثير من النساء المترددات على الأسواق.

ومع ما في الأسواق من المنكرات لا غنى لكثير من الناس عنها، وأذكر إخواني وأخواتي الذاهبين إلى السوق والذاهبات أن يقولوا عند دخولها: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»

ففي الترمذي: «من دخل السوق فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير**» كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[١].

فيخرج من السوق رابحاً رغم ما فيه من منكرات، اللهم وفقنا لفعل الطاعات وترك المنكرات، واجتناب السيئات إنك على كل شيء قدير.



(١) رواه الترمذي (٣٣٨٦).

صلاة وصيام «داود» عليه السلام

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلاة داود وصيامه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً**»(١). متفق عليه.

يشتمل هذا الحديث الشريف على عملين من أحب الأعمال إلى الله تعالى هما: أحب صلاة التطوع والمراد بها هنا «قيام الليل» وأحب صيام التطوع وهو «صيام يوم وفطر يوم».

أولاً: قيام الليل:

قيام الليل من أحب الأعمال إلى الله ومن أفضل القربات إليه سبحانه، ويكون بالأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، والنفس فيها أصفى، والروح أجمع، والعبادة أخلص؛ ولذلك جاء الترغيب فيه والحث عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فأما **القرآن الكريم** فمنه:

١ ـ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

قال أبو عبيدة رحمه الله: «أي ترتفع عنها ـ أي عن المضاجع ـ وتتنحى؛ لأنهم يصلون بالليل»(٢).

---

(١) البخاري رقم (١٣٣١)، ومسلم (١١٥٩)، (١٨٩).

(٢) مجاز القرآن ١/ ١٩٥.

وقال القرطبي رحمه الله: «المضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم. . . .»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[(٢)].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «هجع: الهجوع: النوم ليلاً، قال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾، وذلك يصح أن يكون معناه كان هجوعهم قليلاً من أوقات الليل»[(٣)].

وقال سيد قطب رحمه الله في تفسيره: «. . . فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام. . المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، ولا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، يأنسون لربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام، فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوي المكانة في الإيمان واليقين، ويجدون أنفسهم دونها. . . اختص بها الناس ممن اختارهم الله، ووفقهم إلى القيام بحقها، وكتبهم بها عنده من المحسنين. . .»[(٤)].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ١ ـ ٨].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٩٩.
(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٢٧٨.
(٣) المفردات ص٥٣٧.
(٤) الظلال ٣/ ١٢، ١٣.

وقال سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حينما انتدب محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدور الكبير الشاق قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ الآيات. فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان.

ومن ثَمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة»[١].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني: الصلاة والتسبيح»[٢].

أما **السنّة المطهرة** فمنها:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل فينام عنها، إلا كان نومه صدقة تصدق الله بها عليه، وكتب له أجر ما نوى به**»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[٤].

وحديث: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود...**».

وكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقسم الليل ثلاثة أقسام:

النصف الأول للنوم، ثم الثلث للقيام، ثم السدس للنوم، وهذا فيه راحة للبدن، وتجديد للطاقة، واستمرار للعبادة.

---

(١) ظلال القرآن ٤/ ١٧٧.
(٢) الطبري ٢٩/ ٢٢٥.
(٣) انظر الترغيب والترهيب ١/ ٢٤٦.
(٤) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٩.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فإن الإنسان إذا نام نصف الليل أخذ حظاً كبيراً من النوم، فإذا قام الثلث ثم نام السدس فإن التعب الذي حصل له في القيام يذهب بالنوم الذي في آخر الليل»[(١)].

ولهذا كانت صلاة داود أحب الأعمال إلى الله تعالى كما ذكره النبي ﷺ. ولكن إذا قام الإنسان في أي ساعة من الليل يرجى أن ينال الأجر والثواب ـ إن شاء الله تعالى ـ فالأمر في هذا ـ ولله الحمد ـ واسع كما قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ.

ويحسن أن نشير هنا إلى أهم آداب قيام الليل وسننه وهي:

ـ أن ينوي المسلم قيام الليل عند نومه.

ـ أن يستاك إذا استيقظ للقيام.

ـ أن يقول: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور».

ـ أن يمسح النوم عن وجهه بيده، ويرفع بصره إلى السماء ويقرأ الآيات: من آخر سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وما بعدها.

ـ أن يفتتح تهجده بركعتين خفيفتين، وأن يسلم من كل ركعتين.

ـ أن يطيل القيام والركوع والسجود[(٢)].

ثانياً: صيام يوم وفطر يوم:

للصوم أسرار عظيمة، ومنافع كثيرة فهو يهذب النفوس، ويسمو بالأرواح، ويربي في المسلم ملكة الصبر وقهر النفس الأمارة بالسوء، وينمي عنده فضيلة الأمانة، والإخلاص لله في العبادة والعمل.

كما أنه يبعث على تقوى القلوب وخشيتها لله وحده، ويقضي على ما تحمل النفوس من الضغائن والأحقاد والإحن. وبه تغفر الذنوب، وتكفر السيئات، وتزاد الحسنات، وترفع الدرجات.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣/٣٤٦.

(٢) انظر في هذا المختصر: في فقه العبادات للدكتور خالد المشيقح ص١٠٠.

ومن المعلوم المعروف أن الصوم في رمضان فريضة وركن من أركان الإسلام، وفي غيره نافلة وتطوع، والمراد هنا النافلة، ومنها[١]:

١ ـ صيام ستة من شوال:

فعن أبي أيوب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»[٢].

٢ ـ صيام يوم عرفة لغير الحاج:

فعن أبي قتادة ﵁ قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**»[٣].

٣ ـ صيام يوم عاشوراء:

فعن ابن عباس ﵄ «أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه»[٤].

٤ ـ صيام أيام البيض:

وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**»[٥].

٥ ـ صيام يوم الاثنين والخميس:

فعن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»[٦].

---

(١) انظر: الصيام للأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ص١٥٥ ـ ١٥٦.
(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٤).
(٣) رواه مسلم رقم (١١٦٢).
(٤) متفق عليه؛ البخاري رقم (٢٠٠٤)، ومسلم رقم (١١٣٠/١٢٨).
(٥) متفق عليه؛ البخاري رقم (١٩٧٩)، ومسلم رقم (١١٥٩).
(٦) رواه الترمذي رقم (٧٤٧).

٦ ـ الإكثار من الصيام في شهري شعبان والمحرم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان(وفي رواية) كان يصوم شعبان إلا قليلاً»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**»[(٢)].

٧ ـ صيام عشر ذي الحجة:

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر** قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله، قال: **ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[(٣)].

٨ ـ صيام الأعزب غير القادر على الزواج:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(٤)].

٩ ـ صيام يوم وفطر يوم:

وهو أحب الصيام إلى الله كما قال سيدنا محمد ﷺ: «**أحب الصيام إلى الله تعالى؛ صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**».

وإنما كان ذلك أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة والملل فإن الله لا يمل حتى تملوا.

---

(١) رواه البخاري رقم (١٩٦٩)، ومسلم رقم (١١٥٦).

(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٣).

(٣) سنن أبي داود ٧/ ١٠٣.

(٤) سنن أبي داود رقم (٢٠٤٦)، وصحيح ابن حبان رقم (٤٠٢٦)، والسنن الكبرى رقم (٢٥٤٨).

فائدة

داود عليه السلام

نذكر هنا نبذة مختصرة عن داود عليه السلام صاحب أحب الصلاة وأحب الصيام إلى الله سبحانه.

كان داود عليه السلام راعياً للغنم، وفي عهده قامت حرب بين جالوت وجنوده، وطالوت ـ ملك بني إسرائيل ـ وجنوده وكان جالوت مشهوراً بالقوة والشدة والبأس، وقد تحدى أبطال جيش طالوت طالباً منهم النزال فلم يستطع أحد منهم إجابته خوفاً منه.

فتقدم داود وطلب من طالوت الإذن بمنازلته، وكان يومئذ شاباً صغيراً، فأذن له بعد تردد وخوف عليه، لصغره وقلة خبرته في الحرب، وقال له: لو قتلت جالوت فسوف تصير قائداً على الجيش، وتتزوج ابنتي.

وتقدم داود لمبارزة جالوت؛ وليس معه من أدوات الحرب سوى عصاة ومقلاع وبعض الأحجار؛ فاستخف به جالوت، ولكن داود سدد إليه حجراً من مقلاعه فشج رأسه ثم أتبعه بآخر حتى سقط جالوت صريعاً وانتصر بنو إسرائيل على عدوهم[1] ثم أصبح داود ملكاً على بني إسرائيل، وقد بعثه الله رسولاً فيهم، وأنزل عليه الزبور.

حكى القرآن الكريم هذه القصة في سورة البقرة في قوله ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ

(١) نسأل الله أن ينصر الفلسطينيين المجاهدين على اليهود المحتلين بالمقلاع والحجارة كما نصر بهما داود عليه السلام إنه على كل شيء قدير.

ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

وقد أنعم الله على داود عليه السلام بنعم كثيرة عظيمة، منها ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

أي: أن الله أعطى لداود الحكمة وهي النبوة، وأنزل عليه كتابه الزبور، وأنه سبحانه أمر الجبال والطيور أن تردد معه التسبيح إذا سبح، وأنه جعل الحديد له ليناً ليشكله كما يشاء ويعمل منه دروعاً واقية لجنوده وحماية لهم من سهام الأعداء[١].

وقد رزق الله داود ابنه سليمان عليه السلام، وكان عبداً صالحاً قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

فلما كبر صار يشركه معه في مجالس القضاء والحكم لتدريبه وتعليمه ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.



(١) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١١١١)، وقصص الأنبياء لمحمد إسماعيل إبراهيم ص١٠٦.

التسمية بعبد الله وعبد الرحمن

يقول النبي ﷺ: «**أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**»[(١)].

الأولاد فلذات الأكباد[(٢)]، ونور العيون، وثمرات القلوب، وريحانة البيوت، وزينة الحياة الدنيا. جاء في الأثر: «لكل شيء ثمرة وثمرة القلب الولد»

وقد عني الإسلام بالأولاد عناية فائقة، واهتم بهم اهتماماً كبيراً. فشرع لهم حقوقاً على الآباء بها تنتظم حياتهم، وتستقيم أمورهم؛ ليكونوا أعضاء صالحين مصلحين تسعد بهم أمتهم وتنتفع بهم دولتهم.

ومن هذه الحقوق «اختيار الاسم الحسن».

وقد صدر الأمر بذلك من نبينا محمد ﷺ وبين سببه وعلته فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم؛ فأحسنوا أسماءكم**»[(٣)].

وأحسن الأسماء وأحبها إلى الله «عبد الله» و«عبد الرحمن» لما فيهما من استشعار العبودية الخالصة لله وحده، والله خلق الخلق ليكونوا له عباداً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

وأصدق الأسماء «حارث» و«همّام» وأقبحها «حرب ومرّة».

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢١٣٢).

(٢) يقول الشاعر:

إنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

(٣) سنن أبي داود (٤٩٤٨).

فعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام وأقبحها: حرب ومُرَّةُ**»(١).

وروي أن النبي ﷺ قال لرجل وُلِد له ولدٌ «**سمّ ابنك عبد الرحمن**»(٢).

وقد حرم الإسلام بعض الأسماء ككل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله، مثل: عبد العزى، وعبد هبل، وعبد الكعبة، وعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد عليّ، وعبد الحسين، وعبد الحسن وغيرها لما فيها من صرف العبودية لغير الله، أو إشراك غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله.

وغيَّر النبي ﷺ بعض الأسماء التي تتنافى مع الحُسْنِ المطلوب في التسمية.

فقد روى ابن أبي شيبة حديث يزيد بن المقدام بن شُريح، عن المقدام بن شريح عن أبيه، عن جده هانئ بن يزيد، قال: وفَدَ على النبي ﷺ قوم، فسمعهم يسمون: عبد الحجر، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنما أنت عبد الله**»(٣).

وعن هشام عن أبيه أن رجلاً كان اسمه الحُباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقال: «**الحُباب شيطان**»(٤).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ غيّر اسم «عاصية» وقال: «**أنت جميلة**»(٥).

وروى أبو داود في «سننه» عن أسامة بن أخدري أن رجلاً كان يقال له: أصْرَم، كان في النفر الذي أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟** قال: أصْرَم، قال: **بل أنت زُرْعَة**»(٦).

قال أبو داود: «وغيّر رسول الله ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعُتْلة،

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٤٥.
(٢) صحيح البخاري (٦١٨٦).
(٣) الأدب المفرد للبخاري (٨١١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٨٩٨).
(٥) صحيح مسلم رقم (٢١٣٩).
(٦) سنن أبي داود رقم (٤٩٥٤).

وشيطان، والحكم، وغراب، وشِهاب، وحُباب فسماه هاشماً.

وسمّى حرباً سلماً، وسمى المضطجع: المنْبَعِث، وأرضاً يقال لها عَفْرَة: خَضْرة، وشعب الضلالة سماه: شعب الهُدى وبنو الزَّيْنة سماهم: بني الرَّشدَة. وسمى بني مُغْوِيَة: بني رَشْدَة.

وقال أبو داود: «تركت أسانيدها للاختصار»(١).

فاحرص أُخَيّ ـ وفقك الله تعالى ـ على اختيار الاسم الحسن لابنك، وكن أشد حرصاً على عبد الله وعبد الرحمن للولد.

فأما البنت فعليك بأسماء أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ ورضي الله عنهن أو أي اسم آخر يكون حسناً، ولا تلجأ إلى الأسماء غير الحسنة والتي تكون سبباً في إضحاك الناس عليه واستهتارهم به.



(١) سنن أبي داود ٥/ ١٥٢.

حسن الخلق

من أحب الأعمال إلى الله تعالى حسن الخلق، لقول النبي ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**»(١).

حسن الخلق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، امتدح الله سبحانه بها نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وحسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس.

ومن علاماته: الكرم، والسخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة، والمساعدة، وقلة الطمع، والنجدة والشهامة، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودد، وحسن التدبير.

وأن يكون الإنسان صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا حسوداً(٢).

وقد جمع الله ذلك كله في قوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية، كما قال المفسرون.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٧).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٣/٥٨٨، ومدارج السالكين لابن القيم ٣/٣١٦، وكلمات من نور للشيخ ثاني المنصور ص١٣٥.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٢١.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث الناس على حسن الخلق والتحلي به وتبين لهم ثمرته في الدنيا والآخرة وأنه سبب في دخول الجنة، ومنها:

* قول النبي ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(١).

* وقوله ﷺ: «**أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن**»(٢).

* وقوله ﷺ: «**استقم وليحسن خلقك للناس**»(٣).

* وقوله ﷺ: «**أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً**»(٤).

* وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٥).

* وقوله ﷺ: «**أقربهم مني مجلساً يوم القيامة أحسنهم خلقاً**»(٦).

* وقوله ﷺ: «**إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة**»(٧).

* وقوله ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»(٨).

* وقوله ﷺ: «**إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق**»(٩).

* وقوله ﷺ: «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون**

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦).
(٢) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٣).
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦٢).
(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٣٩).
(٥) صحيح الجامع رقم (١٢٤١).
(٦) صحيح الجامع رقم (١١٨٧).
(٧) صحيح الجامع رقم (١٥٧٤).
(٨) صحيح الجامع رقم (١٦١٧).
(٩) صحيح الجامع رقم (١٩٧٣).

المتفيهقون المتشدِّقون»[١].

* وفي سنن الترمذي، وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**».

* وقوله ﷺ: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلها**»[٢].

* وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[٣].

فجعل ﷺ البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة وإن كان معه حق. ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

فاحرص أخي الكريم على هذه الصفة (حسن الخلق) وتخلق بها تكن في أعلى الجنة مع الحبيب ﷺ، وتكن من أحب عباد الله إلى الله.

وإياك وسوء الخلق فإنه خلق مذموم، واعلم أن الأخلاق المذمومة هي الكبر، والفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد، والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل.

وكذا الكذب والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك.

نجانا الله وإياك والمسلمين والمسلمات من هذه الصفات القبيحة المهلكة في الدنيا والآخرة آمين.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٣١).
(٢) رواه أبو يعلى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٢٧).
(٣) سنن أبي داود رقم (٤٨٠٠)، والترغيب والترهيب ١/ ٢٣٠.

قراءة القرآن

من أحب الأعمال إلى الله قراءة القرآن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل أو أي العمل أحب إلى الله، قال: «**الحال المرتحل الذي يفتح القرآن ويختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حلَّ ارتحل**»[(١)].

القرآن في الأصل مصدر قرأ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به»[(٢)]

وسمي القرآن بهذا الاسم لكونه جامعاً لثمرة الكتب السماوية السابقة ولجمعه ثمرة جميع العلوم[(٣)]، وقد أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[(٤)] وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهو كلام الله المنزل على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد وصف النبي ﷺ القرآن بقوله: «... فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، من تركه تجبراً قصمه الله،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/٧٥٨، وسنن الدارمي ٢/ ٥٦٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٤.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٠٤.
(٤) البحر المحيط ١/٢٣ ـ ٢٤.

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن عصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم»(١).

وشاء الله أن يكون نزوله في أعظم الأزمان وأشرف الشهور: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

واقتضت حكمته أن يكون ذلك في أعظم ليله من رمضان، وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١ ـ ٣].

ووصف الله هذه الليلة بالمباركة فقال سبحانه بعد أن أقسم به ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: ١ ـ ٥].

وبيّن الله سبحانه عظيم شأن هذا القرآن وجلالة قدرته حتى إنه لو نزل على الجبال الشاهقة لتصدعت من خشية الله قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: ٢١].

وجعله الله ميسراً للحفظ والفهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

وفضّله الله على غيره من الكتب وجعله ناسخاً لها ومهيمناً عليها فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨] وقد تكفل الله سبحانه بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وجاءت أحاديث كثيرة تشحذ الهمم في تلاوة القرآن وتبين ثواب ذلك وجزاءه منها:

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٠).

* قول النبي ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول: الم: حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر وميم عشر، فتلك ثلاثون**»[(١)].

* وقوله ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[(٢)].

* وقوله ﷺ: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»[(٣)].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[(٤)].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ**».

* وخير أمة الإسلام وأفضلها من تعلم القرآن وعلّمه غيره، قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»[(٥)].

* وقال ﷺ: «**من علّم آية من كتاب الله فله ثوابها ما تُليت**»[(٦)].

* ويوصي النبي ﷺ أمته بقراءة القرآن والمداومة عليها فيقول: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقَلها**»[(٧)].

أما الذي لا يقرأ القرآن وليس في جوفه منه شيء فلا بركة فيه ولا خير عنده إنما هو كالبيت الخرب.

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٤).
(٢) رواه مسلم رقم (٨٠٥).
(٣) رواه البخاري رقم (٤٩٣٧).
(٤) رواه أبو داود رقم (١٦٦٤).
(٥) رواه أحمد رقم (٤١٢) من مسند عثمان رضي الله عنه، وأبو داود رقم (١٤٥٢)، والترمذي رقم (٢٩٠٧).
(٦) السلسلة الصحيحة (١٣٣٥).
(٧) رواه البخاري رقم (٥٠٣٣).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[١].

فاحرص أُخَيَّ - أرشدني الله وإياك والمسلمين إلى الخير - على تعهد القرآن بالتلاوة وإياك إياك إياك أن تكون مع الذين هجروا القرآن وجعلوه وراء ظهورهم واستبدلوه بقراءة الصحف والمجلات وغيرها نسأل الله لنا ولهم الهداية.

واعلم أن السلف الصالح كانت لهم همم عالية في قراءة القرآن فمنهم من كان يختمه كل أسبوع، ومنهم من ختمه في خمس ليال، ومنهم من ختمه في يوم وليلة.

وقيل: ختم أبو حنيفة القرآن في ليلة، وختم الشافعي ستين مرة في شهر رمضان، وختمه قتادة مرة كل يوم في العشر الأواخر من رمضان[٢]

قال الإمام النووي رحمه الله: «ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ على تلاوته ويكثر منه، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة فيما يختمون في القرآن..»[٣].

فالزم نفسك بقراءة جزء - على الأقل - كل يوم حتى تختم في شهر، واعلم أن للتلاوة أداباً ينبغي مراعاتها ومنها:

* **الوضوء.**

* **استقبال القبلة.**

* **الترتيل والتدبر.**

* **البكاء والخشوع،** لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩١٤).

(٢) انظر: صلاح الأمة في علو الهمة للدكتور سيد حسين العفائي ٣/ ٢٤.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١١.

وقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٩].

* **حضور القلب وترك حديث النفس**، فلقد كان بعض السلف ـ رضوان الله عليهم ـ إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية[١].

(١) صلاح الأمة في علو الهمة ٣/ ٢٩.

العمل الصالح
في العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[(١)].

الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة أيام مباركة فاضلة، فلقد أقسم الله سبحانه بها في كتابه فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١، ٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «... والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف»[(٢)].

وفيها يوم عرفة الذي قال فيه النبي ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة**»[(٣)].

وآخر هذه الأيام يوم النحر ويليه يوم القر وقد قال فيها النبي ﷺ: «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر**»[(٤)].

ويبين الحافظ ابن حجر ـ يرحمه الله ـ سبب تفضيل هذه الأيام وتمييزها فقال: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يأتي ذلك في غيره»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري رقم (٩٦٩).
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١٥٠٥).
(٣) رواه مسلم برقم (١٣٤٨).
(٤) رواه أبو داود ٥/ ١٧٤.
(٥) فتح الباري ٢/ ٤٦٠.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة»[١].

ووضّح ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «... فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية. وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان الرسول ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر...»[٢].

أنواع العمل في هذه العشر:

١ ـ **الصيام،** فيسن للمسلم صيام تسع ذي الحجة، أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة لغير الحاج.

فعن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده**»[٣]

وكان النبي ﷺ يصوم أيام التسع هذه، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كان النبي ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»[٤].

٢ ـ **التسبيح والتحميد والتكبير،** لقول النبي ﷺ: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»[٥].

ويشرع في هذه الأيام التكبير المطلق وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد ـ في جميع الأوقات من ليل أو نهار إلى صلاة العيد.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٢٨٧.
(٢) زاد المعاد ١/ ٥٧.
(٣) أخرجه مسلم رقم (١٦٦٢).
(٤) أخرجه النسائي ٤/ ٢٠٥.
(٥) رواه أحمد ٧/ ٢٢٤.

كما يشرع التكبير المقيد بعد الصلاة المفروضة ويبدأ لغير الحاج من فجر يوم عرفة، وللحاج من ظهر يوم النحر ويستمر إلى صلاة عصر آخر أيام التشريق.

٣ ـ **الحج والعمرة**، فالحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام وفرض على المستطيع، فيجب على من وجب عليه الحج أن يبادر إلى أدائه لقول النبي ﷺ: «**تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**»(١).

الحج من أفضل الأعمال وأكثرها ثواباً وأعظمها أجراً لقول النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٢).

٤ ـ **الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق**، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا**»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي»(٤).

٥ ـ **كثرة الأعمال الصالحة من صلاة وصدقة ودعاء واستغفار ومساعدة المحتاجين وغير ذلك**، فالأعمال الصالحة لا حد لها ولا عد.

لهذا كله وغيره الكثير كان العمل في هذه الأيام المباركة أحب إلى الله كما قال النبي الكريم ﷺ.



(١) رواه أحمد (٣١٤١١).
(٢) رواه البخاري (١٧٧٣).
(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٢١.
(٤) رواه أحمد ١٣/ ٦٥.

نفع الناس وإدخال السرور عليهم

قال النبي ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل**»(١).

المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما أنهم يدٌ على من سواهم.

أمرهم الله سبحانه بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وذلك لينتشر بينهم الحب والإخاء والإخلاص والتعاون والوفاء والمودة والرحمة، ومما يعمل على ذلك ـ أيضاً ـ ما جاء في هذا الحديث: فنفع

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٦).

الناس ـ وإدخال السرور على المسلم ـ وكشف كربه ـ وقضاء دينه ـ وطرد الجوع عنه ـ والمشي في حاجته ـ وكف الغضب ـ وكظم الغيظ ـ والابتعاد عن سوء الخلق.

أمور هامة في حياة المسلمين، ولها أثرها العجيب في نشر المحبة والمودة والإخاء والتعاون بين المسلمين، وقد أعد الله لمن يفعل ذلك أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وهذه بعض الأحاديث النبوية التي توضح ذلك:

* قال رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم**»(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسراً، أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً**»(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار**»(٤).

* وقال رسول الله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»(٥).

فليعمل كل منا ـ قدر طاقته ـ على مساعدة إخوانه المسلمين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، والدعاء لجميع المسلمين عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح أعداء الإسلام نادمين.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري.
(٢) رواه مسلم وأحمد...
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩٦).
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٨٩).

تكاثر الأيدي على الطعام

من أحب الأعمال إلى الله تعالى تكاثر الأيدي على الطعام لقول النبي ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»(١).

الكرم والجود والسخاء والإنفاق وإطعام الطعام، صفات كريمة حث عليها الإسلام ورغّب فيها، ومدح المتصفين بها، ووصفهم بالفلاح، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وجعل الله الأجر العظيم عليه في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا البدل والخلف، وفي الآخرة الجزاء والثواب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(٢).

وإطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من صنائع المعروف التي تقي صاحبها مصارع السوء والهلاك.

---

(١) رواه ابن حبان وحسنه الألباني.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة، ورواه الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»[١].

كما أن إطعام الطعام من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام**»[٢].

وقال أيضاً: «**إن في الجنة غرفاً، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام**»[٣].

فالله الله في إطعام الطعام، والله الله في كثرة الأيدي عليه، فرسولنا ﷺ كان أجود الناس، وكان يحب إطعام الطعام. فعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس**»[٤].

وعن عبد الله بن بر قال: «**كان للنبي ﷺ قصعةٌ يقال لها الغرَّاء، يحملها أربعة رجال**»[٥].

وهذا يدل على ضخامة هذه القصعة وكبرها، وأن الغرض منها تكثير الأيدي على طعام رسول الله ﷺ فهو الجواد الكريم.

واعلم أخي المسلم أن الذين يطعمون الطعام هم خيارنا فعن حمزة بن صهيب، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه لصهيب: «فيك سرف في الطعام» فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خياركم من أطعم الطعام**»[٦].

أما الذين ليس لهم ضيوف يأكلون عندهم فلا خير فيهم قال رسول الله ﷺ: «**لا خير في مَنْ لا يضَيّف**»[٧].

---

(١) صحيح الجامع رقم (٣٦٨٩).
(٢) رواه الترمذي انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٣٩٥.
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.
(٥) صحيح الجامع رقم (٤٨٣٣).
(٦) حسّنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٩٦.
(٧) صحيح الجامع رقم (٧٤٩٢).

لهذا كان إطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من أحب الأعمال إلى الله.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الزلفي ٢٦ من رمضان ١٤٢٥هـ

ص.ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢

كتاب

إلى العابثين بالأعراض[١]

(١) اشترك مع المؤلف في تأليف هذا الكتاب فضيلة الشيخ سامي بن سلمان المبارك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى، وباريء النسمة، خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

نحمده ـ سبحانه ـ أباح لنا النكاح؛ وحرم علينا الزنا والسّفاح.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

فإن من الأمور المحرمة العظيمة المنذرة بمخاطر وبيلة، جريمة الزّنا التي ظهرت هذه الأيام، وانتشرت انتشار النّار في الهشيم، وخلّفت وراءها الدّمار والعار.

هذه الجريمة الشنعاء التي ماظهرت في أمة من الأمم إلا كان ذلك إيذاناً لها بالأسقام والأوجاع، وغضب الجبار. مصداقاً لما قاله المصطفى، ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..**»[1].

---

(١) رواه ابن ماجة برقم(٤٠١٩) ـ ٢/ ١٣٣٢، قال في مجمع الزوائد هذا حديث صالح للعمل به.

وهذا مشاهد في المجتمعات التي شاعت فيها الإباحية الجنسية؛ فها هي أمريكا رائدة الحضارة الغربية، وها هي الدول الأوروبية كلها تصطلي بنار الآثار التي خلفتها لهم الإباحية الحيوانية، حتى أعلن أطباؤهم ومفكروهم ومؤسساتهم إفلاسهم من تقديم أي حل لآثار الفواحش الني انتشرت عندهم.

مما جعل أعداء الله يسعون سعياً حثيثاً لنشر هذه الفواحش في المجتمعات الإسلامية بكل الوسائل والسبل. وقد تحقّق لهم بعض ما أرادوا، وكان الضّحية غالبهم من الشباب والفتيات الذين تهيأت لهم أسباب هذه الجريمة ووسائلها، وكثرة روافدها التي تغذيها، ولعلاج جريمة الزنا لابد لنا من معرفة الأسباب وتشخيصها، وتعقب آثارها في كل جانب من جوانب الحياة المرتبطة، بها حتى نستطيع أن نتخذ التدابير الواقية لشبابنا وفتياتنا ومجتمعاتنا. ثم تقديم العلاج الناجع لهذه الظاهرة الخطيرة التي اتفقت الأديان السماوية على تحريمها، نظراً لقبحها وشناعتها، بأن من نعم الله على بلادنا أن حرسها الله بالإسلام، وأنعم عليها بتحكيم شرعه، ولكن أعداء الله ما فتئوا يخططون ليل نهار لكسر تماسك المجتمع وصلابة أفراده، وسمو أخلاقه. ولقد نفذ كيدهم على حين غفلة من الغيورين والمصلحين إلى قلوب بعض الشباب اللاهي العابث، وحرصاً على معالجة هذا الداء قبل انتشاره واستفحاله كانت هذه الرسالة، وهي توجيه وذكرى وعظة، وعبرة لعل الله ينفع بها من كتبها وقرأها وسمعها. إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد الطيار

أبو سلمان سامي بن سلمان المبارك

ضحوة الأربعاء ١١\٥\١٤١٣هـ

الإسلام والغريزة الجنسية

لقد خلق المولى ـ تبارك وتعالى ـ الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. ومع هذا التكريم أودع ﷻ في هذا الإنسان مجموعة من الغرائز والنوازع والشهوات، وهي لا تعتبر في حدِّ ذاتها عيباً في الإنسان، فهو مكرم بما فيه من هذه الغرائز، لأن الله هو الذي أوجدها فيه، وبالتالي فالإسلام لا يتصادم مع هذه الغرائز، بل يوجهها الوجهة السليمة حتى تصبَّ في مصبها السليم. وتسير في مسارها الصحيح. ولكن الإسلام لا يُطلق العنان لهذه الغرائز، بل متى انحرفت عن مسارها الذي رسم لها وقف منها موقف الحسم والتطهير.

فحبُّ المال غريزة في الإنسان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]. فالإسلام يسمح لهذه الغريزة بجمع المال من الطرق المشروعة، ويمنعها من الطرق المحرمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]. ومن مجموعة هذه الغرائز المودعة في الإنسان الغريزة الجنسية. فما هو المسار الصحيح لهذه الشهوة أو الغريزة سواء عند الذكر أو الأنثى؟ المسار الصحيح لهذه الرغبة هو الزواج. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقال، ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[١].

---

(١) رواه البخاري راجع صحيح البخاري ٣/ ٣٥٤ برقم (٥٠٦٥) كتاب النكاح.

وما هذه الدعوة الصادقة من المصطفى، ﷺ، الموجهة إلى الشباب إلا تلبية لدوافع الغريزة الجنسية، التي وضعها الله في النفس، ورسم لها طريقاً تمشي فيه، كما يمشي ماء السيل في مجراه الذي أعد له، ووضع فيه من السدود ما يمنعه أن يطغى عليه، ويخرج عنه. كما يخرج النهر أحياناً فيغرق الذرع ويهلك الحرث والنسل.

أما المجرى الطبيعي فهو الزواج، وأما الطغيان فالبغاء والفساد، ثم جئنا نحن فخالفنا فطرة الله، فسددنا المجرى الطبيعي، وأزحنا السدود والحدود، وتركناه ينطلق كما يشاء فيدمر البلاد ويهلك العباد.



تعريف الزنا

هو لغة:

الزنا يُمد ويقصر، زنى الرجل يزني زِنَى مقصورة، وزناءً ممدودة، وكذلك المرأة. وزاني مزاناةً.

ويقال للولد إذا كان من زنا: هو لزنية[١].

واصطلاحاً:

كل وطء وقع على غير نكاح صحيح، ولا شُبهة نكاح، ولا ملك يمين[٢]، وقال في الكشاف: هو فعل الفاحشة في قُبُلٍ أو دُبرٍ[٣].

الحكمة من تحريم الزنا:

جاء الإسلام لحماية الأعراض، وصون الحرمات، وحفظ الأنساب. ولما كان الزنى منافياً لهذا كله، حرّمه المولى ـ تبارك وتعالى ـ في كل الأديان السماوية المنزلة لما في هذه الجريمة من مفاسد عظيمة منافية لفطرة الإنسان، ونظام العالم بأسره.

يقول ابن القيم ـ يرحمه الله ـ:

ولما كانت مفسدة الزنى من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج، وصيانة المحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه أو ابنته أو أخته

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٣٥٩، ٣٦٠ دار صادر.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ابن رشد ٤٦٦/٢.

(٣) كشاف القناع منصور البهوتي ٨٩/٦ دار الكتب.

أو أمه، وفي ذلك خراب العالم. كانت تلي مفسدة القتل في الكبر. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنى[١].

ويقول:

فليس في الذنوب أفسد للقلب والدّين من هاتين الفاحشتين، يعني اللواط والزنى، ولهما خاصية في تعبيد القلب من الله، فإنهما من أعظم الخبائث. فإذا انصبغ القلب بهما بعد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثاً ازداد من الله بعداً.

ولما كانت هذه حال الزنا كان قريباً للشرك في كتاب الله ـ تعالى ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣]. فهذه الآية مشتملة على خبر وتحريم[٢].



(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ابن القيم ١٧٧.

(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ١/ ١٠٠ـ ١٠٨.

أدلة تحريم الزنا

الزنا محرم بالكتاب والسنة، والإجماع والمعقول.

*** فمن القرآن قوله ـ تعالى:**

١ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

٢ ـ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣].

٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

٤ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢].

٥ ـ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

٦ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

أدلة تحريم الزنا:

*** من السنة:**

١ ـ «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[١].

٢ ـ من حديث الكسوف: «**يا أمة محمد إن من أحدٍ أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً**

(١) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٤/ ٢٤٥ برقم(٦٧٧٢) كتاب الحدود.

ولضحكتم قليلاً ألا هل بلغت؟»[١].

٣ ـ روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ، أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**. قال: ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**. قال: ثم أي؟ قال: **أن تزاني حليلة جارك**»[٢].

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه**»[٣].

٥ ـ قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[٤].

ومن الإجماع:

اتفقت الشرائع السماوية على تحريم إتيان هذه الفاحشة، وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على تحريمها.

قال ابن المنذر رحمه الله:

قد انعقد الإجماع على تحريم الزنا[٥].

ومن المعقول:

فإن أصحاب العقول السليمة والنفوس النبيلة ينفرون من كل ما هو قبيح، وإن من أقبح الفواحش فاحشة الزنا وقد قال عنها الله ـ جل وعلا ـ:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

---

(١) رواه مسلم انظر: صحيح مسلم ٢/ ٦١٨ برقم (٩٠١) كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف.

(٢) متفق عليه راجع صحيح البخاري ٤/ ٤٠٩ برقم (٧٥٢٠) كتاب التوحيد باب قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وانظر: صحيح مسلم ١/ ٩٠ برقم (١٤١) كتاب الإيمان.

(٣) رواه مسلم بنحوه كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ٣/ ١٣٠٢ برقم (١٦٧٦)، والحديث في مسند أبي يعلى ٤/ ٣٥٥ برقم (٤٦٥٧) تحقيق إرشاد الحق الأثري.

(٤) رواه مسلم انظر: صحيح مسلم ١/ ١٠٢، ١٠٣ حديث رقم ١٧٢ كتاب الإيمان.

(٥) إجماعات ابن المنذر ٦٩.

ويقول أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الآية: «وفيه دليل على أن الزنا قبيح في العقل قبل ورود السمع لأن الله سماه فاحشة»[(١)].

ويقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «ووصف الله الزنا وقبحه بأنه (كان فاحشة) أي إنما يستفحش في الشرع والعقول والفطر لتضمنه التجريء على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد»[(٢)].

ومما يدل على قباحة الزنا عقلاً أن الطبائع السليمة كانت تأنف منه في الجاهلية وقبل الإسلام.

يقول عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«.. فو الله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام..»[(٣)].

ومن ذلك ما وقع لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ، حين دعته امرأة وراودته عن نفسه وفرضت له مالاً، قال:

أما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه ... فكيف بالأمر تبغينه[(٤)]



(١) أحكام القرآن الكريم للجصاص ٣/ ٣٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ٤/ ٢٧٥.

(٣) سنن ابن ماجة ٢/ ٨٤٧.

(٤) مجلة البحوث عدد ٢٣ ص١٤٠.

عقوبة الزاني

نظراً لبشاعة جريمة الزنا وقبحها، فقد رتب المولى ـ تبارك وتعالى ـ عقوبات متنوعة على من أتى هذه الفاحشة، ولم يتب منها إلى الله، كما قال: ـ سبحانه ـ:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٨٠].

ودلّت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من القتل بغير الحق، ثم الزنا(١).

فالزنا موجب للعديد من العقوبات الشديدة، بعضها جسدي وبعضها معنوي، بل إن عقوبة الزنا لا تكون على الزناة وحدهم بل تتعداهم إلى الغير.

عقوبة الزاني:

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ عقوبات شرعية زجرية.

٢ ـ عقوبات أخروية.

٣ ـ عقوبات كونية.

*** العقوبة الشرعية:**

وتنقسم إلى قسمين:

١ ـ عقوبة جسدية ٢ ـ عقوبة معنوية.

(١) تفسير القرطبي ١٣/٧٦.

أولاً: العقوبة الجسدية:

لا يخلو حال الزاني إما أن يكون محصناً أو غير محصن، سواء كان ذكراً أو أنثى.

* فإن كان محصناً، وهو: «الذي حصل له الوطء في القبل في نكاح صحيح»[١]. وثبت زناه شرعاً فإن عقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت. خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة في المدينة النبوية في آخر حياته في مسجد الرسول ﷺ، فقال: «إن الله بعث محمداً، ﷺ، بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده»[٢].

وقول النبي ﷺ: «**واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها**»[٣].

* أما إن كان غير محصن فعقوبته الجلد مائة مع التغريب لمدة عام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]. وفي صحيح البخاري عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال سمعت النبي ﷺ، يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام[٤].

ثانياً: العقوبة الشرعية المعنوية وتشتمل على ما يلي:

١ ـ الفضيحة: لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٩٧.

(٢) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٤/ ٢٥٨ رقم الحديث (٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.

(٣) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٤/ ٢٥٧ رقم الحديث (٦٨٢٨) كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا.

(٤) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٤/ ٢٥٩ رقم الحديث (٦٨٣١) كتاب الحدود باب البكران يجلدان وينفيان.

يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الآية: «لنحضره زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب، والمراد بطائفة جمع يحصل بها التشهير والزجر»[1].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمر الله ـ تعالى ـ أن يحضر عذاب الزانيين طائفة أو جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بذلك الخزي والإرتداع، وليشاهدوا الحد فعلاً..»[2].

٢ ـ التغريب:

وفي هذا زيادة على العذاب الجسدي بالجلد، عذاب نفسي معنوي.

٣ ـ تحريم مناكحة الزناة:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

العقوبة الأخروية:

توعد الله ـ جل وعلا ـ من يفعل الفاحشة بالعذاب الأليم إن لم يتب منها.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

ويقول عليه الصلاة والسلام:

«إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي انطلق. وإني انطلقت معهما (إلى أن قال): فأتينا عل مثل التنور فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب

(١) تفسير أبو السعود ٦/ ١٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥/٣٨٨.

ضوضوا.. وفي آخر الحديث: إنهما أخبراه بأنهما جبريل وميكائيل، وأن الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور الزناة والزواني»[١].

ويقول، عليه الصلاة والسلام:

«**إن الزناة تشتعل في وجوههم النار**»[٢].

٣ ـ العقوبات الكونية:

للمعاصي آثار تظهر على مرتكبيها في الدنيا والآخرة بل تظهر آثارها على الأمم والشعوب.

يقول ـ سبحانه ـ:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

ومن سنن الله الكونية الثابتة أن من أطاعه ـ سبحانه ـ أحبه، وأعزه في الدارين، ومن عصاه وتمرد عليه أذله وأهانه في الدنيا قبل الآخرة. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦].

يقول ابن القيم ـ يرحمه الله ـ:

«وهل في الدنيا والآخرة شر وداء سببه إلا الذنوب، فما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى على الماء فوق رؤوس الجبال، وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلا ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، بهم وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب، كالظلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى، وما الذي

---

(١) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٦/ ٨٧.

(٢) قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني من طريق محمد بن عبد الله بسر عن أبيه ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٥.

أغرق فرعون وخسف بقارون؟ إنها الذنوب[١]!!.

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه:

«لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك ياجبير ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[٢].

وذكر الإمام أحمد عن صفية قالت:

«زلزلت المدينة في عهد عمر بن الخطاب، فقال: يأيها الناس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم لئن عادت لا أساكنكم فيها»[٣].

قال كعب:

«إن الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي ترتعد فرقاً من الرب ـ جل جلاله ـ أن يطلع عليها»[٤].



(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم / ٤٦ـ ٤٧.
(٢) الجواب الكافي ابن القيم ص٤٧.
(٣) الجواب الكافي ابن القيم ص٥٢.
(٤) الجواب الكافي ابن القيم ص٥٢.

الآثار الخطيرة المترتبة على الزنا

للزنا آثار خطيرة على الأفراد والمجتمعات، ولكثرتها نفصلها فيما يأتي:

١ ـ الآثار العامة للمعاصي على الفرد والمجتمع.

٢ ـ الآثار المرضية للزنا.

٣ ـ الآثار الحضارية للزنا.

٤ ـ الآثار السلوكية والإجتماعية للزنا.

٥ ـ الآثار النفسية للزنا.

٦ ـ الآثار الإيمانية للزنا.

٧ ـ الآثار الخاصة على الزاني.

● **أولاً: الآثار العامة للمعاصي على الفرد والمجتمع:**

١ ـ حرمان العلم: فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئه.

قال الشافعي ـ يرحمه الله ـ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي　　　فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: أعلم بأن العلم فضل　　　وفضل الله لا يؤتاه عاصي

٢ ـ حرمان الرزق: وفي المسند: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

٣ ـ الوحشة التي يجدها الزاني والعاصي في قلبه بينه وبين مولاه.

ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به ألا من في قلبه حياة، وما لجرح بميت إيلام. فلو لم تترك الذنوب

(١) الجواب الكافي ابن القيم ص٤٨.

إلا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حرياً بتركها.

٤ ـ الوحشة التي يجدها العاصي والزاني بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم. فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه.

٥ ـ تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

٦ ـ ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم. فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته. حتى يقع في البدع والضلالات، والأمور المهلكة وهو لا يشعر. كأعمى خرج من ظلمة الليل يمشي وحده. وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سواداً فيه يراه كل أحد.

٧ ـ المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً حتى يعزّ على العبد مفارقتها، والخروج منها، كما قال أحد السلف: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها».

٨ ـ أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه، وسقوطه من عينه. قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «هانوا عليه فعصوه ولو عزّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يُكرمه أحد، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

٩ ـ أنها تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]. وكذلك نسيانه في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

١٠ ـ إجتراء المخلوقات على المعاصي. فتجترئ عليه الشياطين بالأذى والإغراء والوسوسة والتخويف والتحزين، ويجتريء عليه كل أحد.

١١ ـ أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن. ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

١٢ ـ أنها تزيل النّعم وتحلّ النّقم.. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبه». وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوحم
وسافر بقلبك بين الورى ... لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم ... شهود عليهم ولا نتهم
وما كان شيء عليهم أضر ... من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن ... قصور وأخرى عليهم الهم
صلوا بالجحيم وفات النعيم ... وكان الذي نالهم كالحلم

● **ثانياً: الآثار المرضية:**

من آثار الزنا المرضية:

إنتشار الأمراض الجنسية، كمرض الزهري والسيلان والقروح السيالة، وطاعون العصر. «الإيدز»، روى الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[1].

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/٣٧، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم البلاء**»[١].

ويقول، عليه الصلاة والسلام: «**لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[٢].

فكم من شاب وقع فريسة هذا المرض الفتاك.

يقول الدكتور نيكول مدير قسم الأمراض الزهرية في مستشفى سان توماس بلندن: «إن المشكلة التي تواجهنا اليوم هي تبدل قيمنا الأخلاقية التي شجعت وتشجع على إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، وهذه بدورها سببت ازدياداً حاداً في إصابات الأمراض الناتجة عن الإباحية الجنسية».

ومما يؤكد تأثير الزنا في انتشار الأمراض الجنسية، وجود هذه الأمراض الجنسية بكثرة في الدول التي انتشر فيها الزنى إلى درجة أنه أصبح من العادي وجود هذه الأمراض حتى في صفوف الشباب الصغار، والفتيات الصغيرات الذين بدأوا يمارسون العلاقات المحرمة، وكم نادى مثقفوهم بعد أن أدركوا بعض العواقب الدنيوية، ولكن لا حياة لمن تنادي.

- **ثالثاً: الآثار الحضارية:**

إن الفوض الجنسية التي امتازت بها المجتمعات المتحضرة اليوم. والتي يسمونها المجتمعات التقدمية قد جردت النفس البشرية من كل خلق وفضيلة، وجعلت من الإنسان حيواناً بهيمياً بعيداً عن الأخلاق والقيم، وإنما تقاس الأمم بأخلاقها.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت … فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم … ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب[٣]

---

(١)(٢) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) وقال في الزوائد هذا الحديث صالح للعمل به، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٣) قائلها أحمد شوقي: انظر: الشوقيات ١/ ١٤ وص٤٤.

وهذه نماذج من اعترافات أبناء الغرب نحو حضارتهم الزائفة:

يقول الرئيس ولسون قبل وفاته بأسابيع: «إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار في البقاء من الناحية المادية إلا إذا استردت روحانيتها.

إعتراف آخر:

يقول البروفيسور «سيمون جارجي»، رئيس مركز الدراسات الشرقية بجامعة جنيف. يقول في اعترافه: «إنا من الذين يعيشون نوعاً من الوجل على ما وصلت إليه حضارتنا المادية.. إننا تعيش أزمة ضمير ووجدان خانقة، وإنني من المعتقدين أن حضارتنا الغربية بمفهومها القديم والتقليدي هي الآن في حالة احتضار، وإننا نعيش الآن نوعاً من موجة التحول الذي لا نعلم ماذا سينتج عنه، نحن الآن نشاهد حضارة تنازع وتوشك على الموت ـ وستموت بلا شك ـ وهي تموت ولا بد أن ينشأ عنها حضارة جديدة.. أما إذا تساءلنا عن السبب. فهناك أسباب عديدة منها بالأخص أن الغرب قد فقد المرتكزات الروحية، والثقافية الدينية، التي كان يرتكز عليها، فلم يعد هناك شيء يركن إليه، فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها والتوق إلى الروحانيات إنتهى واضمحل من النفوس، فأصبح في الغرب نوع من الفراغ، ونوع من الضياع الشامل، تكتوي به الآن الأجيال الشابة، وأكبر برهان على ذلك أن هناك إقبالاً شديداً بين شباب الغرب على دراسة ما نسميه عندنا في الجامعات بـ «تاريخ الديانات»[١].

- **رابعاً: الآثار الإجتماعية والسلوكية:**

وذلك أن الإنحرافات الجنسية لا تقتصر آثارها على الفرد، بل تتجاوز ذلك إلى المجتمع ككل، فيصبح المجتمع يعيش فوضى جنسية وانحرافات أخلاقية، وإليك بعض صور الآثار الإجتماعية والسلوكية:

(أ) مرض النضج الجنسي المبكر:

والذي ذاقت ويلاته أوروبا، فتجد الفتاة أو الشاب يُراهق قبل أوانه.

---

(١) إعترافات متأخرة. أحمد بن عبد العزيز المسند ص١٣، ١٤.

(ب) الإنصراف عن الزواج:

لأن الشباب همه إفراغ هذه الطاقة، وقد هيئت له سُبلها المحرمة. فما الداعي للزواج؟ لذلك نجد أن نسبة الإقبال على الزواج في الدول الغربية ضئيلة، وهي تتضاءل كلما فشت الفاحشة.

(جـ) انهيار الأسرة:

لأن قيم الحياة الزوجية وأسس استقرارها قد تهدمت وتصدعت فالأخلاق الزوجية التي يتبادلها الزوجان بعضهما البعض من الرحمة والمودة والعفاف أصبحت من غرائب المجتمع المنحل!

(د) ضياع الأمن:

ذلك أن الذي يهتك ستره مع الله لا يبالي بأعراض الآخرين وسمعتهم، فكم من جريمة ارتكبت من أجل الحصول على المال للوصول إلى ارتكاب الفاحشة! وكم من نفوس تقتل من أجل ارتكاب هذه الجريمة! وقد أضحى اغتصاب الفتيات أمراً عادياً في المجتمعات التي انتشر فيها الزنى.

(هـ) انتشار أولاد الحرام:

الزانية من زنى بها لحظات، وتحمل العار في أحشائها تسعة أشهر، حتى إذا ما وضعته قتلته، وتكون بذلك قاتلة لنفس بريئة. أو رمته في مسجد أو غيره، ثم تتولى السلطات مشكورة احتواء هذا الطفل الذي لا ذنب له، وتتعهده في دار الرعاية، وربما صلح حاله، وربما لا يصلح، فينشأ في المجتمع بلا أم ولا أب ولا أخ ولا عم ولا قريب، وربما علم أحد عن حاله فيعيره، فينقم على المجتمع ويتوغل في الفساد، وتنحرف في الغالب شخصيته. فمن الذي يرُبيه ويُوجهه ويرشده؟ الوالد الزاني الذي أشبع رغبته في لحظات ولا يُهمه إلا البحث عن أخرى؟! أم هي الأم الزانية! فممن يأخذ العطف والحب والحنان؟!!

- **خامساً: الآثار النفسية:**

يقول ابن عباس رضي الله عنه: «إن للسيئة اسوداداً في الوجه، وظلمة في

القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

فالاستقرار النفسي، والسعادة القلبية لا يجلبها الحرام هبة يهبها الله لعباده الصالحين. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

- **سادساً: الآثار الإيمانية:**

الزنا له آثار خطيرة على الإيمان فهو يخدش صفاءه، ويعكر مساره، ويكدر نقاءه، ويجعل صاحبه بعيداً عن خيار المؤمنين، بل إن إيمان الزاني يرتفع عنه كالظلة حال زناه.

يقول، عليه الصلاة والسلام: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)].

والمعنى أنه لا يفعل هذه المعصية وهو كامل الإيمان، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ينزع منه نور الإيمان. وقال المهلب ينزع منه بصيرته في طاعة الله ـ تعالى ـ[(٢)].

وقال عكرمة قلت لابن عباس رضي الله عنهما كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا ـ وشبك بين أصابعه، ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه[(٣)].

الآثار الخاصة على الزاني:

١ ـ عدم قبول وإجابة دعاء الزاني.

روى أحمد والطبراني واللفظ له: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه. فلا يبقى مسلم يدعو دعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ١/٧٦ حديث رقم (١٠٠) كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووي ١، ٢/٤١، ٤٢ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٢/٦١.

(٤) رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن فيه علي بن زيد وفيه كلام، وقد وثق. انظر: مجمع الزوائد ٣/٨٨.

ونستطتع أن نجمل الأسباب المؤدية إلى الفاحشة فيما يلي:

١ ـ غياب التشريع الإسلامي.

٢ ـ معوقات الزواج.

٣ ـ الاختلاط.

٤ ـ التبرج والسفور.

٥ ـ خلو الرجل بالمرأة.

٦ ـ السفر خارج البلاد.

٧ ـ سفر المرأة بدون محرم.

٨ ـ أجهزة الإعلام المرئي منها والمسموع، والمكتوب، والمصور.

٩ ـ جهاز الهاتف.

١٠ ـ رفقاء السوء.

١١ ـ المخدرات.

١٢ ـ العمالة الوافدة.

١٣ ـ الفقر.

١٤ ـ العشق والغرام.

١٥ ـ وفرة المادة بيد الناس.

١٦ ـ البطالة لأن العمل يشغل الإنسان ويلهيه، ومتى فرغ الشخص من الأعمال بحث عن شهواته ورغباته.

هذه أبرز أسباب الفاحشة. وهي تكثر وتقل في المجتمع حسب نسبة تدينه، وقيام أفراده بواجباتهم الشرعية، ووجود طائفة من أهل الخير تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وترغب في الفضيلة، وتنهى عن الرذيلة، فكلما قويت هذه الطائفة وكثر سوادها في المجتمع، قلت طرق الفاحشة، وسدت مسالكها.

أسباب الوقوع في الفاحشة

إن لكل جريمة أسبابها ودوافعها المؤدية إليها، وحتى نأمن وقوع أي فاحشة لا بد أن نسعى جادين إلى منع الأسباب المفضية إليها. فمتى ماوجدت الأسباب والدوافع وجدت النتيجة الحتمية غالباً.

لذا جاء الإسلام بقاعدة سد الذرائع.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ [البقرة: ١٦٨].

* أسباب الوقوع في الفاحشة:

أولاً: غياب التشريع الإسلامي:

وهذا سبب رئيسي ليس للزنا فحسب، بل لكل الإنحرافات. فغياب التشريع الإسلامي عن الأسرة أدى إلى الإنحراف، وغياب التشريع الإسلامي عن قوانين الجزاء كما هو الحال في كثير من البلاد التي لا تحكم شرع الله، أدى إلى انتشار هذه الجريمة وغيرها. وقد أجري استفتاء للمنحرفين في إحدى الدول، فكانت النتيجة أن ٢٢،٤٪ من مرتكبي جرائم هتك الأعراض كانوا يخشون الجزاء، وأن ٧٧،٦٪ لم يبالوا بالقانون.

وغياب التشريع عن ضمير الفرد وعدم مراقبته لله أدى إلى هذه الجريمة، وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقد أخبر الله عن عاقبة الذين يعرضون عن منهجه، وأنهم يعيشون في ضنك من العيش. قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ثانياً: معوقات الزواج:

الزواج هو المجرى الطبيعي لإفراغ الغريزة الجنسية وإشباعها للطرفين، والإسلام لا يتصادم مع هذه الغريزة، لأن الله هو الذي أودعها في الإنسان. لكنه يوجهها الوجهة السليمة، وهي الزواج، ومتى وضع أمام الزواج معوقات وسدود وعقبة كؤود، فإن الغريزة تصبح كالسيل الجارف في الوادي الذي وضعت فيه السدود فطغى السيل.. وطغى الشباب.. ووقعت الفاحشة.

فوضع العقبات في طريق الزواج وتعسير أموره سبب من أسباب هذه الجريمة، فالزواج هو الحصن الواقي، المانع ـ إن شاء الله ـ من هذه الجريمة، لذلك قال ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»[(١)].

وقال: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[(٢)].

فالزواج خير وسيلة شرعية، لإفراغ الغريزة الجنسية وإشباعها، وعلى أفراد المجتمع أن تتضافر جهودهم لتيسير أموره وتسهيلها، ليُقبل عليه الشباب والفتيات، ويبتعدوا عن أسباب الفاحشة. وما كان لمؤمن أن يقع مواقع الريبة، وطرق الحلال ميسرة أمامه، هذا إن كان صادق الإيمان سليم السريرة وإن حدث خلاف ذلك فليفتش عن إيمانه.

ومن أبرز معوقات الزواج:

١ ـ المغالاة في المهور:

حتى انصرف كثير من الشباب عن الزواج بسبب التكاليف الباهظة في الزواج، والطلبات المرهقة من أولياء الفتاة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر: صحيح البخاري ٣/ ٢٤ وصحيح مسلم ٤/ ١٢٨.

(٢) رواه الترمذي: انظر: صحيح الجامع الصغير١/ ١٣٤.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيا عباد الله اتقوا الله في أنفسكم، وفيمن ولاكم الله عليهن من البنات والأخوات وغيرهن، وفي إخوانكم المسلمين، واسعوا جميعاً إلى تحقيق البر في المجتمع، وتيسير سبل نموه وتكاثره، ودفع أسباب انتشار الفساد والجرائم، ولا تجعلوا نعمة الله عليكم سلماً إلى عصيانه، وتذكروا دائماً أنكم مسئولون ومحاسبون على تصرفاتكم[1] كما قال ـ تعالى ـ:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

٢ ـ دعوى إكمال الدراسة:

فمن الأمور التي تقف حائلاً دون المبادرة للزواج دعوى مواصلة الدراسة.

فالفتاة تعتبر الزواج عائقاً يقف دون تحقيق طموحاتها العلمية، وترى أن من الأفضل لها تأجيل الزواج.

والشاب يعتبر الزواج ـ أيضاً ـ عائقاً عن مواصلة دراسته.

ولذا نجد هؤلاء يعزفون عن الزواج بحجة التفرغ للدراسة، وأن الزواج عائق عن المواصلة والتفوق لأنه مسئوليه تحتاج إلى تحمل وتفرغ حتى أن بعض هؤلاء قد يقع في الحرام، ومع ذلك يعتبر هذا أيسر وأسهل من أن يقدم على الزواج الذي يُقيّد حريته ـ حسب زعمه ـ وكأن الحرية عند هؤلاء هي الإبتعاد عن الأخلاق والقيم، ولو أنهم التفتوا يمنة ويسرة ورأوا بعض الشباب الذين بادروا بالزواج وكيف استقرت أحوالهم، وتفوقوا في دراستهم بسبب هدوء النفس وراحة البال، وقلة التفكير، لوضعوا أقدامهم على الطريق الصحيح لكنهم عموا عن ذلك فكان من أمرهم ما كان.

ثالثاً: الاختلاط:

ويقصد منه اختلاط النساء بالرجال، وهذا سبب خطير من أسباب الوقوع في الفاحشة. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج. الشيخ عبد العزيز ابن باز ص٩.

«ولا ريب أن تمكين اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر».

والاختلاط أنواع:

١ ـ الاختلاط في العمل:

ففي ظل دعوى الزمالة والصداقة وحرية العمل الوظيفي تبدأ المرأة بمجالسة الرجل لقضايا العمل. ثم تبدأ الأحاديث الشخصية، ثم التلطف من الطرفين، ثم الضحك، ثم التهادي، ثم تقع الكارثة!

إن للمرأة حياءً وستراً يمنعها من الحرام، فمتى ما أسقطته فقد سهلت لنفسها الحرام.

فمشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، واختلاطها بالرجال بحجة العمل يؤدي ذلك كله إلى شر كبير، وفساد عظيم.

٢ ـ الاختلاط في بيوت الأقارب والأصدقاء:

حيث تجالس الفتاة أو المرأة المتزوجة الرجال الأجانب بحجة الصداقة لزوجها أو للعائلة أو القرابة، وهي بكامل زينتها، وقد تحدث الخلوة تحت ظل الثقة، وسقوط الكلفة، كما أن المصافحة من مباحات تلك الصداقات، والجلسات العائلية، فكم من خطيئة ارتكبت، وأعراض هتكت وأسر تهدمت من جراء هذا الإختلاط.

٣ ـ الاختلاط في أماكن التعليم والدراسة:

فيحدث التجاذب بين الجنسين، فكيف لنا أن نأمن اندفاع ذلك التجاذب عن حدوده الشرعية لا سيما عند الشباب، وقد اعترفت إحدى طبيبات الغرب، وتدعى «د. ماريون». فقالت: «وإني اعتقد أنه ليس في الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين الرجل والمرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة. وكنت أسأل بعضهن ممن يتسمن بالذكاء كيف أمكن أن يحدث ذلك؟ أي الوقوع في الفاحشة، فكانت الفتاة تجيبني قائلة.. لم أستطع أن أضبط نفسي!».

ومجتمعاتنا الآمنة يخشى عليها أن تنزلق فيما وقع فيه الآخرون، إذا لم توجد الضمانات اللازمة، والفصل التام بين الجنسين في جميع مراحل التعليم

بما فيه الكليات العلمية والتطبيقية، لئلا يحصل ما لا تحمد عقباه ولأنه لا يمكن أن نجني من الشوك العنب.

٤ ـ الاختلاط في أماكن الترفيه والأسواق:

ففي مثل هذه الأجواء الصاخبة يتسكع الشباب اللاهث وراء المتعة، وتحدث الظواهر الخطيرة من إلقاء النظرات، وتبادل أرقام الهواتف، ويبدأ شياطين الجن والإنس بنسج الشباك حول الفتاة المسكينة، والتي تقدم خطوة وتؤخر أخرى في تجربتها الأولى.

لذا أنصح أولياء الأمور بالأمور التالية:

١ ـ منع الفتيات من الذهاب إلى السوق إلا مع أحد محارمها وفي حدود ضيقة جداً.

٢ ـ أن تخرج الفتاة متسترة تماماً ومحتشمة لأن قيمتها وقدرها بما تحمله من مباديء سامية يأتي في مقدمتها الحياء والعفة.

٣ ـ المراقبة الدقيقة من أولياء الأمور لمن ولاهم الله عليهم، فلا يتركوا الحبل على الغارب دون متابعة وتوجيه.

٤ ـ المحاسبة أولاً بأول، فلا يتساهل ولي الأمر في سد باب الشر مهما كلفه ذلك من تضحيات.

٥ ـ التوعية العامة في البيت بأضرار الاختلاط والذهاب للأسواق والوقاية خير من العلاج.

رابعاً: التبرج والسفور:

فخروج النساء إلى الأسواق والمنتديات العامة متبرجات يؤجج نار الشهوة في نفوس الشباب.

لهذا نهى القرآن نهياً صريحاً عن إبداء النساء زينتهن لغير أزواجهن، وكم شاب وقع ضحية لامرأة متبرجة! وكم من امرأة خرجت متبرجة! وليس لها مقصد سيء وقعت ضحية لشباب لاهين عابثين، ولذا فمن الخير للمرأة ألا ترى الرجال ولا يراها الرجال.

خامساً: خلو الرجل بالمرأة:

سواء في المنزل أو السيارة أو العيادة أو العمل أو المحل التجاري أو غير ذلك، كما هو حال أكثر السائقين والخدم والأقارب الذين ليسوا من المحارم.

فالخلوة تفعل فعلها الشنيع بين الرجل والمرأة، لأن الشيطان ثالثهما، كيف لا وقد حذر الصادق المصدوق، ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء، قالوا أرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال الحمو الموت**»[١].

وقد بيّن عليه الصلاة والسلام علة تحريم الخلوة بامرأة أجنبية حيث قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان**»[٢].

سادساً: السفر إلى خارج البلاد:

إذ أن السفر إلى خارج البلاد سبب قوي للوقوع في الفاحشة لا سيما دول الغرب التي لا تعد الزنا جريمة، لكونه بزعمهم من كمال الحرية التي تتمتع بها المرأة، ومتى أولع الشاب بالسفر للخارج، فإن الشباك تنصب له، ويسهل اصطياده، ولا شك أن القاعدة العامة ـ من العصمة ألا تقدر ـ تتضح أكثر في مثل هذه المجتمعات المفتوحة التي لا تراعي الدين والحياء، والعفة بل فتحت الأبواب لإشباع الشهوات من أي طريق غير عابئة باختلاط الأنساب، وضياع الأخلاق، وانتهاك الحرمات، وعلى قدر توغل المجتمع في الجريمة وانغماسه في الشهوات بقدر ما تكثر المشكلات وتتسع دائرتها، ولا يعرف خطورة هذ الأمر إلا من يتصدى لعلاج مشكلات الناس وقضاياهم الخاصة، وعند الهيئات والسجون والمحاكم الخبر اليقين.

---

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ٤/ ١٧١١ رقم الحديث (٢١٧٢) باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٢) انظر: مجمع الزوائد ١/ ٢٧٩.

سابعاً: سفر المرأة وحدها بدون محرم:

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله، ﷺ قال: «**لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم**»[١].

روى الإمام مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال:

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها»[٢].

ولو كان هذا السفر للحج إلى بيت الله الحرام.

فسفر المرأة وحدها يعرضها لعبث العابثين من الكلاب الجائعة الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والأعراض، بل همهم إشباع رغباتهم بأي شكل، وعن أي طريق، وهم كثير ـ لا كثرهم الله ـ.

ثامناً: وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة:

أولاً: الوسائل المرئية، وتشمل: التلفاز، السينما، الفيديو.

ثانياً: الوسائل المسموعة، وتشمل: المذياع، المسجل.

ثالثاً: الوسائل المقروءة، وتشمل: الكتب، المجلات، الصور، والصحف.

أولاً: وسائل الإعلام المرئية:

١ ـ التلفاز:

ويعتبر من أخطر الوسائل الإعلامية لما له من تأثير كبير على المشاهد وقدرته على جذب الإنتباه، لذلك جاء في أحد التقارير العلمية لمنظمة اليونسكو أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة ٩٠٪ عن طريق النظر، ٨٪ عن طريق السمع.

---

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ٢/ ٩٧٥ كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره برقم (٤١٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي. انظر: صحيح الجامع ٥/ ٢٢٣.

بعض آثار التلفاز:

١ ـ يؤكد علماء النفس والإجتماع أن هناك علاقة ارتباط بين ازدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامي وأعمال العنف.

٢ ـ التلفاز يمكن أن يثير الدوافع الجنسية والغريزية، كما أنها تثير عواطف المراهق.

٣ـ يحرص التلفاز على إظهار المرأة بالصورة العاطفية حتى يستغرقها الحب لفتاه.

لذا نوصي بأن تخلو برامج التلفاز من هذا النوع، ليكون قناة توجيه وتعليم، وتثقيف وإرشاد، وما ذلك على الله بعزيز.

٢ ـ السينما:

وهي من الوسائل التي لا تقل خطورة عن التلفاز ـ إن لم تفقه ـ فقد استطاعت قوى الشر السيطرة عليها، وتوجيهها توجيهاً خطيراً، تستطيع من خلاله دفع الشباب والفتيات من أبناء الأمة الإسلامية إلى مفاهيم خطيرة في العلاقات الإجتماعية، وخاصة في شئون الحب والزواج، وما تعرضه من انحراف وفساد، يقول مدير التلفزيون الفرنسي:

«إنه لا يوجد منذ سنين شريط واحد يصلح للعرض لاتجاه منتجي الأفلام إلى إنجاز أفلام عنيفة أو جنسية..»[١].

٣ ـ أشرطة الفيديو:

والتي بدأت تنتشر في السنوات الأخيرة انتشاراً ذريعاً حتى هتكت ستر الحياء والدين والأخلاق عند الشباب والفتيات، حيث صاحبت إنتشار الأشرطة قضية خطيرة جداً ألا وهي الأفلام الجنسية الخالعة التي تعرض العري واللقطات الفاضحة جداً، والتي تصرع الشباب من الجنسين صرعاً إذا ما وقعوا في حبائل هذه الأشرطة.

فمشاهدة الأفلام الساقطة الخالعة عبر الشاشة المرئية المتحركة أياً كانت هذه الشاشة لها أثرها البالغ السيء على الشباب وغيرهم.

---

(١) الإعلام في ديار الأسلام د . يوسف أبو هلالة ص٦٦ دار العاصمة ـ الرياض.

فهذه الأجواء الفاسدة، والمشاهدات الآثمة، لها آثارها في النفوس، لا سيما الشباب. بحيث لا ينفع معهم نصح الآباء أو توجيه المربين والمصلحين، إلا أن يشاء الله رب العالمين.

ثانياً: الوسائل المقروءة وتشمل:

المجلات والكتب والصور والصحف:

المجلات: وهي قسمان:

١ ـ المجلات التي تحمل صور العري والخلاعة.

٢ ـ المجلات التي تحمل الأفكار المنحلة الداعية إلى الفحش والتفسخ.

وإليك الآثار السيئة للصحف والمجلات والتي تبرز في الجوانب التالية:

١ ـ عرض الصور الخليعة للنساء الساقطات من الممثلات والمغنيات والراقصات، ويتم العرض بأبهى الصور.

٢ ـ عرض الصور عبر الإعلانات التجارية والتي غالباً ما تستخدم المرأة فيها كوسيلة لإثارة الدعاية.

٣ ـ تتبع أخبار الساقطات على أنهن قدوات لغيرهن من النساء مما يثير في النفوس الخاوية الرغبة في تقليدهن في اللباس والزينة.

٤ ـ تعمد الإكثار من الزوايا التي تعرض صوراً للنساء بتبرجهن وزينتهن مما يشجع غيرهن على التسابق بوضع صورهن.

٥ ـ عرض القصص والروايات التي يجد فيها أدباء الجنس بغيتهم في نشر الميوعة والإنحلال. يقول الدكتور مصطفى السباعي ـ يرحمه الله ـ: «إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم في صرح كياننا الداخلي، المتين، وهم في هذا الطريق الذي اختطوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة، ولا يندفعون وراء عقولهم، بل وراء أهوائهم وشهواتهم، وهم يبغون منه الإثراء المادي، بنشر هذا الأدب الرخيص المدمر بين الشباب والفتيات ليقبلوا عليه، ويلتهموا ما فيه»[1].

---

(١) العفة ومنهج الإستعفاف يحيى بن سليمان العقيلي ص٥٧.

نماذج مما تنشره المجلات

١ ـ نشرت إحدى المجلات عنواناً بارزاً: (ماذا يجب على الزوجة أن تفعل عندما يخون الزوج)؟! وكان الحل عبر رواية فيلم[١]. وفحوى الحل ماذا فعلت المرأة يوم علمت بالخيانة؟ هل أقامت الدنيا وأقعدتها، ونصحت زوجها وطلبت الطلاق كما تفعل بعض الزوجات؟ الرواية تقول: أن الزوجة المحبة لزوجها الحريصة على استمرار حياتها وبيتها مقتنعة أن زوجها يخونها بجسده، ولكن قلبه معها، فالخيانة الجسدية أمر طارئ يفيق منه الإنسان نادماً آسفاً. أما الخيانة العاطفية، وهو الأخطر، فهي اضطراب أساسي في الوجدان لا يجدي معه إصلاح أو رجعة! الزوجة العاقلة تعرف أنها مرحلة مؤقتة وحرة في حياتها الزوجية، ولكنها ليست مبرراً للهدم[٢].

٢ ـ ونشرت إحدى المجلات عن أصحاب أحد المطاعم قوله:

وإنما أتمنى أن يسمح للفتاة السعودية بأن تمارس مهنتها الأساسية في الطبخ في المطاعم والعمل بأعمالها من الغسيل والنطافة والطهو في حدود تعاليم ديننا الحنيف، بحيث لا يكون هناك اختلاط وإنما تقديم الوجبات من خلال سيور متحركة لا تنكشف المرأة أمام الرجال، والمحاسب يتلقى الطلبات من خلال نوافذ ساترة ثابتة، وهذا من شأنه إعطاء الفرصة للمرأة في الإسهام في الخدمة المطعمية.

٣ ـ صورة أخرى: نشرت إحدى المجلات موضوعاً بعنوان: نقص فيتامين «د» في السّعودية من المألوف أن تظهر أعراض فيتامين «د» في البلدان

---

(١) الفيلم لإحسان عبد القدوس.

(٢) طبيبك الخاص العدد (٦٥) ١٠ مايو عام ١٩٧٤م.

التي تغيب الشمس من سمائها معظم أيام العام، وخاصة مرض الكساح عند الصغار، ومرض لين العظام عند الكبار؛ لأن الأشعة فوق البنفسجية تؤثر على مادة الجلد، التي تنتمي إلى الكوليسترول، لهذا فمن غير المألوف أن يعاني سكان المناطق الحارة والمدارية من أمراض نقص هذا الفيتامين، غير أن مجلة طب المناطق الحارة نشرت بحثاً أكد معه كاتبه أن نقص فيتامين «د» ينتشر في السعودية ـ أيضاً ـ وخاصة بين النساء.

بالرغم من سماء السعودية الشمسة، وفي البحث عن سبب انتشار هذه الظاهرة بين النساء دون الرجال لم يجد الأطباء سبباً سوى الرداء الأسود التقليدي الذي يحجب أية أشعة فوق البنفسجية من أن تصل إلى الجسم.

غير أن الأطباء اكتشفوا مؤخراً ظهور حالات لنقص فيتامين «د» بين الرجال ـ أيضاً ـ من السعودية أو غيرهم مما أوحى للباحثين أن طبيعة الطعام السعودي يتميز بنقص هذا الفيتامين، ومن هنا ينصحون بتعمد التعرض لأشعة الشمس وتدعيم الطعام السعودي بفيتامين«د».

هذه نماذج مما نشر من هراء دافعه الحقد على هذا المجتمع الآمن، ومحاولة كسر حاجزه الصلب. ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد، فيسمنون بالهزيمة في الدنيا ـ بمشيئة الله ـ وبالعذاب في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المسموع من أجهزة الإعلام:

فيأتي في مقدمتها الغناء فهو بريد الزنى، وداع من دواعيه، لا سيما إذا صحبه كلمات الفحش والعشق والغرام يقول ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال محمد بن الحنفية الزور هاهنا: الغناء.

ويقول ـ تعالى ـ:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١].

قال عكرمة عن ابن عباس: السمود الغناء. في لغة حمير يقال: اسمدي لنا أي غني لنا[١].

ويقول ـ تعالى ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [لقمان: ٦].

ويقول، عليه الصلاة السلام:

«ليكونن من أمتي قوم يستحلُّون الحر والحرير والخمر والمعارف»[٢].

إن الغناء من أكثر الأسباب الداعية للفاحشة، ومن كان له إطلاع على حياة كثير من الشباب والفتيات الذين فتنوا بهذا الغناء الماجن الذي أصبح يسمع في البيوت بل في الأسواق والحدائق، وفي بعض المناسبات، ومتى تملك حب الغناء في القلب سهل اصطياده، وبالتالي إيقاعه في شرك الجريمة، نسأل الله أن يغسل قلوبنا من حب كل أمر محرم.

تاسعاً: الهاتف:

قد يستغرب بعض الناس أن يكون هذا الجهاز ذو الفائدة العظيمة سبباً من أسباب وقوع الفاحشة.



---

(١) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ابن القيم ١/٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري ٤/١٣ رقم الحديث (٥٥٩٠) كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميها بغير اسمها.

المعاكسات الهاتفية وأثرها

١ ـ إن المعاكس ذئب … يغري الفتاة بحيلة
٢ ـ يقول هيا تعالي … إلى الحياة الجميلة
٣ ـ قالت أخاف العار … والإغراق في درب الرذيلة
٤ ـ والأهل والإخوان … والجيران بل كل القبيلة
٥ ـ قال الخبيث بمكر … لا تقلقي يا كحيلة
٦ ـ إنا إذا ما التقينا … أمامنا ألف حيلة
٧ ـ متى يجيء خطيبٌ … في ذي الحياة المليلة
٨ ـ لكل بنت صديق … وللخليل خليلة
٩ ـ يذيقها الكأس حلواً … ليسعدا كل ليلة
١٠ ـ للسوق والهاتف والملهى … حكايات جميلة
١١ ـ إنما التشديد … والتعقيد أغلال ثقيلة
١٢ ـ ألا ترين فلانة … ألا ترين الزميلة
١٣ ـ وإن أردت سبيلاً … فالعرس خير وسيلة
١٤ ـ وانقادت الشاة … للذئب على نفس ذليلة
١٥ ـ فيالفحش أتته … ويا فعالٍ وبيلة
١٦ـ حتى إذا الوغد أروى … من الفتاة غليله
١٧ ـ قال اللئيم وداعاً … ففي البنات بديلة
١٨ ـ قالت ألَّما وقعنا … أين الوعود الطويلة
١٩ ـ قال الخبيث وقد … كشر عن مكر وحيلة
٢٠ ـ كيف الوثوق بغرٍّ … وكيف أرضى سبيله
٢١ ـ من خانت العرض يوماً … عهودها مستحيلة

٢٢ـ بكت عذاباً وقهراً | على المخازي الوبيلة
٢٣ ـ عار ونار وخزيٌ | كذا حياة ذليلة
٢٤ ـ من طاوع الذئب يوماً | أورده الموت غيلة

عاشراً: رفقاء السوء:

وهم أخطر ما يكون على حياة القلب السليم، فكم من شاب زلت قدمه، فوقع في الفاحشة، ووقع في هاوية سحيقة ما لها من قرار بسبب الرفقة السيئة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٩].

ويقول، عليه الصلاة والسلام:

«**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير**»[(١)].

فإياك إياك والرفقة السيئة الغاوية.

يقول أحد الشباب الذين وقعوا في الفاحشة بسبب النظر إلى الأفلام: إن أول مرة شاهدت فيها هذه الأفلام كان منذ سنين حين كنت في زيارة لأحد أصدقائي.

أحد عشر: المسكرات وخاصة المخدرات:

المخدرات ذلك السلاح الذي استغله أعداء الإسلام، ليحطموا به شباب المسلمين، ويهدموا جسور الأخلاق عندهم، وجعلهم ينغمسون في وحل الرذيلة والفاحشة.

فمن المسلمات أن المرء إذا زال عقله ساغ له أن يزني ويفعل كل شيء.

ومن المحزن حقاً أن شبابنا امتدت أيديهم إلى هذه المسكرات والمخدرات، وأقدموا بسبب ذلك على كل جريمة، فيتموا أطفالهم ورملوا

(١) صحيح الجامع ٥/ ١٩٥.

زوجاتهم. وهناك قصص يشيب لها رأس الرضيع، فمن متعاطي المخدرات من وقع على أخته، ومنهم من أرخص عرضه للحصول على المخدر، إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية والجرائم البشعة[١]!!.

إثنا عشر: العمالة الوافدة:

من خدم وسائقين وخادمات ومربيات وغيرهم، وكم حصل بسبب هؤلاء من المآسي الكثيرة التي تفرق بسببها أسر، وضاعت أخلاق، وتشردت أطفال، إن وجود السائق في البيت وتهاون الناس في دخوله على المحارم جعل هذا الرجل وهو غير مسلم أحياناً يتعرض للنساء بكل وسيلة متاحة له، فتارة يصف شعره، وتارة بتجميل ملابسه، وثالثة بوضع الأصباغ على وجهه والنساء في البيت ينظرن إليه صباح مساء، وأحياناً يغفل الرقيب، ويخلو بهن، ويكون الثالث الشيطان، فيحدث ما لا تحمد عقباه، وكم من فتاة ذاقت الويلات بسبب وقوع السائق عليها، وكم ولي أمر سافر بابنته لبلد آخر لتضع فيه بعيداً عمن يعرفونهم، والذي يزيد المسلم حسرة وألماً أن بعض الناس يدرك ذلك، وإذا تحدثت معه عن خطر السائقين، قال نعم! وقد حدث كذا وكذا، ولكن إذا جاء التطبيق وجدت مثل هذا المسكين يضعف أمام نسائه، وأحياناً أمام أعراف وعوائد ما أنزل الله بها من سلطان.

أما مصائب الخدم والخادمات فحدث عنها ولا حرج، ولعل في دوائر الهيئات والسجون والمحاكم، ما يقنع كل منصف وعاقل.

ثلاثة عشر: الفقر:

لقد كفل الإسلام الحياة الرغيدة، والعيش الطاهر في ظل حمى الإسلام. وكل مجتمع فيه الغني وفيه الفقير، وهذه حكمة الله حيث يقول ـ سبحانه ـ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فإذا وجد في المجتمع فالمسئولية هنا تقع على ولاة أمر المسلمين، بأن

---

(١) راجع كتاب المخدرات في الفقه الإسلامي د. عبد الله بن محمد الطيار.

يكفلوا لهذا المحتاج ما يحتاجه، ويمنعوه من الوقوع في الحرام بسبب الفاقة.

وكذلك الحال بالنسبة لأغنياء المسلمين، فالواجب عليهم أن يعطوا زكاة أموالهم كاملة غير منقوصة، ويتحسسوا الأرامل والمطلقات، ليعفوهن من الوقوع في الحرام تحت ضغط الحاجة.

ومع ذلك لا يجوز للمرأة أن تزني تحت هذا الظرف.

أطعمة الأيتام من كد فرجها لك   الويل لا تزني ولا تتصدق

وعلى من يتصيدون مثل هذه الظروف أن يتقوا الله ﷻ وأن يتقوا يوماً يرجعون فيه إلى الله، ويتذكروا أن لهم عورات وحرمات، وأن هتكهم لعورات الآخرين معناه هتك الآخرين لعوراتهم.

أربعة عشر: العشق والغرام:

فالعشق والحب والغرام من أسباب الوقوع في الفاحشة إذ أن العشق تعلق القلب بالمعشوق أياً كان، وكم من شاب وفتاة كان العشق نهايتهما، فلينتبه الغافلون، وليعقل العابثون.

نهاية عشق مأساوي:

يروى أن رجلاً عشق حتى اشتد كلفه بمن عشق، ومرض بسبب معشوقه مرضاً ألزمه الفراش، وتمنع المحبوب عليه، واشتد نفاره عنه، فلم تزل الوسائط بينهما حتى وعد المعشوق بأن يعود العاشق فأخبره بذلك الناس، ففرح واشتد فرحه وانجلى غمه، وجعل ينتظر للميعاد الذي ضرب له، فبينما هو كذلك إذا جاءه الساعي فقال له: إنه وصل معي إلى بعض الطريق، ورجع، فلما سمع العاشق البائس أسقط في يده، وعاد أشد مما كان عليه، وبدت عليه علامات الرحيل من الدنيا، فجعل ينشد هذه الأبيات:

أسلم يا راحة البال العليل   ويا شفاء المدنف النحيل

رضاك أشهى إلى فؤادي   من رحمة الخالق الجليل

فقيل له يا فلان اتق الله! فقال قد كان، فما جاوز باب داره حتى سمع صيحة الموت.

سبل الوقاية من الزنا:

قدم الإسلام العديد من التدابير التي تساعد على تهيئة المناخ الإسلامي الذي من شأنه أن يقلل من الوقوع في الزنا، ولو التزمت المجتمعات بهذه السبل لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من الوقوع في الفواحش والتساهل في الحشمة والحياء! ولكن متى يستقيم الظل والعود أعوج.



إتخاذ الإسلام منهاج حياة..

الحقيقة البينة والثابتة شرعاً وتاريخاً وواقعاً أن هذه الأمة ما إن تبتعد عن شريعة الله قيد شعرة إلا وتكالبت عليها المصائب والأزمات من خارجها ومن داخلها. كيف لا والله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد أنذر وتوعد في القرآن الكريم الأمة المعرضة عن دينه. فقال ـ جل وعلا ـ محذراً: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ومتى اتخذ الأفراد على جميع مستوياتهم الإسلام منهجاً لحياتهم فإن الإيمان سيمنعهم ـ بإذن الله ـ من الوقوع في الحرام، لأنهم يمتثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

أتى رجل إلى امرأة وأراد أن يعتدي عليها، وقال لها لا أحد يرانا إلا هذه الكواكب، فقالت له: أين مكوكب الكواكب! وحتى لو زلت القدم ووقع بالزنا فإن ضميره يعذبه ويؤنبه.



الزواج

هو الطريق الفطري، الذي يحقق للطاقة الغريزية هدفها الإنساني، فضلاً عن تحقيقه للأنس والإستقرار، والراحة والمتعة الحلال.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

غض البصر:

فإنه من الأسباب القوية الواقية من الزنا، لذلك أمر الله ـ تعالى ـ بغض البصر، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾ [النور: ٣٠].

فكم من نظرة عابرة قتلت قلب صاحبها، وأوردته المهالك. فكثير من الشباب يتهاون في إطلاق بصره على الصور الفاضحة القاتلة، سواء عبر الشاشة أو المجلة أو إلى النساء مباشرةً. ثم ترتسم الصورة في ذهنه فتثور نفسه، ومن ثم يبحث عما يطفيء ما سببته هذه النظرة، وصدق من قال:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير موقوف على خطر
يسد مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضرر



منافع وفوائد غض البصر عن المحرمات[١]

١ ـ أنه امتثال لأمر الله ـ تعالى ـ الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.

٢ ـ أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي فيه هلاكه إلى قلبه.

٣ ـ أنه يورث القلب أنساً بالله، وجميعه عليه فإن إطلاقه يفرق القلب ويشتته.

٤ ـ أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

٥ ـ أنه يلبس القلب نوراً وإشراقاً كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة.

٦ ـ أنه يورث فراسة صادقة، يميز بها بين الحق والباطل، فإن صحة الفراسة من النور.

٧ ـ أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب، فإنه يدخل مع النظرة أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.

٨ ـ انه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاقه ينسيه ذلك، ويلهيه عنه.

٩ ـ أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يجعل أحدهما يصلح بصلاح الآخر، ويفسد بفساده.

١٠ ـ أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة،

(١) الجواب الكافي ابن القيم ٢١١ وما بعدها.

ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه، وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

١١ ـ تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب. إرسال البصر فإنه يريد ما يشتد طلبه إليه، ولا صبر له ولا وصول إليه، وذلك غاية ألمه.

١٢ ـ أنه يورث القلب سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه، الله ـ سبحانه ـ مسرة ولذة أكمل منها.

١٣ ـ أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير.

١٤ ـ أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظته للعواقب، ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب النظر عليه لما أطلق بصره.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سبباً حتى يفكر ما تجني عواقبه

١٥ ـ أنه يخلص القلب من سكر الشهوة، ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر.



من صور العفاف ومراقبة الله

١ ـ يوسف عليه السلام:

شاب في ريعان الشباب والفتوة، دعته امرأة ذات منصب وجمال، والظروف مهيأة، والأبواب مغلقة، والسبل ميسرة كما قال ـ تعالى ـ:
﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣].

فماذا كان موقف يوسف، عليه السلام أمام هذا الإغراء اللامع، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار، هل خضع لها واستسلم لنزعة النفس؟ لا!
وإنما قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولقد حاولت امرأة العزيز بإغرائها وكيدها أن تلين من قناة يوسف وصلابته. إلا أنه استعف والتجأ إلى الله يسأله السلامة والعصمة بل إنه آثر السجن على الفاحشة، كما قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

٢ ـ امرأة مؤمنة:

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد، وغاب عنها كثيراً، وهنا تخيّم عليها كآبة الوحشة، وتهجم عليها هواجس الوحدة، ويثور في عرقها دم الأنوثة، وتتأجج فيها نار الغريزة، فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا ضمير الإيمان ووازع المراقبة لله.

وفي جنح الليل سمعها عمر رضي الله عنه تنشد وتقول:

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا حبيب ألاعبه
فو الله لو لا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين، وقال لها كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب؟

قالت أربعة أشهر.

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم: ألا يحبسوا جندياً عن أهله أكثر من أربعة أشهر[١].

٣ ـ الربيع بن خيثم:

عرض قوم من أهل السوء على امرأة ذات حسن بارع وجمال قاهر ألف درهم مقابل أن تغوي الربيع بن خيثم الشاب العابد، فلبست أحسن ما قدرت عليه من اللباس والزينة. ثم تعرضت له حين خرج من المسجد فراعه أمرها. فاقبلت عليه وهي سافرة، فقال الربيع بن خيثم:

كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لون بهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها أنها كانت تلقب بعابدة بغداد[٢].

* كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والإجتهاد، وكان أحد الزهاد فنظر يوماً إلى جارية فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل ما نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمها، واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك، لذلك مع وجدي بك، فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي، فقال للرسول: لا واحدة من هاتين

(١) الإسلام والجنس د. عبد الله ناصح علوان ص١٦، ١٧.
(٢) كتاب التوابين ابن قدامة ٢٦٢.

الخصلتين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهبها، فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ماقال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله ـ تعالى ـ والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العبادة فيها لمشتركون. ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها وأصبحت عابدة(١).



(١) كتاب التوابين. ابن قدامة المقدسي ص٢٦٧.

نصائح غالية

١ ـ يقول عليه الصلاة والسلام:

«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[١].

٢ ـ الجوارح الناطقة:

إنه مشهد رهيب يوم أن تنطق جوارحك يوم القيامة شاهدة عليك عند الله، وقد كنت تسعى لإمتاعها بالحرام في الدنيا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١].

ضحك النبي، ﷺ فسئل عن ذلك، فقال:

«عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ فيقول ـ تبارك وتعالى ـ: أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيردد الكلام مراراً فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول بعداً لكن وسحقاً عنكن كنت أناضل»[٢].

٣ ـ الجزاء من جنس العمل:

أتظن ـ أخي الشاب ـ أنك إذا أطلقت العنان لشهوات نفسك، دون وازع من دين، أو رادع من ضمير، أو ضابط من سلوك، أنك في مأمن وسلام؟

---

(١) صحيح الجامع ٥/ ٣٧٢.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩).

أتظن حين تعبث بأعراض الناس أنك لا تبتلى بمن يعبث بأعراضك؟
إن كان هذا يهمك فاسمع قول الإمام الشافعي:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إذا أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكاً حرم الرجال وقاطعاً ... سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حراً من سلالة ماجد ... ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم
من يزنِ يُزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهم[(١)]

٤ ـ باب التوبة مفتوح:

قال ـ تعالى ـ:
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

نعم إن باب التوبة مفتوح، والله أرحم بعباده منهم بأنفسهم. ولكن متى ينتصر المسلم على هواه وشهواته وعواطفه؟! متى يقف مع نفسه وقفة الرجال الشجعان الذين لا يطلقون لشهواتهم العنان؟! بل تكون عواطفهم ورغباتهم موزونة بشرع الله، محفوفة بآداب الإسلام وأخلاق القرآن.

٥ ـ خطر ممنوع الاقتراب:

قال ـ تعالى ـ:
﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ١].

لو أن إنساناً وجد لوحة مكتوب عليها [خطر ممنوع الاقتراب] لابتعد عنها وأبعد كل من يحب، ولكنه يقرع سمعه في كل وقت النهي عن حدود الله، ومنه الاقتراب منها، ومع ذلك يقترف ذلك جهاراً نهاراً والله مطلع عليه يعلم ـ سبحانه ـ خائنة الأعين وما تخفي الصدور!!.

(١) ديوان الإمام الشافعي جمع وشرح نعيم زرزور للإمام الشافعي ٩/٩٨ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٠٦هـ.

كتاب

فيض الرحيم الرحمن

في أحكام ومواعظ

رمضان

الجزء الأول

تقدم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فإن لما كان المسلمون بحاجة إلى بيان أحكام دينهم عموما وأحكام عباداتهم على وجه الخصوص لا سيما أركان الإسلام فقد اهتم علماء المسلمين قديما وحديثا ببيان أحكام صيام شهر رمضان المبارك الذي هو أحد أركان الإسلام وما تتطلبه هذه العبادة العظيمة كغيرها من العبادات من إخلاص لله ومتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في أدائها وتجنب لما يخل بها من الأقوال والأعمال والمقاصد.

ومن ذلك ما كتبه أخونا الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار من مؤلف مفيد في هذا الموضوع أسماه: (فتح الرحيم الرحمن) وقد قرأته فوجدته كتابا قيما مفيدا يشتمل على أحكام ومواعظ تفيد المسلم وتحرك القلوب وترسم المنهج الصحيح للصائم القائم في هذا الشهر المبارك فهو إسهام جيد من المؤلف وفقه الله في توجيه المسلمين إلى الطريقة الصحيحة. فجزاه الله خيرا وأثابه وجعل عملنا وعمله صالحا خالصا لوجهه الكريم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فإنه لما كان المسلمون بحاجة إلى بيان أحكام دينهم عموماً وأحكام عباداتهم على وجه الخصوص لا سيما أركان الإسلام فقد اهتم علماء المسلمين قديماً وحديثاً ببيان أحكام صيام شهر رمضان المبارك الذي هو أحد أركان الإسلام وما تتطلبه هذه العبادة العظيمة كغيرها من العبادات من إخلاص لله ومتابعة للرسول ﷺ في أدائها وتجنب لما يخل بها من الأقوال والأعمال والمقاصد.

ومن ذلك ما كتبه أخونا الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار من مؤلف مفيد في هذا الموضوع أسماه: «فيض الرحيم الرحمٰن» وقد قرأته فوجدته كتاباً قيماً مفيداً يشتمل على أحكام ومواعظ تفيد المسلم وتحرك القلوب وترسم المنهج الصحيح للصائم القائم في هذا الشهر المبارك فهو إسهام جيد من المؤلف وفقه الله في توجيه المسلمين إلى الطريق الصحيح.

فجزاه الله خيراً وأثابه وجعل عملنا وعمله صالحاً خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كرم الإنسان بالعلم والحجى، وهدى المؤمنين بنور الكتاب الذي لم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي من تبعه فقد نجى، الذي أنزل إليه القرآن الكريم فأشرق الصبح وزال الدجى. أما بعد... فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

الصيام أحد أركان الإسلام ومبانية العظام، شرعه الله لمصالح كبيرة تنفع المسلمين في الآجل والعاجل وخصه بأحكام كثيرة يحتاج المسلم إلى معرفتها والعمل بها ليكون صومه صحيحاً وعمله صائباً وقد بين أهل العلم أحكام الصوم، وفصلوها في مظانها من مؤلفاتهم ودرج بعضهم على تأليف كتاب يقرأ على المسلمين في رمضان يجمع أحكام الصيام وغيرها مما يحتاجه المسلم في شؤون دينه ودنياه وتلك سنة حميدة؛ لأن الناس يقبلون في هذا الشهر على سماع المواعظ والتأثر بها، فكلما كانت الموعظة شاملة والحكم مبيناً بدليله كان ذلك أدعى للقبول والانصياع، ومن هذا المنطلق قمت بوضع هذه الدروس، ولسائل أن يسأل أليست الكتب في هذا الشأن كثيرة، فلماذا الكتابة فيها؟ وأقول أن سبب الكتابة فيها أمور ثلاثة:

أولها: طلب مني من طلبه عندي محل القبول والتقدير أن أضع كتاباً في دروس رمضان يجمع بين الحكم بدليله والموعظة السليمة من الشوائب فسارعت لتلبية طلبه وتحقيق رغبته وفاء وتقديراً وعرفاناً بالجميل لأهله.

ثانياً: اطلعت على كثير من الكتب المعنية بهذا الشأن فرأيتها بين كتاب علمي لا يناسب عامة الناس، وكتاب يهتم في الجملة بالوعظ على حساب الأحكام الشرعية، فرأيت أن، أضع كتاباً بجمع بين الأحكام الشرعية التي يحتاجها الصائم وغيره وبين الموعظة الهادفة والتوجيه الصادق بأسلوب سهل يناسب عامة الناس.

ثالثها: تم تكليفي بكتابة مؤلف في الصيام على غرار ما صدر ـ حول الزكاة ـ فلما رأيت المادة العلمية متوفرة ناسب أن أصوغ كلمات وعظية لعل الله أن ينفع بها ويجعلها ذخراً لي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد جعلت الكتاب في فصول ثلاثين، كل فصل منها تناسب قراءته في ليلة من ليالي شهر رمضان ورأيت أن أقسم كل فصل إلى قسمين، قسم: يشتمل على حكم شرعي بدليله، وقسم يشتمل على موعظة أو توجيه، وقد حليته بما يناسب من الأشعار لأنها تحرك النفوس وتروح عنها.

وأخيراً أيها القارئ الكريم أحملك أمانة النصيحة، فما رأيت فيه من ملاحظات أو هفوات، فابعث بها إلي وأنت صاحب الفضل والمعروف، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وكم من كتاب لو أعاد النظر فيه مؤلفه لغير وبدل وزاد ونقص، وهذا دليل على النقص المجبول عليه سائر البشر ويأبى الله إلا أن تكون العصمة لكتابه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أسأل الله جل وعلا أن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه ومن اطلع عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد الطيار

الزلفي مساء يوم الأحد ١٠/ ٤/ ١٤١١هـ

المجلس الأول

فصل في:

ـ فضل شهر رمضان.

ـ حكم الصيام.

فضل شهر رمضان

الحمد لله اللطيف المنان العظيم السلطان الرؤوف الرحمٰن القوي الديان الكريم على توالي الزمان جل عن شريك وولد وعز عن الاحتياج إلى أحد وتقدس عن نظير وانفرد علم ما يكون وأوجد ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ودحى الأرض على الماء وأوسعها والسماء رفعها ووضع الميزان يسعد ويشقي ويعز ويذل كل يوم هو في شأن أنعم على هذه الأمة بتمام إحسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه وجعل شهر رمضان مخصوصاً بعميم غفرانه، شهر أنزل الله فيه القرآن أحمده على ما خصنا به من الصيام والقيام وأشكره على بلوغ الآمال وإسباغ الأنعام وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الذي لا تحيط به العقول والأذهان. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل خلقه وبريته المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ﷺ.

وعلى أبي بكر رفيقه في الغار، وعلى عثمان فاتح الأمصار، وعلى عمر شهيد الدار، وعلى علي راسخ الإيمان، وعلى آله وصحبه كلما تعاقب الحدثان وسلم تسليماً. . .

أما بعد، فقد جاء رمضان فأهلاً به وسهلاً، اللهم أهله علينا بالسلامة والإسلام والأمن والإيمان واغفر لنا ذنوبنا وأعتقنا منها يا منان.

إخوة الإيمان:

قد نزل بساحتكم شهر رمضان كريم وموسم عظيم خصه الله بالتشريف والتكريم وأنزل فيه القرآن العظيم وفرض صيامه على جميع المسلمين وسن قيامه الرسول الكريم شهرُ إجابة الدعوات ومضاعفة الحسنات ورفع الدرجات

وإجزال الهبات وكثرة النفحات، شهرُ تكفير السيئات والصفح عن الموبقات وإقامة العثرات، شهرٌ فضل الله أوقاته على سائر الأوقات وخصه بأسمى الصفات

فيا ذوي الهمم العالية، والمطالب السامية اغتنموا الفرصة قبل الفوات، وسارعوا مع الصالحين إلى الخيرات، وتعرضوا في هذا الشهر لعظيم النفحات لعل الله أن يتجاوز عنكم كثير الخطيئات.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**»(١).

كان المسلمون يستقبلون شهر رمضان بقولهم: «اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر فسلمه لنا وسلمنا له وارزقنا صيامه وقيامه وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والنشاط وأعذنا فيه من الفتن وذلك لما يعلمون من فضل رمضان وسعة فضل الله عليهم فيه وما ينزله تعالى على عباده من الرحمات ويفيضه عليهم من النفحات ويوسع عليهم من الأرزاق والخيرات ويجنبهم فيه من الزلات حيث يفتح لهم أبواب الجنان ويغلق عنهم أبواب النيران ويصفد فيه مردة الجان فهو للأمة ربيعها وللعبادات موسمها وللخيرات سوقها.

فلا شهر أفضل للمؤمن منه ولا عمل يفضل عما فيه فهو بحق غنيمة المؤمنين.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة من الأمم قبلها**»:

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى، ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة.

قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر، قال: **لا ولكن العامل إنما يوفى**

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢/ ٢٢٧، صحيح مسلم ٣/ ١٢١.

أجره إذا قضى عمله»[١].

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما	فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهداً	فإنه شهر تسبيح وقرآن
كم كنت تعرف ممن صام في سلف	من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهمو	حياً فما أقرب القاصي من الداني

إخواني: بلوغ شهر رمضان نعمة كبيرة، فكم من شخص تحت الأجداث يتمنى أن يقول لا إلٰه إلا الله، وكم من عاجز عن الصوم يتمنى الصيام، وكم من عاجز عن القيام تتلهف نفسه للقيام وأنتم تعيشون في صحة تامة وأمن وأمان فاغتنموا أوقاته قبل الندم وضاعفوا العمل من غير سأم لعل الله أن يقبل منكم القليل ويعفو عن الكثير[٢].

شعراً:

فحافظ على شهر الصيام فإنه	لخامس أركانٍ لدين محمد
تُغَلَّقُ أبواب الجحيم إذا اتى	وتفتح أبواب الجنان لمسعد
ويرفع عن أهل القبور عذابهم	ويصفد فيه كل شيطان معتد
ويبسط فيه الرزق للخلق كلهم	ويسهل فيه فعل كل التعبد
تزخرف جنات النعيم وحورها	لأهل الرضا فيه وأهل التهجد
وقد خصه الله الكريم بليلة	على ألف شهر فضلت فلترصد
فقم ليله واقطع نهارك صائماً	وصن صومه عن كل سوء ومفسد

(١) رواه الإمام أحمد. المسند ٢/ ٢٩٢.

قال في الترغيب والترهيب: رواه أحمد والبيهقي والبزار، ورواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب». انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٩١، وانظر: مجمع الزوائد ٢/ ١٤٠.

(٢) نهاية المحتاج للرملي ٣/ ١٤٨، حاشية ابن عابدين ٢/ ٣٧٠، المغني لابن قدامة ٤/ ٣٢٤، مجالس شهر رمضان لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ص٤، عقد الجمان في وظائف رمضان للبابطين ص١١.

حكم الصيام

لما تقدم من الفضائل لشهر رمضان كتب الله على المسلمين صومه، ولما كان فطم الأنفس عن شهواتها وحجبها عن مألوفاتها من أصعب الأمور تأخر فرضه إلى السنة الثانية للهجرة ولما توطنت القلوب على التوحيد وتعظيم شعائر الله نقلت إليه بالتدريج فبدئ به على التخيير مع الترغيب في صومه لأنه كان قد شق على الصحابة رضي الله عنهم فكان من أراد أن يفطر ويفتدي فعل، ومن أراد أن يصوم فعل.

وصيام رمضان من أركان الإسلام وأحد مبانيه العظام لا يتم إسلام المرء إلا به، والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

ومن السنة:

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء**

الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً»[١].

وما رواه طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام قال: «**شهر رمضان**» قال: هل علي غيره؟ قال: «**لا إلا أن تطوع شيئاً**»، قال: فأخبرني ماذا فرض الله علي من الزكاة، فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً، فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق..**»[٢].

وأما الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان وأن من جحد وجوبه فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل على غير ملة الإسلام، لا يغسل، ولا يكفن ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، بل يحفر له حفرة بعيداً عن الناس ويدفن لئلا يؤذي برائحته.

وقد نقل الإجماع الكاساني رحمه الله في بدائع الصنائع، والنووي رحمه الله في المجموع، وابن قدامة رحمه الله في المغني.

وأما المعقول:

فمن وجوه..

أحدها: أن الصيام وسيلة إلى شكر النعمة إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع وهي من أجل النعم وأعلاها والامتناع عنها زماناً معتبراً يعرف قدرها إذ النعم مجهولة فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر وشكر النعم فرض شرعاً وعقلاً وإليه أشار الله سبحانه وتعالى في آية الصيام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثاني: أنه وسيلة إلى التقوى لأنه إذا انقادت نفسه للامتناع عن الحلال

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١/٨، وصحيح مسلم ١/ ٣٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢ص٣١، وصحيح مسلم ١/ ٣١.

طمعاً في مرضاة الله تعالى وخوفاً من أليم عقابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سبباً للارتقاء عن محارم الله وإليه وقعت الإشارة في آخر آية الصوم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

الثالث: أن في الصوم قهر الطبع وكسر الشهوة؛ لأن النفس إذا شبعت تمنت الشهوات وإذا جاعت امتنعت عما تهوى، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى الصيام لمن لم يجد الباءة: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(١)(٢)].

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ووفقنا للتزود من التقوى قبل النقلة وارزقنا اغتنام الأوقات في ذي المهلة وتجاوز عنا ما اقترفنا من الخطأ والزلة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٤، وصحيح مسلم ٤/ ١٢٨.

(٢) انظر: بدائع الصنائع ٢/ ٧٥، والمجموع ٦/ ٢٤٨، والمغني ٤/ ٣٢٣.

المجلس الثاني

فصل في:

- فضل رمضان.
- حكم من أفطر في رمضان بغير عذر.

فضل الصيام

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكوراً وحقق آمال الآملين برحمته، فمنحهم عطاء موفوراً وبسط بساط كرمه على التائبين فأصبح وزرهم مغفوراً وأسبل من نعمه على الطالبين وابلاً غزيراً.

أحمده أن أفاض على عباده جزيل الإنعام، ووفقهم للصالحات على الدوام.

فلو رأيتهم وقد هجروا لذيذ المنام وأداموا لربهم الصيام وصلوا بالليل والناس نيام يتسابقون كل يسأل حاجته.

واحد يسأل العفو عن زلته، وآخر يسأل التوفيق لطاعته، وثالث يستعيذ به من عقوبته، ورابع يرجو منه جميل مثوبته، وخامس يشكو إليه ما يجد من لوعته، وسادس شغله ذكره عن مسألته، فسبحان الله من وفقهم، وغيرهم محروم أحمده سبحانه، فرض علينا الصيام، وسن لنا رسوله المصطفى القيام، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تفرد بالكمال والدوام وتقدس عن مشابهة جميع الأنام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صفوة الأنام، وعلى آله وصحبه البرّرة الكرام وعنا معهم بمنك وكرمك ما تعاقبت الدهور والأيام.

إخوة الإيمان:

لقد جاءت آيات بينات محكمات في كتاب الله المجيد تحض على الصوم تقرباً إلى الله ﷻ وتبين فضائله من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ

وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقد بين الرسول ﷺ في الثابت والسنة أن الصوم حصن من الشهوات وأنه وقاية من النار وأنه سبب لدخول الجنة وأن فيها باباً خاصاً بالصائمين وأن الصيام يشفع لصاحبه وأنه كفارة، وإليك بيان ذلك.

١ ـ الصوم جنة:

أمر الرسول ﷺ من اشتدت عليه شهوة النكاح ولم يستطع الزواج بالصيام وجعله وجاء[1] لهذه الشهوة لأنه يحبس قوى الأعضاء عن الاسترسال في شهواتها ويسكن كل عضو منها وللصوم تأثير عجيب على حفظ الجوارح يعرف ذلك من صامت جوارحه عن المحرمات. يقول المصطفى ﷺ، فيما يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[2] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[3].

وقد بين الرسول ﷺ أن الجنة محفوفة بالمكاره وأن النار حفت بالشهوات فإذا تبين لك أيها المسلم أن الصوم يقمع الشهوات ويكسر حدتها وهي التي تقرب من النار فقد حال الصيام بين الصائم والنار لذلك جاءت الأحاديث تبين أنه حصن من النار.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[4].

---

(١) أي: قاطعاً للشهوة كما تنقطع شهوة الخصي من الحيوان.
(٢) هي المقدرة على الزواج من كل وجه.
(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٤، وصحيح مسلم ٤/ ١٢٨.
(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ٣٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٩.

٢ ـ الصوم يدخل الجنة:

إذا كان الصوم يبعد صاحبه من النار فهو إذاً يدنيه من بحبوحة الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(١).

٣ ـ الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما:

روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان**»(٢).

٤ ـ الصيام كفارة:

ومما ينفرد به الصيام من فضائل أن الله جعله لبعض الأعمال التي تصدر من المسلم ومنها حنث اليمين.

يقول تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٧.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٠/ ١١٨ برقم ٦٦٢٦ تحقيق: أحمد شاكر. وقال: إسناده صحيح، وقال في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٣/ ١٨١.

٥ ـ الريان للصائمين:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل فيه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد...**»[(١)(٢)].

شعراً:

قم في ظلال الليل واقصد مهيمناً ... يداك إليه في الدجى تتوسل
وقل يا عظيم العفو لا تقطع الرجا ... فأنت المنى يا غايتي والمؤمل
فيا رب فاقبل توبتي بتفضل ... فما زلت تعفو عن كثير وتمهل
إذا كنت تجفوني وأنت ذخيرتي ... لمن أشتكي حالي ومن أتوسل
حقيق لمن أخطأ وعاد لما مضى ... ويبقى على أبوابه يتذلل
ويبكي على جسم ضعيف من البلى ... لعل يعود السيد المتفضل
قصدت إلٰهي رحمة وتفضلاً ... لمن تاب من زلاته يتقبل

الترهيب من الفطر في رمضان بغير عذر:

من ترك صيام رمضان بغير عذر فلا يخلو إما أن يتركه جحوداً والعياذ بالله، وإما أن يتركه كسلاً.

فإن تركه جحوداً بأن جحد وجوبه فقال: إن الصيام ليس بواجب في الشرع، فهذا كافر مرتد لأنه أنكر أمراً مجمعاً معلوماً من الدين بالضرورة وركناً من أركان الإسلام.

ويترتب على ردته هذه كل ما يترتب على المرتد في ماله وزوجته ووجوب قتله لردته وغير ذلك من أمور تغسيله وتكفينه ودفنه في مدافن المسلمين.

ولا يستثنى من هذا إلا من كان حديث العهد بالإسلام أو من نشأ بعيداً

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٣، وصحيح مسلم ٣/ ٨٥٧.
(٢) المغني ٤/ ٣٢٤، صفة صوم النبي في رمضان ص١١، عقود اللؤلؤ والمرجان ص٩.

عن أهل العلم كمن نشأ في البادية، أما إذا ترك الصيام كسلاً فالوعيد الشديد ينتظره.

روى أبو أمامة الباهلي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي ـ عضدي ـ فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا: اصعد فقلت: إني لا أطيقه فقالا اصعد فقلت: إني لا أطيقه فقالا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواد الجبل إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات، قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل دماً قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم...**»[(١)].

أيها المسلم المشفق على نفسه من عذاب الله الشديد أرجو أن تنظر إلى الصورة البشعة المفزعة التي سيعذب بها المستهترون الذين يفطرون قبل أن يحل لهم الإفطار فلا يرعون حق الصوم ولا يسمعون لأمر الله لهم فيفطرون قبل حلول وقت الإفطار والأعمال بخواتيمها.

إن هؤلاء سيعلقون من عراقيبهم (مؤخر أقدامهم) يوم القيامة كما تعلق الدابة الذبيحة وستشقق أشداقهم (جوانب أفواههم) ويسيل منها الدم وهم معلقون منكسون على رؤوسهم. يا لهول هذا العذاب وقانا الله منه أترى كيف سيكون إذن حال من أنكر رمضان.

الفطر بدون عذر يعرض صاحبه لغضب الجبار ﷻ وعذاب النار فليحذر كل من تسول له نفسه من الفطر بدون سبب لأن المعاصي نتيجتها وخيمة وعاقبتها مخزية.

هذا وقد أوجب أهل العلم على من أفطر متعمداً أن يقضي اليوم الذي أفطره.

---

(١) رواه البيهقي. انظر: السنن الكبرى ٤/٢١٦، ورواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ٤/١٦٦، وابن حبان برقم (١٨٠٠) ـ زوائد، والحاكم ١/٤٣٠، وسنده صحيح. انظر: صفة صوم النبي ﷺ ص٢٥.

يقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر أنه شر من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال وقال في موضع آخر: الكبيرة السادسة من أفطر في رمضان من غير عذر(١).

اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل وخصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء الجزيل وخفف ظهورنا من الأوزار والحمل الثقيل، وتقبل منا يسير الأعمال فإنك عفو تقبل القليل.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٥/ ٢٢٥، والكبائر للذهبي ص٤٩، وحلية العلماء للقفال ٣/ ١٩٨، فقه الصيام لهيتو ص٢٤.

المجلس الثالث

فصل في:

- تلاوة القرآن.
- أحكام الرؤية.

فضل تلاوة القرآن

الحمد لله الذي أنشأ وبرأ وخلق الماء والثرى وأبدع كل شيء وذار. لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى. ولا يعزب عن عمله مثقال ذرة مما لا نرى، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٦، ٨].

خلق آدم فابتلاه ثم اجتباه فتاب عليه وهدى وبعث نوحاً فصنع الفلك بأمر الله وجرى.

ونجى الخليل من النار فصار حرها برداً وسلاماً عليه فاعتبروا لما جرى. وآتى موسى تسع آيات فما ادكر فرعون وما ارعوى. وأيد عيسى بآيات تبهر الورى وأنزل الكتاب على محمد فيه البينات والهدى.

أحمده على نعمه التي لا تزال تترى وأصلي وأسلم على نبيه محمد المبعوث في أم القرى ﷺ وعلى صاحبه في الغار أبي بكر بلا مرى وعلى عمر الملهم في رأيه فهو بنور الله يرى وعلى عثمان زوج ابنته ما كان حديثاً يفترى وعلى ابن عمه علي بحر العلوم وأسد الثرى وعلى جميع الآل والأصحاب الذين انتشر فضلهم في الورى وعنا معهم بمنك وكرمك يا من تعلم ما جرى.

أيها الإخوة المؤمنون، والأخوات المؤمنات:

يعود إلى القلوب حنينها إلى ما تنطوي عليه أيام رمضان من بركات هي الهدى في ضيائه والنور في إشراقه والقوة في صفاء ينبوعها وعظمة أصالتها لأنها تنتسب إلى طريق الهدى وتسير فيه، ولئن اقتضت حكمة الخالق أن يعطي كل رسول ما يتناسب والذي يكون قبلة الأنظار في زمانه وموطن التباري

والسمو في عصره فإن الذي له الغلبة عند العرب ومهوى الأفئدة هو فصاحة اللسان وبلاغة البيان فجاء القرآن بلسان عربي مبين.

باللغة التي يتكلمون، والأحرف التي ينطقون.

وهذه الحقيقة خالدة على مر الزمن تتحدى القيود والحدود وهي ينبوع العطاء الذي لا يتوقف ومصدر الهداية التي لا تنفد. وباعث القوة التي لا تلين.

وما علينا إلا أن نفتح القلب لهذا النور والنفس لهذا الهدى حتى تشرق شمس حياتنا من جديد ولنستمع إلى ما أثنى الله تبارك وتعالى به على من قرأ القرآن وعمل بما فيه من أحكام وآداب. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقد أمر الله نبيه أن يرتل القرآن ويقرأه على الناس على مكث يقول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقد وردت النصوص الكثيرة من السنة توضح فضل قراءة القرآن من ذلك.

ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[١].

وما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٢].

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٦/ ٢٣٦.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٢/ ١٩٥.

وما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو**»(١).

وما رواه أبو أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٢).

وما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»(٣).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(٤).

ما أجمل أن تغص المساجد في رمضان بأولئك الذين يجتمعون لتلاوة كتاب الله والتزود منه.

ولكن الأجمل والأحسن أن نجعل من رمضان فرصة لمراجعة حياتنا كلها هل هي على وفق ما يجب أن يكون أم لا.

هل طهرنا بيوتنا من المنكرات.

هل ربينا أطفالنا تربية إسلامية.

هل قمنا بواجب النصيحة للقريب والجار والصديق.

هل طهرنا أموالنا من الربا ونميناه بأداء الزكاة.

هل أوقفنا هذا السيل الجارف من النساء اللاتي يذهبن إلى الأسواق زرافات ووحداناً يختلطن ويماكسن الباعة من غير ضرورة ولا حاجة يوم أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٦/ ٢٣٥، وصحيح مسلم ٢/ ١٩٤.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٢/ ١٩٧.
(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٢/ ١٩٧.
(٤) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٧١.

نرى المجتمع يأتمر بأمر الله ويقف عند حدوده عندها يتحقق الأمن والخير لهذا المجتمع ولنا فيمن حولنا عبرة وعظة.

وصدق الشاعر:

متى نرى الحكم في الآفات قرآناً — والدين يعمر أقطاراً وبلداناً
متى نرى أمة القرآن واحدة — تغدو بنعمة هذا الدين إخوانا
الخير في المصحف الهادي ومنهجه — ففيه ذخر لدنيانا وأخرانا
كل القوانين إن حققت ذاهبة — والذكر يبقى مع الأيام فرقاناً

إن الحياة في رحاب القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، وما أجمل أن تقوم الحياة على القرآن وتستقي من نبعه الطاهر.

ألا نكون خلفاً صالحاً لسلف صالح فنقرأ القرآن ونتعلم ما فيه ونعمل به أسوة بسلفنا الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم وجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر[١].

شعراً:

عليك بما يفيدك في المعاد — وما تنجو به يوم التناد
فما لك ليس ينفع فيك وعظ — ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد — وتشقى إذ يناديك المناد
فلا تفرح بمال تقتنيه — فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وأنت حي — وكن متنبهاً من ذا الرقاد
يسرك أن تكون رفيق قوم — لهم زاد وأنت بغير زاد



(١) نفحات رمضان ص١١٦، مجالس شهر رمضان ص٤.

بم يثبت دخول شهر رمضان المبارك

يثبت دخول شهر رمضان بأحد أمرين:

الأول: رؤية هلال رمضان.

يقول تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أناط الله صيام رمضان بمن شهد الشهر، والشهر عادة يثبت بانقضاء الشهر الذي قبله أو برؤية الهلال.

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له**»[(١)].

الحديث نص صحيح صريح على تعليق وجوب الصوم في رمضان برؤية هلاله ومفهومه النهي عن الصوم بدون رؤية الهلال.

يقول تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

جعل الله الأهلة مواقيت للناس يعرفون بها أوقات عباداتهم ومعاملاتهم رحمة منه بعباده حيث علق وجوب الصوم بأمر واضح وعلامة بارزة يعرفها سائر الناس وليس من شرط وجوب الصوم أن يرى الهلال كل الناس بل إذا رآه بعضهم ولو كان شخصاً واحداً على الصحيح وهو عدل ثقة تمكن رؤيته لزم الناس كلهم الصيام إذا كان مطلعهم واحداً.

الثاني: مما ثبت به دخول رمضان «إذا لم ير الهلال إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً» يدل ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: «... **فإن غم**

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٤، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٢.

عليكم فاقدروا له»[١]، ومعنى اقدروا له؛ أي: إذا غطى على الهلال غيم أو قتر وتعذرت رؤية الهلال فالواجب إكمال شعبان ثلاثين يوماً يؤكد ذلك الرؤية الصحيحة الصريحة «... **فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين يوماً**»[٢].

ولا يثبت دخول الشهر بغير هذين الأمرين إطلاقاً، ومن ادعى غير ذلك فعليه الدليل. وما يدعو إليه بعض المنتسبين للعلم من الاعتماد على الحساب أمر لا يقره شرع ولا عقل إذ الأمة الإسلامية من لدن مبعث نبيها محمد ﷺ إلى يومنا هذا، وهي تعتمد على الرؤية ولم تعمل بالحساب اتباعاً للرسول الأكرم ﷺ الذي يقول في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا** يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»[٣].

يقول ابن حجر رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: المراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك، بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلاً ويوضحه قوله في الحديث الماضي: «**فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**» ولم يقل فسلوا أهل الحساب.

والحكمة فيه كون العدد عند الإغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الاختلاف والنزاع عنهم[٤].

وبهذا يتبين أن الله جل وعلا حدد دخول الشهر بإحدى علامتين ظاهرتين يعرفهما العامي والمتعلم وهما رؤية الهلال أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، فمن جاء بشيء غيرهما يزعم أنه يعلم به دخول الشهر غير ما بينه الشارع فقد

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٤، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٢.
(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة.
(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٥، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٤.
(٤) فتح الباري ٤/ ١٢٧.

حاد الله ورسوله وأوقع الأمة في الحرج المرفوع عنها بنص القرآن: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]؛ لأن معرفة الحساب لا يعلمها إلا خواص الناس فكيف نطالب الأمة بمعرفتها ونوجب عليها ما لم يوجبه الله ولا رسوله سبحانك هذا بهتان عظيم. اللهم ارزقنا الاتباع وجنبنا الابتداع ويسر لنا سبيل معرفة الأحكام على وجهها الصحيح وجنبنا الزلل والشطط والقول عليك بلا علم. واغفر اللهم لنا ولوالدينا ومن له حق علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[١].



(١) إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان ص١٠، الصوم د. رفعت عبد المطلب ص٢٣.

المجلس الرابع

فصل في:

- آداب تلاوة القرآن.
- أحكام النية.

آداب تلاوة القرآن

الحمد لله الذي لم يزل عليماً عظيماً علياً جباراً قادراً قهاراً قوياً رفع سقف السماء بصنعته فاستوى مبنياً، وسطح المهاد بقدرته وسقاه كلما عطش رياً، وأخرج صنوف النبات فكسى كل نبت زياً، قسم الخلائق سعيداً وشقياً وقسم الرزق بينهم فترى فقيراً وغنياً، والعقل فجعلهم ذكياً وغبياً، سبحانه منْ إلٰه جاد على أوليائه بإسعاده وبين لهم مناهج الهدى بفضله وإرشاده ورمى المخالفين له بطرده وإبعاده أحمده سبحانه أمر بتلاوة القرآن وتدبره فقال في محكم البيان: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين من كانت معجزته القرآن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

أيها الصائمون ويا أيتها الصائمات:

إن هذا القرآن الذي تتلونه هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم من تمسك به نجى ومن طلب الحق من غيره ضل ومن حكم به عدل وهو الذكر المبارك والنور المبين وصفه الله جل وعلا بأوصاف عظيمة ينتفع به المسلمون ويتأدبون بآدابه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ومن أوصافه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

فهذه الأوصاف وغيرها كثير تدل على عظمة القرآن ووجوب التأدب عند تلاوته وسماعه.

ومن أهم آداب التلاوة:

أولاً: إخلاص النية لله تعالى لأن أي عمل من الأعمال لا يقبله الله ما لم يكن خالصاً له وحده.

يقول تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ثانياً: أن يقرأ بقلب حاضر منصرف إلى السماع ويتدبر كل ما يقرؤه ويحاول الفهم قدر استطاعته وأما أولئك الذين يهذون القرآن هذّاً ولا يتدبرون معانيه ولا يخشون عند وعده ووعيده فقلوبهم مشغولة بغير القراءة من متاع الدنيا وعرضها الزائل.

ثالثاً: أن يقرأ على طهارة كاملة؛ لأن هذا من تعظيم كلام الله واحترامه ولا حرج عليه لو كان مضطراً للقراءة ولا يجد وسيلة لبلوغ الماء كمن يرقد على السرير أو في سيارة لا يملك إيقافها أو في طائرة أو في سجن وما أشبه ذلك فهؤلاء قد يكونون معذورين لو قرأوا وهم على غير طهارة شريطة أن يتطهروا من الحدث الأكبر والله أعلم.

رابعاً: ألا يقرأ في أماكن مستقذرة كدورات المياه وأماكن المنكرات والمعاصي. أو في مجتمع لا ينصت له كمجتمع البيع والشراء أو مجتمع الرياضة أو مجتمع لعب الورق وغير ذلك من المجتمعات المشغولة لأن القراءة في هذه الأماكن إهانة لكتاب الله.

خامساً: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند بدء القراءة سواء كان من أول السورة أو من وسطها لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

سادساً: أن يقرأ البسملة إذا كان يقرأ من أول السورة، فإن كان يقرأ من وسط السورة فلا يبسمل وهذا في كل سور القرآن ما عدى سورة التوبة فإنه لا يقرأ في أولها البسملة لاختلاف الصحابة ﷺ هل هي تتمة لسورة الأنفال أم أنها سورة جديدة فرأوا أن يفصلوها في المصحف ولا يضعوا قبلها البسملة.

سابعاً: أن يحسن صوته بالقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أذن الله لشيء** (أي: ما استمع لشيء) **كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**»[(١)].

والجهر بالقراءة أولى إلا إذا كان حوله من يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي فإنه حينئذ يجهر جهراً خفيفاً يسمعه هو ولا يسمعه من حوله.

ثامناً: ومن آداب تلاوة القرآن أن يسجد عند تلاوة الآيات التي فيها سجود سواء كان الوقت وقت نهي أو غيره، لأن سجود التلاوة من ذوات الأسباب والصحيح المعتمد أن سجدة ـ ص ـ محل للسجود وهل لسجود التلاوة في غير الصلاة تكبير عند الخفض وتكبيرعن الرفع وسلام؟ محل خلاف بين أهل العلم والأمر واسع إن شاء الله ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وإن زاد: سجد وجهي لله الذي خلقه فصوره ثم شق سمعه وبصره بحوله وقوته اللهم اجعل لي بها ذخراً وضع عني بها وزراً وتقبلها مني كما تقبلتها من نبيك دواد عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فهذا حسن.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٦/ ٢٣٦، وصحيح مسلم ٢/ ١٩٢.

والأفضل للمستمع أن يسجد تبعاً للتالي، أما السامع فلا يسجد والفرق بينهما أن هذا منصت للقارئ متابع له، والسامع غير منصت ولا متابع[1] والله أعلم.

شعراً:

بذكرك يا مولى الورى نتنعم ... وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقيناً أن علمك واسع ... وأنت ترى ما في القلوب وتعلم
إلهي تحملنا ذنوباً عظيمة ... أسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق جملة ... وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسيء يسره ... صدودك عنه بل يذل ويندم
سكتنا عن الشكوى حياء وهيبة ... وحاجاتنا بالمقتضى تتكلم
إذا كان ذل العبد بالحال ناطقاً ... فهل يستطيع الصبر عنه ويكتم
إلهي فجد واصفح وأصلح قلوبنا ... فأنت الذي تولي الجميل وتكرم



(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١٣٦، ومجالس شهر رمضان ص٦٢.

صيام يوم الشك

يحرم صيام يوم الشك ـ وهو يوم الثلاثين من شعبان ـ بنية الاحتياط عن رمضان وذلك في حال الغيم أو القتر لقوله ﷺ في الحديث الصحيح «**فإن غبي عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين**»[(١)].

ولقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم محمد ﷺ»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجلاً يصوم صوماً فليصمه**»[(٣)].



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٥، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٢.
(٢) علقة البخاري ٣/ ٣٤، ووصله غيره.
(٣) رواه مسلم ٣/ ١٢٥.

أحكام النية

من الأمور التي لا يقدرها بعض الصائمين حق قدرها نية الصيام سواء من حيث وجود أصلها أو من حيث تبييتها أو تعيينها أو من حيث كونها جازمة غير مترددة.

ومحل النية القلب والتلفظ بها بدعة.

ومن استيقظ قبل طلوع الفجر وعقدها أجزأته إذ لا يلزم تبييتها قبل النوم بل يكفي قبل الفجر، والصحيح من كلام أهل العلم أنه لا يصح صوم فرض بلا نية يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[١].

والنية لها أهميتها الكبرى في الصوم؛ لأنها تعتبر الفيصل الحقيقي بين العبادة والعادة.

فالفرق شاسع بين أن يزاول المرء العبادة وهو يستشعر رضاء الله ويستصحب الحرص على طاعته وابتغاء وجهه خالصاً بحيث يصبح هذا الإحساس يقوده لطاعة الله رغبة ورهبة لا تشوب نيته شائبة في مخافة أحد سوى الله أو طلب مدح أحد أو ثنائه، وبين أن تكون عادة يستمر عليها المرء خوفاً من العقاب الدنيوي لا طمعاً في رضا الله ﷻ، وعبادة الصوم وحدها هي التي تقوى فيها الصلة بين العبد وربه إذ يستطيع في غفلة من الناس أن يأكل ويشرب إذا لم يراقب الله سبحانه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١/ ٤، وصحيح مسلم ٦/ ٤٨.

هل تكفي النية أول الشهر:

اختلف أهل العلم هل تكفي نية الصيام في أول شهر رمضان أم أن لكل يوم نية مستقلة، ولا شك أن الأحوط أن يكون لكل يوم نية مستقلة؛ لأن صيام كل يوم عبادة مستقلة.

إذا لم يعلم بخبر الصيام إلا في وسط النهار:

إذا لم يعلم المسلم بخبر الصيام إلا بعد طلوع الفجر لزمه الإمساك من حين علم ووجب عليه القضاء؛ لأن فطره أول النهار معذور فيه إذ لم يعلم خبر الشهر ألا بعد طلوع الفجر.

وأما إلزامه بالإمساك فلحرمة الشهر وإلزامه بالقضاء؛ لأن صيامه جزءاً من اليوم لا يجزيه إذ لا بد من صيام اليوم كاملاً من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

هل النية واجبة في الفرض والنفل:

تبييت النية واجب في الفرض فقط، وأما النفل فله أن يمسك ولو في وسط النهار ما دام لم يأكل ولم يشرب ولم يأت مفطراً من المفطرات من طلوع الفجر يدل لذلك ما روته أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يأتيني فيقول: «**أعندك غداء فأقول لا فيقول: إني صائم**» قالت: فأتاني يوماً فقلت: يا رسول الله أنه أهديت لنا هدية، قال: وما هي؟ قلت: حيس، قال: «**أما أني أصبحت صائماً**» قالت: ثم أكل[1].

وفي هذا دليل صحيح صريح على أنه يجوز للإنسان أن يصوم صيام التطوع بنية من وسط النهار كما أنه يدل دلالة صريحة على أن من بات صائماً صيام نفل يجوز له أن يفطر في وسط النهار قبل تمام صومه. وهذا من يسر الإسلام وسماحته ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه مسلم صحيح مسلم ٣/ ١٥٩.

اللهم وفقنا لاتباع الهدى وجنبنا أسباب الهلاك والشقاء واجعل شهرنا شاهداً لنا يوم العرض وأعنا فيه على طاعتك وجنبنا طرق معصيتك واختم لنا بالصالحات وضاعف لنا الحسنات وتقبل منا القليل واعف الزلل والتقصير واغفر لنا ولوالدينا ولجيمع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٩٧، المغني ٣/ ٩١.

المجلس الخامس

فصل في:

- أركان الصوم ومكانته في الإسلام.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أركان الصوم ومكانته في الإسلام

الحمد لله خالق كل مخلوق ورازق كل مرزوق مصرف الأشياء فمنها سابق ومسبوق موجد المنظور والملبوس والمذوق أنشأ الآدمي بالقدرة من ماء مدفوق وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق والهوى يحث على ما يوجب العقوق.

أحمده سبحانه على ما يقضي ويسوق مما يغم ويشوق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج سوق فدفع بصدقة أهل الزيغ وأرباب الفسوق وعلى آله وأصحابه ما هب الهوى ولمعت البروق وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الصدوق وعلى عمر الملقب بالفاروق وعلى عثمان الصابر على الشهادة يدفعه الشوق وعلى علي مطلق الدنيا فما غره من ذَهَبٍ بَرُوق وعلى جميع أتباعهم ما تعاقب الغروب والشروق.

إخواتي الصائمين والصائمات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته درسنا هذه الليلة حول تعريف الصيام وأركانه ومكانته في الإسلام فنقول:

الصيام في اللغة: الإمساك، ويستعمل في كل إمساك، يقال: صام فلان أي أمسك عن الكلام وصامت الخيل إذا وقفت ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

وقول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصوم في الاصطلاح: الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

فهو إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص من شخص مخصوص.

ومن هذا التعريف نأخذ أركان الصوم الثلاثة:

١ - النية.

٢ - الإمساك عن المفطرات.

٣ - زمن الصوم.

وللصوم مكانة عظيمة لا يحسب قدرها ولا يعرف سموها إلا المؤمن الصادق الذي يعيش مع رمضان بقلبه وقالبه ولبه وجوارحه فوجهه باسم متهلل بتباشير الرحمة التي تنبعث مع أول خيط من خيوط الفجر في أول يوم من هذا الشهر الكريم.

دنيا المؤمن مملوءة في رمضان بضياء الرحمة والمسامحة والصفح والغفران في ظلال العبادة والخضوع والتواضع.

وقلب المؤمن خاشع ضارع إلى ربه يرتل القرآن ويرجعه في صفاء وبعد عن شياطين الإنس والجن.

سعادة المؤمن في رمضان لا تعدلها سعادة؛ لأنه يحس من خلال جوعه وعطشه وصفاء نفسه بالجنة وقد ازدانت لاستقبالها وقد اصطفت الحوريات تنتظر القادم الغالي.

إن شهر رمضان شهر التوبة والغفران شهر العفو والعتق من النيران شهر تفيض فيه المساجد بين قائم وراكع وساجد وعابد دائب ونادم تائب.

كل مؤمن تهفو نفسه أن يكون في إحدى لياليه من ضمن المعتقين الأبرار ليجتمع في جنات الخلود بالأصحاب والأخيار.

شهر رمضان شهر السمو الروحي والتهذيب الخلقي والصفاء القلبي.

أجر الصائم لا حد له ترك الله جزاءه لكرمه سبحانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا نعرف شيئاً عن هذا الجزاء، ولكننا نؤمن إيماناً جازماً أنه يتناسب وكرم الله وعطائه وجزيل مغفرته وثوابه،

فكما أن الصيام له وحده سبحانه لا تدخله الرغبة والشهوة فكذلك الجزاء والجزاء من جنس العمل.

فهنيئاً لك أيها الصائم في صيامك وقيامك وأبشر بما أعد الله لك من جزيل الأجر وبالغ العطاء.

وحذار حذار أن تفسد صومك برفث أو جهل أو فسوق أو عصيان فيحبط عملك وعليك بالوصية الجامعة ممن لا ينطق عن الهوى «**وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم إني صائم**»[1].

شعراً:

يا أمة ذاك ماضيها الذي عرفت ... منه بمجد صريح غير مؤتشب

ماذا دهاك فقد أصبحت هاوية ... مهاوي الذل من جبن إلى عطب

قد كنت تاجاً لأجيال الورى عصراً ... فصرت من بعد تلك الجيل في العقب

وكنت موفورة الخيرات صاعدة ... بالدين ذروة مجد غير منسحب

فصرت أسفل سفلاها كما انقلبت ... بالخسف ذورة طود شر منقلب

وكنت هذبت أخلاق الورى زمناً ... واليوم منك سوى الأخلاق لم يعب

وكنت آمره المعروف قائمة ... بالنهي عن منكرات السوء في طلب

فصرت أنت عن المعروف معرضة ... وصرت للمنكر المذموم في طلب

وكنت حررت من ظلم ومن عنت ... قوماً من الظلم والظلام في نصب

فاليوم تظلمك الدنيا بأجمعها ... ولا يهيجك هيَّاج إلى الغضب

وكنت أنقذت من جهل ومن عمه ... بني جهالتها الهاوين في الريب

لئن رجعت إلى الطاعات من كثب ... لتظفرن بحول اللَّه من كثب

وإن بقيت على ما أنت فيه فلا ... مفر من نقمة الجبار والتبب

شر بشر ومن يعمله يلق ومن ... يزرع من الشوك لا يحصد من العنب



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٤، صحيح مسلم ٣/ ١٥٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

المعروف هو ما عرفه الناس بأنه محبوب للشارع ويدخل فيه الواجبات والمستحبات والمنكر ما ينكره الشارع ولا يرضاه من المحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب واجبات الإسلام وقد عده بعض أهل العلم الركن السادس من أركان الإسلام.

يقول العلامة ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتصف بالصفات الآتية:

١ ـ العلم بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

والحكمة هنا هي العلم النافع ليكون الآمر والناهي قوياً في حجته مؤثراً في سامعيه وليكون أمره ونهيه على بصيرة وبينة لئلا يقع في الخطأ فيأمر بما ليس بمعروف وينهى عن شيء ليس بمنكر.

---

(١) الفصل ٥/ ١١٠.

٢ ـ العمل بما يقول:

يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

إن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج[١].

٣ ـ الإخلاص:

فكل عمل لا يقوم على الإخلاص فلا حاجة لله فيه، ولهذا كان في الإسلام شرطان لقبول العمل أي عمل أحدهما الإخلاص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وثانيهما: صدق المتابعة للرسول ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢].

٤ ـ الأمانة:

وذلك بأن يكون المسلم أعينا في تبليغ شرع الله فلا يزيد ولا ينقص ولا يقول عن الله إلا ما كان عالماً به متمكناً فيه.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

٥ ـ الصبر:

فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بالصبر على ما

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٣٠٩.

(٢) رواه مسلم صحيح مسلم ٥/١٣٢.

يصيبه؛ لأن هذا هو طريق الأنبياء والمرسلين وقد أوذوا فصبروا فكانت العاقبة لهم في الدنيا والآخرة رزقنا الله اتباعهم.

يقول تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

ويقول تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

٦ ـ الرفق واللين:

والرفق ما خالط شيئاً إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه وكم من داعية أدرك برفقه ولينه ولطفه ما لا يدركه الآف الدعاة الذين لا يتحلون بهذه الخصال، وقد أوصى الله الدعاة فيها فقال عن موسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ويقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

٧ ـ التيسير والتبشير:

فينبغي للآمر الناهي أن يكون ميسراً ومبشراً وأن يفتح أبواب الخير للناس ويرغبهم في التوبة والإنابة ويذكر لهم الجزاء في الآخرة، وقد أرشد الله إلى هذا الأسلوب في كتابه فقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعلم
تصف الدواء لذي السقام وذي الظّنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
وتراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبداً وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى ... بالقول منك فينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

اللهم يا واسع العطاء والجود امنن علينا بصلاح الظاهر والباطن واجعلنا ممن ادخر له الجزاء في جنات الخلود: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٣٤].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعين[١].



(١) فقه الصيام ص٤، حق الطريق ص١٠٩.

المجلس السادس

فصل في:

ـ التوبة.

ـ ومفسدات الصوم.

التوبة

الحمد لله الذي نصب من كل كائن على وحدانيته برهاناً وتصرف في خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً، واختار المتقين فوهب لهم أمناً وإيماناً وعم المذنبين بحلمه ورحمته عفواً وغفراناً ولم يقطع أرزاق أهل معصيته جوداً وامتناناً روح أهل الإخلاص بنسيم قربه وحذر يوم الحساب بجسيم كربه وحفظ السالك نحو رضاه في سربه. وأكرم المؤمن إذ كتب الإيمان في قلبه. حكم في بريته فأمر ونهى وأيقظ بموعظته من غفل وسها. ودعا المذنب إلى التوبة لغفران ذنبه.

أحمده حمد عابد لربه معتذر إليه من تقصيره وذنبه وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص من قلبه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من حزبه ﷺ وعلى أبي بكر خير أحبته وصحبه.

وعلى عمر الذي لا يسير الشيطان في سربه، وعلى عثمان الشهيد لا في صف حربه، وعلى علي معينه في جهاده وحربه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً... وبعد.

إخوتي الصائمين.. نلتقي في هذه الليلة لنستجلي موضوعاً هاماً يهم كل مسلم ومسلمة على وجه الأرض ألا وهو موضوع التوبة الذي ذكره الله في القرآن وأكد على التوبة إليه والتضرع بين يديه وتقديم الاستغفار والذكر. يقول تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فصلت: ٦].

ويقول تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٦ ـ ٨].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد ندب الرسول ﷺ إلى التوبة ورغب فيها وذكر عن نفسه أنه يتوب كل يوم مائة مرة يدل لذلك:

ما رواه الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»[١].

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[٣].

والتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته لأنه سبحانه هو المعبود حقاً وحقيقة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيماً، فإذا حصل من العبد شرود عن طاعة ربه فتوبته أن يرجع إليه ويقف ببابه موقف الفقير الذليل الخائف المنكسر بين يديه. وهي واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها ولا التسويف بها إذ قد تفجأه المنية وهو على معصيته والعياذ بالله، وكم رأينا

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٧٣.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٨٣.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٩٢.

وسمعنا في واقعنا المعاصر من أشخاص ماتوا على معاصيهم.

تجد الشخص يحصل عليه حادث في سيارته وهو في الطريق وصوت المغني أو المغنية مرتفع، بل قد يلفظ أنفاسه ويبقى الصوت مرتفعاً شاهداً عليه في الدنيا قبل الآخرة.

وكم من شخص مات في رمضان وهو مفطر والعياذ بالله استعبدته الجريمة فأصبحت هي معبوده من دون الله.

وكم من أشخاص هلكوا وأرصدتهم الربوية تلعنهم شاهدة عليهم.

وكم من أقوام درسوا وقد عقوا والديهم وآذوا جيرانهم وأكلوا حقوق غيرهم.

فاتقوا الله يا أيها المؤمنون وأصدقوا مع الله فرمضان فرصة قد لا تعود عليكم أعلنوها توبة خالصة لعل الله أن يمحو بها كثير السيئات ويضاعف بها قليل الحسنات.

وصدق الله الرحيم الرحمٰن: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

شعراً:

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما ... فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهداً ... فإنه شهر تسبيح وقرآن
فاحمل على جسد ترجو النجاة له ... فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف ... من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ... حيّاً فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت في غد أثواب أكفان

مفسدات الصوم

تتبعت كلام أهل العلم في المفطرات وحصرتها فوجدتها في الغالب لا تخرج عن ثلاث مجموعات هي:

المجموعة الأولى: الإفطار بما دخل إلى الجوف.

المجموعة الثانية: الإفطار بالأعمال الجنسية.

المجموعة الثالثة: الإفطار بما خرج من الجوف.

وإليك بيان هذه المجموعات وما يدخل تحتها من المفطرات.

المجموعة الأولى: الإفطار بما دخل إلى الجوف:

١ ـ إذا أكل الصائم أو شرب عامداً ذاكراً لصومه فإنه يبطل.

يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فقد بينت الآية أنه لا يباح للصائم الأكل والشرب بعد طلوع الفجر حتى الليل ـ غروب الشمس ـ فمن أكل أو شرب خلال هذا الوقت فقد أبطل صيامه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يذر طعامه وشرابه وشهوته من أجلي...**»[١].

ويستوي في ذلك ما يتغذى به وما لا يتغذى به. قال ابن قدامة رحمه الله: أجمع العلماء على الفطر بالأكل والشرب بما يتغذى به، فأما ما لا يتغذى به فعامة أهل العلم على أن الفطر يحصل به»[٢].

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٣١.

(٢) انظر: المغني ٣/ ١٠٣.

أما إذا أكل أو شرب ناسياً فصيامه صحيح ويجب على من رآه يأكل أن ينبهه وما شاع لدى العوام من عدم تنبيه الصائم الناسي لا أصل له بل من رآه يأكل وهو يعلم أنه صائم ولم ينبهه فإنه آثم؛ لأن هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدل لصحة صومه ما رواه أبو هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»[1].

٢ ـ ويفطر بكل ما أدخله إلى جوفه مما ينفذ إلى معدته إذا وصل باختياره وكان مما يمكن التحرز عنه سواء وصل من الفم أو الأنف لأن هذا يشبه الأكل والشرب»[2].

٣ ـ الإبر المغذية التي يكتفي بها عن الأكل والشرب، فإذا تناولها أفطر لأنها وإن لم تكن أكلاً وشرباً حقيقة فإنها بمعناهما فثبت لها حكمهما. فأما الإبر غير المغذية فلا تفطر لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعنى الأكل والشرب فلا يثبت لها حكمها.

وهنا ينبغي أن يعلم أنه يرخص في تناول الإبر المغذية في نهار رمضان إذا اضطر إليها ولم يستطع أن يصبر إلى الليل وحكمه هنا حكم المريض المرخص له في الفطر فيتناول الإبرة ويفطر ويقضي ذلك اليوم تيسيراً من الله جل وعلا: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويتفرع على ما سبق مسائل:

الأولى: إذا تسحر وهو يظن أن الفجر لم يطلع، فإذا هو قد طلع أو أفطر وهو يرى أن الشمس قد غربت فإذا هي لم تغرب أمسك بقية يومه وعليه القضاء[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٠، وصحيح مسلم ٣/ ١٦٠.

(٢) انظر: المغني ٣/ ١٠٥.

(٣) المغني ٣/ ١٣٦.

يدل لذلك ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أفطرنا على عهد النبي ﷺ، يوم غيم ثم طلعت الشمس، قيل لهشام فأمروا بالقضاء. قال: لا بد من قضاء وقال معمر: سمعت هشاماً لا أدري أقضوا أم لا[١].

قال ابن قدامة رحمه الله: هذا قول أكثر أهل العلم من الفقهاء وغيرهم واحتج لهم بقوله: إنه أكل مختاراً ذاكراً لصومه فأفطر كما لو أكل يوم الشك ولأنه جهل بوقت الصيام فلم يعذر به كالجهل بأول رمضان ولأنه يمكن التحرز منه. قلت: وفيه احتياط للعبادة ومنع لضعاف النفوس من التحايل على الفطر وفيه مطالبة للمؤذنين أن يتثبتوا من غروب الشمس لئلا يوقعوا المسلمين في الحرج والعنت المرفوع عنهم شرعاً.

الثانية: إذا أكل شاكاً في طلوع الفجر ولم يتبين الأمر فليس عليه قضاء وله أن يأكل حتى يتيقن طلوع الفجر[٢].

والفرق بين هذه المسألة والتي قبلها أنه هنا لم يتبين له طلوع الفجر أما في المسألة الأولى فإنه قد تبين له أنه أكل أو شرب بعد طلوع الفجر.

الثالثة: وإن أكل شاكاً في غروب الشمس ولم يتبين فعليه القضاء لأن الأصل بقاء النهار وإن كان حين الأكل ظاناً أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع ثم شك بعد الأكل ولم يتبين فلا قضاء عليه لأنه لم يوجد يقين أزال ذلك الظن الذي بنى عليه فأشبه ما لو صلى بالاجتهاد ثم شك في الإصابة بعد صلاته[٣].

اللهم يا جابر كسر المنكسرين ويا مغيث الملهوفين والمستغيثين نسألك أن تقابل إساءتنا بإحسانك وتقصيرنا بعفوك وامتنانك. اللهم سلمنا من نفوسنا التي هي أقرب أعدائنا وامنن علينا بالتوفيق بعمل إليك يقربنا واتمم علينا يا مولانا ما به أكرمتنا. وأدم علينا إحسانك كما عودتنا فها نحن عبيدك قد ألقينا

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٤٧.
(٢) المغني ٣/ ١٣٦.
(٣) المغني ٣/ ١٣٧.

نفوسنا بين يديك وطمعنا بحسن وعدك وجميل رفدك فيما لديك اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣، بداية المجتهد ١/ ٢٩٤، المجموع ٦/ ٢٨٠.

المجلس الرابع

فصل في:

ـ التوبة.

ـ مفسدات الصوم.

التوبة

الحمد لله العلي القوي المتين القاهر الظاهر المبين لا يعزب عن سمعه أقل الأنين ولا يخفى على بصره حركات الجنين ذل لكبريائه جبابرة السلاطين وقل عند دفاعه كيد الشياطين قضى قضاءه كما شاء على الخاطئين وسبق اختياره لما اختار الماء والطين فهؤلاء أهل الشمال وهؤلاء أهل اليمين جرى القدر بذلك قبل عمل العاملين.

أحمده حمد الشاكرين وأسأله معونة الصابرين وأصلي وأسلم على رسوله المقدم من النبيين وعلى صاحبه الصديق أول تابع له على الدين، وعلى الفاروق عمر القوي الأمين، وعلى عثمان زوج ابنته ونعم القرين، وعلى علي بحر العلوم أب الحسن والحسين وعلى بقية الأصحاب والآل والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان:

ذكرنا طرفاً من الكلام عن التوبة في الفصل السابق وهنا سنكمل الحديث عنها بمشيئة الله تعالى فنقول: التوبة نوعان: واجبة، ومستحبة.

فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام.

والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين، إما الكافرين وإما الفاسقين. قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾ [الواقعة: ٧، ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢][(١)].

والتوبة التي أمر الله بها هي التوبة النصوح التي تشتمل على شرائط التوبة **وهي خمسة:**

الأول: أن تكون خالصة لله ﷻ وذلك بأن يكون الباعث عليها محبة الله سبحانه وتعالى والطمع في رضوانه والخوف من عقوبته ونيرانه فإن كان الباعث لها عرضاً زائلاً من الدنيا أو طمعاً في جاه أو تزلفاً لأحد من المخلوقين أو خوفاً من أحد من المخلوقين فليست بتوبة خالصة وكل زارع سيحصد ما زرع.

الثاني: الندم على ما بدر منه من الذنوب والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى والانكسار بين يديه، وكلما كان الندم صادقاً وقوياً كلما ظهرت آثاره على العمل اللاحق فتجد التائب يقبل على الأعمال الصالحة بنهم وحرص شديد ليعوض ما فاته من الأوقات التي قضاها في العصيان وغضب الرحمٰن.

الثالث: الإقلاع عن المعصية فوراً دون تردد أو خجل من أحد أو مجاملة لأحد، وعليه فإن كانت المعصية بفعل أمر محرم وجب الابتعاد عنه فوراً وهجر أصحابه ومجالسه وإن كانت بترك واجب وجب أن يبادر إلى فعله وإن كان مما يقضى كالصوم والحج وجب قضاؤه وصار متعلقاً بذمته.

وإن كانت المعصية بأكل حقوق الخلق فلا تصح إلا بردها واستباحتهم وإن كان لا يعرف أصحاب الحقوق وجب أن يتصدق بها على نية دفعها لأصحابها لو طلبوها فيما بعد.

الرابع: أن يعزم على ألا يعود في المستقبل إلى المعصية، لأن هذا هو ثمرة التوبة ودليل صدق التائب، فإن قال إني تائب من كذا وهو ما زال يعمله أو يتوب من الشيء ثم يعود إليه فليست هذه بتوبة صحيحة؛ لأن التائب الصادق يكره المعصية كراهية شديدة ويتمنى ألا يتذكر ماضيه السابق لأنه يجلب له الهم والحزن.

---

(١) انظر: التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣، ٢٤.

الخامس: ألا تكون التوبة بعد انتهاء وقت قبولها فإن كانت بعده لم تقبل وانتهاء وقت القبول نوعان: نوع عام لكل أحد ونوع خاص لكل شخص.

فأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع التوبة. يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد فسر أهل العلم بأنها طلوع الشمس من مغربها ويدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»(١).

وأما الخاص: فهو عند حضور الأجل فمتى حضر الأجل وعاين الإنسان الموت لم تنفعه التوبة، ولم تقبل منه يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

التوبة الصادقة تمحو كل ذنب مهما اجتمعت جيوش الدنيا وهواجس النفس وسهام الخلق وخطرات القلب وعداوة الشيطان لأن هذه كلها صغيرة حقيرة بجانب الاتكال على الله والاعتماد عليه.

يقول ابن القيم رحمه الله: «كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد لا يعذره وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه وعدو لا ينام عن معاداته ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة وهوى مرد وشهوة غالبة له وغضب قاهر وشيطان مزين وضعف مستول عليه، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة».

وقال رحمه الله «اطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

١ - عند سماع القرآن.

٢ - وفي مجالس الذكر.

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٧٣.

٣ ـ وفي أوقات الخلوة.

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك»[(١)].

ولله در القائل:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلى ... تباركت تعطي من تشاء وتمنع
إلهي وخلّاقي وسؤلي وموكلي ... إليك لدى الإعسار واليسر أفزع
إلهي لئن خيبتني وطردتني ... فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤالها ... فها أنا في روض الندامة أرتع
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي ... وأنت مناجاتي الخفية تسمع
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ ... فؤادي فلي في سيب جودك مطمع
إلهي أجرني من عذابك إنني ... أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي ... فعفوك من ذنبي أجل وأوسع



(١) الفوائد ص١٤٧.

بقية مفسدات الصوم

سبق لنا في الفصل الماضي بيان المجموعة الأولى وهي الإفطار بما دخل إلى الجوف وسيكون حديثنا هذه الليلة إن شاء الله عن المجموعتين الثانية والثالثة.

المجموعة الثانية: الأعمال الجنسية:

١ ـ الجماع يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة إذا كان في نهار رمضان وليس عند الصائم عذر يبيح فطره.

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**ما لك**»؟: **قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله** ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا، فقال: «**هل تجد إطعام ستين مسكيناً؟**» قال: لا، فمكث عند النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر والعرق المكتل، قال: «**أين السائل؟**» فقال: أنا قال: «**خذها فتصدق به**»، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «**أطعمه أهلك**»[١].

ولعل الحكمة في إيجاب الكفارة والله أعلم أنه لما هجم على هتك حرمة شعائر الله وكان مبدؤه إفراطاً طبيعياً وجب أن يقابل بإيجاب طاعة شاقة غاية المشقة ليكون بين يديه مثل تلك فيزجره عن غلواء نفسه

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٠، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٩.

وجموح شهواتها[١].

وقد نبه أهل العلم أن الكفارة إنما هي على من أبطل صومه في رمضان بالجماع من غير عذر.

أما في قضاء رمضان فليس عليه الكفارة إذا أبطل صومه بالجماع بل عليه الإثم وقضاء ما أبطل.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ سمعت أهل العلم يقولون ليس على من أفطر يوماً في قضاء رمضان بإصابة أهله نهاراً الكفارة التي تذكر عن رسول الله ﷺ فيمن أصاب أهله نهاراً في رمضان وإنما عليه قضاء ذلك اليوم وهذا أحب ما سمعت فيه إلي[٢].

والمرأة في ذلك كالرجل سواء بسواء فمتى أفطرت بالجماع في نهار رمضان من غير عذر وجب عليها القضاء والكفارة؛ لأن ذلك نوع من المفطرات فاستوى فيه الرجل والمرأة كالأكل والشرب.

٢ ـ ومتى قبَّل فأنزل أو باشر فأنزل وجب عليه القضاء ولا كفارة لأنها خاصة بالجماع لكن ينبغي للمسلم أن يتجنب مواقع الزلل فيبتعد تماماً عن أهله في نهار رمضان لأن كل ممنوع مرغوب.

وزاده كلفاً في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

٣ ـ وإذا استمنى فأنزل فسد صومه وارتكب جرماً خطيراً لأن الاستمناء باليد أو غيرها غيرها حرام في رمضان وغيره ولكن الحرمة تشتد في رمضان لحرمة الزمان ووجوب الصيام وهل تلزمه الكفارة الصحيح المعتمد من كلام أهل العلم أنها لا تلزم إلا بالجماع فقط لورود النص خاصاً به.

٤ ـ ومن أنزل من غير شهوة كالمصاب بمرض في الظهر فهل يبطل صومه قولان لأهل العلم أصحهما أن صومه صحيح لأنه لا ذنب له ولم يفرط أو يتعد بل هذا أمر خارج عن إرادته.

---

(١) حجة الله البالغة ٢/ ٥.

(٢) الموطأ ١/ ٢٩٧.

٥ ـ وإن نام فاحتلم لم يفطر لأن هذا خارج عن إرادته والله لا يكلف نفساً إلا وسعها وما جعل علينا في الدين من حرج.

٦ ـ ويصح صوم الرجل والمرأة إذا أصبح الواحد منهم وهو جنب لما روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم(١).

لأنه لما أذن في المباشرة إلى طلوع الفجر ثم أمر بالصوم دل على أنه يجوز أن يصبح صائماً وهو جنب(٢).

المجموعة الثالثة: الإفطار بما خرج من الجوف:

١ ـ التقيؤ عمداً وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم يدل لذلك قوله ﷺ: «**من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقض**»(٣).

ولو حصل القيء بدون سبب منه فليس عليه شيء لأنه لا ذنب له وهذا خارج عن إرادته والله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

٢ ـ إخراج الدم بالحجامة ودليل ذلك ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»(٤).

وفي معنى الحجامة إخراج الدم بالفصد وإخراجه من أجل التبرع به.

ولهذا لا يسوغ للمسلم أن يتبرع بدمه في نهار رمضان إلا بشرطين:

الأول: أن توجد ضرورة ملحة كإنقاذ معصوم ولا يوجد من يتبرع له من غير الصائمين.

الثاني: ألا يتضرر المتبرع فمتى توافر هذان الشرطان جاز للشخص أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٨، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٧.
(٢) المهذب ١/ ١٨١.
(٣) رواه أبو داود ٢/ ٣١٠، والترمذي ٣/ ٧٩، وابن ماجه ١/ ٥٣٦، وأحمد ٢/ ٤٩٨، وسنده صحيح كما قال شيخ الإسلام في حقيقة الصيام ص١٤.
(٤) رواه أبو داود ٢/ ٧٧٠، والترمذي ٣/ ١٤٤.

يتبرع بدمه في نهار رمضان ويفطر ويكون معذوراً وعليه قضاء ذلك اليوم.

أما خروج الدم بالجرح أو قلع الضرس أو الرعاف أو أخذ الدم للتحليل إذا كان يسيراً فلا يفطر به لأنه ليس بحجامة ولا بمعناها إذ لا يؤثر في البدن كتأثير الحجامة.

٣ ـ خروج دم الحيض والنفاس يدل لذلك قوله ﷺ في المرأة: «**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**»(١).

فمتى رأت دم الحيض أو النفاس بطل صومها ولو كان قبل غروب الشمس بدقائق والله أعلم.

إخواني: حافظوا على الطاعات وجانبوا المعاصي والمحرمات وابتهلوا إلى فاطر الأرض والسماوات وتعرضوا لنفحات جوده، فإنه جزيل الهبات واعلموا أنه ليس لكم من دنياكم إلا ما أمضيتموه في طاعة مولاكم فالغنيمة الغنيمة قبل فوات الأوان والربح الربح قبل حلول الخسران.

اللهم وفقنا لاغتنام الأوقات وشغلها بالأعمال الصالحات اللهم جد علينا بالفضل والإحسان وعاملنا بالعفو والغفران اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللهم ارزقنا شفاعة نبينا وأوردنا حوضه واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(٢).



(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٣١.

(٢) التوبة لشيخ الإسلام ص١٣، بداية المجتهد ١/ ٢٩٤، المجموع ٦/ ٢٨٠.

المجلس الثامن

فصل في:

- نعيم القبر وعذابه.
- وأقسام الصيام.

نعيم القبر وعذابه

الحمد لله الذي شرع الشرائع وأحكم الأحكام. وجعل النعيم والعذاب جزاء عادلاً للأنام. وبين الحلال وحرم الحرام واحتجب في هذه الدار عن سائر مخلوقاته المتفرد باختراع الكون وإيجاده. المتصرف في خلقه بمحض مشيئته ووفق مراده والمحيط علمه بسائر برياته. نبه من شاء من العباد من غفلته ورقاده فأيقن أنه مسافر إلى الله فكان همه إعداد زاده وحكم على من شاء بطرده وإبعاده فصرف همته للعاجلة واشتغل عن حشره ومعاده فسبحان من قسم الفضائل بين خلقه فهذا فضيل وهذا مفضول وهذا مطرود وهذا مقبول وهذا قد رمي بالابعاد والخذلان وهذا قد قرب من مولاه الرحيم الرحمٰن وأحق البشر في ذلك النبي من نسل عدنان عليه وعلى أله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

أيها الأحبة في الله...

حديثنا هذه الليلة عن نعيم القبر وعذابه أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا ووالدينا ممن ينعمون في قبورهم ويفسح لهم فيها مد البصر.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض وجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر» «ثلاثاً» ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم

الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفي رواية المطمئنة ـ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها».

وفي رواية: «حتى إذا خرجت روحه ـ صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم ـ فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني ـ بها على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين» فيكتب كتابه في عليين ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك وما دينك من نبيك؟ وهو آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فيقول ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال: ويأتيه، وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيراً ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي. فيقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر ـ وفي رواية: الفاجر ـ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم المسموح من النار فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود، الكثير الشعب ـ من الصوف المبلول فتقطع معها العروق والعصب فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله ﷻ: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإنه وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه في

جسده قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم. فلا يهتدي لاسمه فيقال: محمد فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك قال: فيقال: لا دريت ولا تلوت فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه، وفي رواية ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث ـ فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله ـ فجزاك الله شراً ثم يقيض له أعمى أصم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان فيضربه أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار فيقول: رب لا تقم الساعة»[(١)].

شعراً:

ثم انقضى العمر الذي تهنا به ... وبدأت في ضعف وفي نقصان
ودنا الفراق ولات حين تهرب ... أين المفر من القضاء الداني
والتف صحبك يرقبون بحسرة ... ماذا تكون عواقب الحدثان
واستل روحك والقلوب تقطعت ... حزناً وألقت دمعها العينان
فاحتاج أهل الدار حزن بالغ ... واجتاح من حضروا من الجيران
وأتى المغسل والمكفن قد أتى ... ليجللوك بحلة الأكفان

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٨٧، وأبو داود ٢/ ٥٤٠، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي ـ المستدرك ـ ١/ ٣٧، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين ١/ ٢١٤، وتهذيب السنن ٤/ ٣٣٧، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص١٥٩.

وسكنت لحد قد يضيق لضيقه صدر الحليم وصابر الحيوان
وسمعت قرع نعالهم من بعد ما وضعوك في البيت الصغير الثاني
إن كنت في الدنيا لربك مخلصاً تدعوه بالتوحيد والإيمان
فتحت عليك من الجنان نوافذ تأتيك بالأنوار والريحان
ويظلك اللَّه الكريم بظله والناس في عرق إلى الآذان
والزوج حور في البيوت كواعب بيض الوجوه خوامص الأبدان
أبكار شبه الدر في أصدافه واللؤلؤ المكنون والمرجان
أما إذا ما كنت فيها مجرماً متتبعاً لطرائق الشيطان
فهناك تسحب للجحيم مكبلاً بسلاسل ومسربل القطران
فيها الأفاعي والهوام كأنها أعجاز نخل داخل النيران



أقسام الصيام

الصيام على أنواع:

منه الواجب، ومنه المندوب، ومنه المكروه، ومنه المحرم.

وسيكون حديثنا هنا عن الصيام الواجب والصيام المحرم فنقول.

الصيام الواجب:

١ ـ صوم شهر رمضان ودليله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢ ـ صوم النذر:

يجب على المسلم أن يصوم الأيام التي نذر أن يصومها طالت أو قصرت تتابعت أم تفرقت.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ [الإنسان: ٧].

فأثنى جل وعلا على الذين يوفون بالنذر وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»(١).

فإذا نذر المسلم صيام أيام معينة لزمه صيامها إلا أن تكون مما يحرم صومه كيومي العيدين وأيام التشريق وإن نذر صوم شهر معين لزمه التتابع وإن نذر صيام أيام معدودة كعشرة أو عشرين لم يلزمه التتابع إلا إذا نوى ذلك.

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٨/ ١٧٧.

٣ ـ الصيام الواجب للكفارة، فمتى وجبت الكفارة على المسلم ولم يجد عتق رقبة لزمه صيام شهرين متتابعين وذلك في كفارة القتل الخطأ. يقول تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: ٩٢].

والتتابع هنا شرط لصحة الصوم، فمتى قطعه لزمه أن يبدأ من جديد إلا إذا قطعه لعذر شرعي كالحيض والنفاس والسفر غير المقصود تحيلاً فإن سافر لقصد التحليل على قطع الصوم لم يصح. وكالفطر يوم العيد ويوم التشريق، ومثل كفارة القتل الخطأ كفارة الظهار وسائر الكفارات الأخرى على اختلاف في مدة الصيام الواجبة ككفارة الجماع في نهار رمضان وكفارة اليمين وكفارة حلق الرأس للمحرم ومن لم يجد هدي التمتع وجزاء الصيد الذي قتله المحرم فكل هذه الأشياء الصيام فيها واجب.

الصيام المحرم:

١ ـ يحرم على المسلم صيام يومي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى كما يحرم عليه صيام أيام التشريق الثلاثة بعد عيد الأضحى ودليل ذلك قوله ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله**»(١).

٢ ـ كما يحرم على المرأة أن تصوم تطوعاً بغير إذن زوجها إذا كان حاضراً.

٣ ـ ويحرم صيام يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا حصل غيم أو قتر إلا لمن كانت له عادة في الصيام فوافق عادته أو صامه قضاء أو عن نذر أو كفارة دليل ذلك قوله ﷺ: «**من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم**»(٢).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٥٣.

(٢) رواه البخاري تعليقاً ٣/ ٣٤ ووصله غيره.

اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصودُ في كل آن نسألك فأنت المعروف بالإحسان ألا تردنا خائبين ولا من عطاياك مفلسين ولا عن بابك مطرودين وآمنا من فزع يوم الدين اللهم اعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وعافنا في الدارين من المحن فها نحن ببابك واقفون وإليك متوجهون فالحقنا بالصالحين واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).



(١) فتح الباري ٤/ ٢٣٦، سبل السلام ٢/ ٢٣٠.

المجلس التاسع

فصل في:

ـ العذاب الجسمي للعصاة في القبر.

ـ وبقية أقسام الصيام.

العذاب الجسمي للعصاة في القبر

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة. وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان وذاده. ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة. الحي الذي تعرف بأدلة وحدانيته فتحققت قلوب المؤمنين وجوده ووحدانيته وقدمه وبقاءه وانفراده المجيد الموصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة.

سبحانه من إلٰه رفع السماء بغير عمد وأسكن الأرض على الماء ومهد المنزه عن الصاحبة والوالد والولد الغني فلم يحتج إلى أحد.

أحمده أن بعث لنا خير رسله وخاتم أنبيائه وشرفنا بأن كنا من حزبه وأتباعه ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان من الصائمين والصائمات.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد. سبق لنا في الفصل الماضي بيان شيء من نعيم القبر وعذابه وسنتناول في هذا الفصل العذاب الجسمي للعصاة في القبر فنقول:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: «أنه أتاني الليلة آتيان وأنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما وأنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا

هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى. قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب أنه قال: فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أنه أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فيفغر له فاه فألقمه حجراً قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى فإذا هو عنده تار يحثها ويسعى حولها قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط، قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قال لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها، ولا أحسن قالا لي: ارق فيها فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا هو نهر معترض بحري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قال قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك فسما بصري صعداً فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالا لي: هذا منزلك قلت لهما: بارك الله فيكما فذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا وأنت داخله، قلت لهما: فإني رأيت هذه الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي، أما

أنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحثها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم. وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، وفي رواية البرقاني: «ولد على الفطرة» فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين. وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»[١].

شعراً:

والخل في ضيق فذا متشفع	وهناك مغشي وذاك يعاني
والنار مطبقة وليس بناضب	لهب لها فاصبر مدى الأزمان
يا ظالماً يا فاسقاً يا مجرماً	هذا جزاء الظلم والعدوان
يا هاجر القرآن حسبك عبرة	هذا الجزاء لهاجر القرآن
يا تارك المفروض في أوقاته	متذرعاً بالشغل والنسيان
هذا مآل الناس فليعمل له	راجي الجنان وراهب النيران
كل سيحصد غرسه بيمينه	لا يظلم المولى بني الإنسان
يا رب فارحمنا وخفف وزرنا	وامنن علينا رب بالإحسان



(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٩/٥٦.

بقية أقسام الصيام

سبق لنا الحديث عن قسمين من أقسام الصيام وهما الصيام الواجب والصيام المحرم، وسيكون حديثنا هنا عن نوعين آخرين، هما الصيام المندوب والصيام المكروه فنقول:

الصيام المندوب:

١ ـ صيام ستة أيام من شوال:

من صام رمضان ثم اتبعه بست من شوال متتابعة أو متفرقة فكأنما صام الدهر يدل لذلك ما رواه أبو أيوب الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»(١).

ومعنى ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها فالشهر بعشرة أشهر والستة أيام بستين يوماً فذلك ثلاثمائة وستون يوماً وهي سنة كاملة.

والسر في مشروعيتها والله أعلم أنها بمنزلة السنن الرواتب في الصلاة تكمل فائدتها وتجبر نقصها فكذلك هنا هذه الستة الأيام تكمل ما نقص من شهر الصوم وتجبر ما حصل فيه من التقصير مما عسى المسلم يعلمه أو لا يعلمه، والله المستعان.

٢ ـ صوم عشر ذي الحجة:

أيام عشر ذي الحجة شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ولذا ينبغي أن يجتهد المسلم فيها ويكثر من الصلاة والصيام والصدقة والذكر وقراءة القرآن يدل لذلك ما رواه ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام**

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٦٩.

العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر» فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»**(١).

٣ ـ يوم عرفة:

وهو يوم شريف عظيم يستحب صيامه لغير الواقف لحديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»**(٢).

والسر في صومه والله أعلم أنه تشبه بالحاج وتشوق إليهم وتعرض للرحمة التي تنزل عليهم وخوض في لجتها فهنيئاً لمن قبل الله منه قليل الأعمال وبالسعادة من باهى الله به ملائكته في هذا الموقف العظيم الذي تسكب فيه العبرات وتستمطر فيه الرحمات وتتنزل البركات من لدن رب الأرض والسماوات.

٤ ـ صيام شهر الله المحرم:

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**(٣).

٥ ـ يوم عاشوراء:

آكد أيام المحرم يوم عاشوراء، ويوم قبله أو بعده. يدل لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: **ما هذا؟** قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: **فأنا أحق بموسى منكم** فصامه وأمر بصيامه»(٤).

---

(١) رواه أحمد. المسند ٣٤٦/٥. قال في مجمع الزوائد ١٦/٤ رجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٧/٣.
(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٩/٣.
(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٥٧/٣، وصحيح مسلم ١٤٦/٣.

٦ ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

يسن صام ثلاثة أيام من كل شهر ويستحب أن تكون أيام البيض وهي ثلاثة عشرة وأربعة عشر وخمسة عشر.

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام[١].

٧ ـ صيام يومي الإثنين والخميس:

يسن صيام يومي الإثنين والخميس لأن الحبيب المصطفى ﷺ كان يصومهما يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»[٢].

٨ ـ صوم يوم وإفطار يوم:

أفضل صيام التطوع صيام يوم وإفطار يوم. يدل لذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبر النبي ﷺ أني أقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي. قال: «**فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**».

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: «**فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام**» داود عليه السلام وهو أفضل الصيام فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك فقال النبي ﷺ: «**ولا أفضل من ذلك**»[٣].



---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٥٣.

(٢) رواه أحمد. المسند ٥/ ٢٠٨، والترمذي ٣/ ١٢٢، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن غريب.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٥٣، وصحيح مسلم ٣/ ١٦٢.

الصيام المكروه

١ ـ صيام الدهر:

يكره أن يصوم المسلم الدهر كله لورود النهي عن ذلك في حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام الدهر فقال: «**لا صام ولا أفطر أو ما صام ولا أفطر**»(١).

٢ ـ يكره الوصال في الصيام:

وهو ألا يفطر بين اليومين بأكل ولا شرب، وقد نهى عنه ﷺ لما فيه من الضعف والمشقة يدل لذلك ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تواصلوا**» قالوا: فإنك تواصل. قال: «**لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى أو إني أبيت أطعم وأسقى**»(٢).

٣ ـ إفراد الجمعة بالصوم:

يدل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده**»(٣).

٤ ـ إفراد يوم السبت:

يدل لذلك حديث: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم**»(٤).

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٦٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٨، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٥٤، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٤.

(٤) رواه أحمد. المسند ٤/ ١٨٩، والترمذي ٣/ ١٢٠، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن ومعنى كراهته في هذا أن يخص الرجل يوم السبت بصيام لأن اليهود تعظم يوم السبت.

والحكمة في النهي عن إفراد هذين اليومين والله أعلم أن يوم الجمعة يوم دعاء وذكر وعبادة فاستحب الفطر فيه ليكون أعون عليها وهو عيد الأسبوع وأما السبت فلأن اليهود كانت تعظمه وتخصه بالإمساك وترك العمل فيه فيصير صومه تشبهاً بهم فإن صامه مع غيره أو صامه عن نذر أو قضاء لم يكره لزوال المحذور والله أعلم.

اللهم يا من لا تشتبه عليه اللغات ولا تختلف عليع الأصوات ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات على اختلاف اللغات وتفنن المسؤولات اجعل مآلنا إلى عالي الجنات ونعمنا بما فيها من الكرامات وارفع لنا عندك الدرجات واغفر عنا جميع السيئات.

اللهم اسلك بنا سبيل الإبرار واجعلنا من عبادك المصطفين الأخيار وامنن علينا بالعفو والعتق من النار وانظمنا في سلك المتقين والأخيار واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) فتح الباري ٤/ ٢٣٦، سبل السلام ٢/ ٢٣٠.

المجلس العاشر

فصل في:

- الأخوة الإسلامية.
- وعلى من يجب الصوم.

الأخوة الإسلامية

الحمد لله الذي أحكم الأشياء كلها صنعاً وتصرف كما شاء إعطاءً ومنعاً.

أنشأ الآدمي من قطرة فإذا هو يسعى وخلق له عينين ليبصر المسعى ووالى لديه النعم وتراً وشفعاً وضم إليه زوجة تدبر أمر البيت وترعى وأباحه محل الحرث وقد فهم مقصود المرعى.

أحمده سبحانه ما أرسل سحاباً وأنبت زرعاً وأصلي على رسوله محمد أفضل نبي علَّم أمته شرعاً وعلى أبي بكر الذي كانت نفقته للإسلام نفعاً وعلى عمر ضيف الإسلام بدعوة الرسول المستدعى، وعلى عثمان الذي ارتكب منه الفجار بدعاً، وعلى علي الذي يحبه أهل السنة جمعاً.

أيها الصائمون والصائمات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته... وبعد؛ سيكون حديثنا هذه الليلة عن الأخوة الإسلامية وآثارها راجين من الله جل وعلا أن تتحقق هذه الأخوة في مجتمع المسلمين اليوم كما تحققت في مجتمع المسلمين الأول وباركها رسول البشرية ﷺ بل شجع على تحقيقها ورعاها أتم الرعاية يوضح ذلك ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[١].

أيها الصائمون: العمل بهذا الحديث العظيم من أعظم الأسباب الموصلة

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١١.

للتآلف بين المسلمين وقلة الشحناء بينهم فالمؤمنون إخوة في النسب أبوهم آدم وأمهم حواء لا يتفاضلون إلا بالتقوى. وإخوة في الدين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال الرسول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه**»[(١)].

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٢)].

ولهذا قال ﷺ: «**لا تحاسدوا**» أي: لا يحسد بعضكم بعضاً. والحسد تمني زوال النعمة عن أخيك المسلم وهو حرام لأنه اعتراض على الله في نعمته وقسمته.

وقال النبي ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

ثم قال ﷺ: «**ولا تناجشوا**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٩٨، وصحيح مسلم ٨/ ٢٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٧/ ٧٧، وصحيح مسلم ٨/ ٢٠.

(٣) رواه أحمد والبزار والبيهقي وغيرهما بإسناد جيد. انظر: المسند ١/ ١٦٥، والبيهقي ١٠/ ٢٣٢، ومجمع الزوائد ٨/ ٣٠.

(٤) رواه أبو داود. سنن أبي داود ٥/ ٢٠٨. قال المنذري في المختصر ٧/ ٢٢٧ جد إبراهيم لم يسم. وذكر البخاري إبراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال لا يصح. وعلق الشيخ أحمد شاكر قائلاً عن إبراهيم بن أسيد عن جده عن أبي هريرة. يقال ابن أبي أسيد وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي في الأشراف جد إبراهيم بن أبي أسيد البراد وأظنه سالماً عن أبي هريرة هذا آخر كلامه. فإن كان جده سالماً البراد فهو كوفي كنيته أبو عبد الله وهو ثقة. أ هـ من هامش المنذري وفي التهذيب ذكره ابن حبان في الثقات... مختصر سنن أبي داود ٧/ ٢٢٥.

والنجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليفر غيره بها وهو حرام لأنه من أسباب العداوة والبغضاء ومن أسباب أكل المال بالباطل ولهذا قال بعض العلماء الناجش آكل ربا خائن غاش... «**ومن غشنا فليس منا**»(١).

ثم قال ﷺ: «**ولاتباغضوا**» أي: لا يبغض بعضكم بعضاً بتعاطي أسباب البغضاء من السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة والخمر والميسر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»(٢).

والتباغض المذموم هو الذي منشؤه التنافس في الدنيا واتباع الأهواء فأما الحب في الله والبغض في الله فذلك أوثق عرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله.

وبناء على هذا يجب عليك أيها المسلم محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصالحين ومحبة ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح لأنك مع من أحببت يوم القيامة. كما يجب عليك بغض الكفر والفسوق والمعاصي وبغض الكفرة والمشركين والعصاة والملحدين.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

ثم قال ﷺ: «**ولا تدابروا**».

والتدابر التهاجر والتقاطع، فإن كلاًّ من المتقاطعين يولي صاحبه دبره ويعرض عنه ولا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام ثم قال ﷺ: «**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**» معنى البيع على بيع أخيه أن يقول لمن اشترى سلعة بعشرة:

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٦٩.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٥٣.

أنا أبيعك مثلها بتسعة والنهي للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض، ثم قال ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخواناً**» وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بيع بعض كانوا إخواناً؛ أي: تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوان ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والتضحية بكل حال فكونوا عباد الله إخواناً في المحبة والدين والرفق واللين.

شعراً:

شمر عسى أن ينفع التشمير	وانظر بفكرك ما إليه تصير
طولت آمالاً تكنفها الهوى	ونسيت أن العمر منك قصير
قد أفصحت دنياك عن غدراتها	وأتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بزهوها متمتعاً	ترجو المقام بها وأنت تسير
ليس الغنى في العيش إلا بلغة	ويسير ما يكفيك منه كثير
لا يشغلنك عاجل عن آجل	أبداً فملتمس الحقير حقير
ولقد تساوى بين أطباق الثرى	في الأرض مأمور بها وأمير



على من يجب الصوم

من المعلوم لكل مسلم صغيراً أو كبيراً عالماً أو جاهلاً بل من المعلوم من الدين بالضرورة أن صيام شهر رمضان واجب على كل مسلم بالغ عاقل.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً**»[(١)].

وأما الكافر:

فلا يجب عليه الصيام وجوب أداء في الدنيا لأنه لا يصح منه لو فعله وذلك لأن الإسلام شرط من شروط صحته.

وإنما يجب عليه وجوب مؤاخذة في الآخرة بمعنى أن الله يعاقبه على عدم فعله يوم القيامة. يقول تعالى حكاية عن سؤال المؤمنين الكافرين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٦].

وأما الصبي:

فلا يجب الصيام على المسلم الصغير الذي لم يبلغ؛ لأن القلم رفع عنه

---

(١) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري ١/ ٨ وصحيح مسلم ١/ ٣٤.

إلا أنه إذا فعله الصبي المميز صح منه وأثيب عليه وينبغي لأولياء الأمور أن يأمروا الصغار الذي يطيقون الصيام ويشجعونهم عليه ويضعون لهم الحوافز والجوائز.

وما يفعله بعض الأولياء مع أولاده من منعهم من الصيام رحمة بهم وشفقة عليهم لا أساس له من شرع ولا منطق ولا منظور تربوي راشد؛ لأن الخير في تعويدهم على الطاعة وحفزهم إليها وتشجيعهم عليها، وهذا كله مرهون بعدم حصول الضرر عليهم وهو منتف ولله الحمد في هذه الأزمنة مع توفر وسائل الراحة من التكييف وغيره.

وأما المجنون:

فلا يجب الصيام عليه لرفع القلم عنه لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق**»[(١)].

وبهذا يتبين أن الصيام واجب على المسلم البالغ العاقل المقيم القادر السالم من الموانع فالمسلم يخرج الكافر إذ لا يجب عليه الصوم كما سبق.

والبالغ يخرج الصغير إذ لا يجب عليه الصوم لكنه يؤمر به تعويداً له عليه وتدريباً له وليسهل عليه إذا بلغ.

وينبغي أن يعلم أن البلوغ يحصل بواحد من أمور ثلاثة:

١ ـ إنزال المني باحتلام أو غيره.

٢ ـ نبات شعر العانة.

٣ ـ بلوغ تمام خمس عشرة سنة.

وتزيد الأنثى بأمر رابع وهو الحيض فمتى حاضت فقد بلغت مهما كان سنها.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه. المسند ١/ ١٤٠، وسنن أبي داود ٤/ ٥٥٨، وسنن النسائي ٦/ ١٥٦، وسنن ابن ماجه ١/ ٦٥٨. قال في مجمع الزوائد ٦/ ٢٥١ رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال ابن حجر في فتح الباري ١٢/ ١٢١، وقد أخذ الفقهاء بمقتضى هذه الأحاديث لكن ذكر ابن حبان أن المراد برفع القلم ترك كتابة الشر عنهم دون الخير.

والعاقل: يخرج المجنون إذ لا يجب عليه الصيام.

والمقيم: يخرج المسافر فهو مخير بين الصيام والفطر إلا إذا شق عليه الصيام فالفطر أفضل وإن تساوا الأمران فالصيام أفضل.

والقادر: يخرج المريض ومن حكمه كالكبير والعجوز اللذين لا يطيقان الصيام فهما يطعمان عن كل يوم مسكيناً من غالب قوت البلد.

والسالم من الموانع: يخرج من به مانع يمنعه من الصيام كالحيض والنفاس.

فيجب على المسلم أن يهتم بأمر الصيام هذه العبادة العظيمة التي تتكرر في حياة المسلم كل عام وفيها من المنافع المعلومة المتحققة الشيء الكثير فهنيئاً لمن أدى هذه العبادة على وجهها الصحيح دون سأم أو ملل أو تبرم.

وهنيئاً لمن عمر أوقات رمضان بالطاعة وقضاها بأنواع القربات من ذكر ودعاء وصدقة وتلاوة للقرآن.

ويا لخسارة من تكاسل في هذه الأوقات الفاضلة. وضيع هذه الفرصة الثمينة ففتش عن نفسك أخي المسلم هل أنت ممن أحسنوا قبل رمضان فزادوا فيه إحساناً على الإحسان؟ أم أنت ممن ضيع قبل رمضان فجاءه رمضان وما غير من أحواله شيئاً تبع هواه فأرداه وأطاع شيطانه فأغواه وغداً سيندم على التفريط يوم لا ينفع الندم.

اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد يا ذا الجلال والإكرام يا منان يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم نسألك أن توفقنا لما تحب وترضى وأن تجعلنا ممن رضي بك رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ونسألك أن تثبتنا على ذلك إلى الممات وأن تغفر لنا الخطايا والسيئات وأن تهب لنا منك رحمة إنك أنت الوهاب وأن تغفر لنا ولوالدينا برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١].

(١) بداية المجتهد ١/ ٢٧٤، مجالس شهر رمضان ص٢٦، جامع العلوم والحكم ص٨٥.

المجلس الحادي عشر

فصل في:

- آداب الصيام.
- بر الوالدين.

آداب الصيام

الحمد لله مدبر الليالي والأيام ومصرف الشهور والأعوام الملك القدوس السلام المتفرد بالعز والعظمة والبقاء والدوام المنزه عن النقائص ومشابهة الأنام يعلم ما كان وما يكون ويرى ما في داخل العظام ويسمع خفي القول ومهموس الكلام إله عظيم كريم رحيم كثير الأنعام ورب قادر بالمجرمين شديد البطش والانتقام قدر أمور عباده فنظمها أحسن نظام وشرع الشرائع فأحكمها أيما إحكام بقدرته تهب الرياح ويسير الغمام وبحكمته ورحمته يتعاقب الضياء والظلام أحمده سبحانه شرع لعباده الصلاة والصيام وأودع في الصيام من الأسرار ما تحار فيه الأفهام.

وأصلي وأسلم على عبده أفضل من صلى وصام وعلى أصحابه وأتباعه في الصحب الكرام.

أيها الإخوة المؤمنون:

لقاؤنا هذه الليلة حول آداب الصيام وسيقتصر الحديث على بعض الآداب الواجبة، ونركز على الغيبة والنميمة وسماع آلات اللهو لأنها هي الكثيرة الشائعة في المجتمع فنقول والله حسبنا ونعم الوكيل:

من الآداب الواجبة على الصائمين وغيرهم أداء الفروض في أوقاتها فبعض المسلمين هداهم الله يتهاون بالصلاة في رمضان فتراه يصوم النهار وينام عن الصلوات وما علم المسكين أنه عاص لله ﷻ إذا ضيع أهم فروض الإسلام على الإطلاق وهي الصلاة مع جماعة المسلمين ويكفي هؤلاء زجراً ووعيداً قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

ومن الآداب الواجبة أن يجتنب الصائم جميع ما حرم الله جل وعلا من الأقوال والأعمال وأخطر ذلك الكذب.

ويجتنب الغيبة وهي ذكره أخاه بما يكره في غيبته سواء كان في خلقته أو خلقه ويجتنب النميمة وهي نقل كلام شخص في شخص إليه ليفسد بينهما.

ويجتنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة وزراعة ومنه الغش في الامتحانات.

ويجتنب المعازف بجميع أشكالها وأنواعها ففي الحلال ما يغني عن الحرام.

وإليك أخي المسلم طرفاً من النصوص عن المعصوم ﷺ تؤكد ما سبق.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بل إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**... إلى قوله: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك»[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم. صحيح البخاري ٨/ ٢١، وصحيح مسلم ١/ ٧١.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٨/ ٢١.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١١.

(٤) رواه الإمام أحمد. المسند ٣/ ١٦٦. قال المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٥٤٩. رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»[1].

وقد حذر ﷺ من المعازف وقرنها بالزنا فقال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»[2].

فيا أخي الصائم ويا أختي الصائمة.

حذار أن تطلقوا ألسنتكم في أعراض إخوانكم المسلمين اتقوا الله فيهم فإن كل كلمة مسجلة. وصدق الله العظيم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وحذار من غش المسلمين والتحايل عليهم لأكل أموالهم بالباطل فالحساب عسير والصراط دقيق والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وحذار أيتها الأخت المسلمة من التبرج والسفور، وفي رمضان تصفد الشياطين، لكن شياطين الإنس يغدون ويروحون.

إلزمي بيتك وأرسلي من يحضر حاجتك واتقي الله في نفسك وعرضك وزوجك فسيأتي يوم تندمين فيه ولات ساعة مندم.

شعراً:

ومسندون تعاقروا كأس الردى ... ودعا بشربهم الحمام فأسرعوا

برك الزمان عليهم بجرانه ... وهفت بهم ريح الخطوب الزعزع

خرسى إذا ناديت إلا أنهم ... وعظوا بما يزع اللبيب فأسمعوا

والدهر يفتك بالنفوس حمامه ... فلمن تعد كريمة أو تجمع

عجباً لمن يبقى ذخائر ماله ... ويظل يحفظهن وهو مضيع

ولغافل ويرى بكل ثنية ... ملقى له بطن الصفائح مضجع

أتراه يحسب أنهم ما أسأروا ... من كأسه أضعاف ما يتجرع

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٦٩.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٧/ ١٣٨.

بر الوالدين

إخوة الإيمان:

اتقوا الله واعلموا أن بر الوالدين من أوجب الواجبات وأفضل الأعمال والبر من صفات المؤمنين والعقوق من صفات الفسقة والأنذال وقد أمر الله ببر الوالدين فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

على الولد أن يعرف قدر والديه ويحسن إليهما بقوله وفعله ولا يتكبر عليهما ولا ينهرهما.

وعليه أن يقوم بما يلزمهما من خدمة وطاعة ويبذل لهما ما يرغبانه ويشتهيانه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ويتحمل منهما كما تحملا منه حال صغره وعجزه عن القيام بنفسه فهما اللذان ربياه بنعم الله وهما السبب في وجوده وتحملا منه حضانة وتغذية وكسوة وقدماه على أنفسهما إن مرض مرضا وإن سهر سهرا، لقد عانيا من التعب والمشاق رجاء أن يكبر فينفعهما ويخدمهما ويرثهما في العلم والدين والأدب والسكن ويكون رب الأسرة عند عجزهما ولعله يكون صالحاً فيدعو لهما ويكون خير خلف لهما.

فيا أيها الولد الصالح لا تخيب رجاء والديك فيك لا تعقهما فتعاقب بعذاب الله وتعاقب بعقوق أبنائك لك وقد ورد في الحديث: «**بروا آباءكم تبركم أبنائكم**»[1].

---

(١) قال في مجمع الزوائد ٨/١٣٨: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح =

وقد جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله، فقال له عليه السلام: «**أحي والداك**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»(١).

وقال رجل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٢).

انظر أخي المسلم كيف قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وذلك لأهمية حق الوالدين، وقال ﷺ: «**رغم أنف امرىء أدرك أحد والديه أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة**»(٣).

واعلم أخي المسلم: أن هناك ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر فلا يعق والديه إلا رجل عاص لئيم.

إن العقوق من كبائر الذنوب، ومن أعظم المحرمات ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم: العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان**»(٤).

كل الذنوب تؤخر عقوبتها إلا عقوق الوالدين، فالعقوبة تعجل نسأل الله السلامة والعافية. إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع الرحم، فما الظن بالعاق أنه ممقوت عند ربه وعند عباده لا يرغب أحد في مصاهرته ومعاملته.

إن حق الوالدين عظيم فبشراك أيها المسلم البار وهنيئاً لك بر أولادك في الدنيا والأجر الوفير في العقبى هنيئاً لك في بسط الرزق وبركة العمر هنيئاً لك الذكر الحسن في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

= غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه.

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ٧١، وصحيح مسلم ٨/ ٣.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٨٩، ورواه البخاري ٤/ ١٧.
ورواه الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٣١٠، قال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٥.

(٤) رواه أحمد. المسند ٣/ ٢٨، ورواه النسائي، سنن النسائي ٥/ ٨٠، وقال في مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٧، ورواه أحمد والطبراني والنسائي وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

لقد ملأ سمع الناس اليوم حوادث كثيرة تنبئ عن عقوق الأولاد لآبائهم وأمهاتهم. لقد ثبت لنا أن هناك من وضع أمه في الملاجئ زهداً فيها.

لقد ثبت لنا أن هناك من رفض الإفصاح عن أبيه في بعض الولائم لئلا يشوه سمعته.

فوا أسفا على الحمل والرضاع ووأسفا على السهر والبكا ويا ضيعة الغذاء والكساء والدواء.

والله لا يحس المسلم في التقصير والتفريط مع والديه إلا إذا ودعهما للمقابر فهنا يسكب العبرات ويتحسر على ضياع الأوقات فاغتنم أخي المسلم ما بقي من عمرك وعمر والديك فبرهما من أقصر الطرق إلى الجنة، وصدق الله العظيم:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

اللهم اجعل بر الوالدين من أجل قرباتنا والقيام بشأنهما من أعظم أعمالنا والسهر على مصالحهما من أفضل حسناتنا ففي ذلك لنا سعة الرزق، وطول العمر وحسن الخاتمة.

اللهم اجعلنا ممن يقوم ببعض حقوق والديه عليه وهيء لنا أسباب رضاهما عنا. اللهم رضهما حتى يسامحانا وأعل درجاتهما في الجنة إكراماً.

اللهم اجمعنا بهما في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم رب ارحمهما رب ارحمهما رب ارحمهما كما ربياني صغيراً رب اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

---

(١) الصوم رفعت عبد المطلب ص٤٣، الصوم للدوسري ص١٦.

المجلس الثاني عشر

فصل في:

- آداب الصيام.
- وحديث عبدالرحمٰن بن سمرة.

آداب الصيام

الحمد لله الذي جعل صيام رمضان جُنة من العذاب، وفضله على سائر الشهور، وأجزل فيه الأجر للصائمين فجزاهم بغير حساب أضاف الصوم لنفسه وقال الصوم لي وأنا أجزي به، فيا سعادة من صامه وقامه إيماناً واحتساباً جعل شهر رمضان تاجاً على رأس الزمان فيا بشرى لأهل الصبر والاحتساب، شهر أنزل الله فيه الكتاب هدى ورحمة ونوراً لأولي الألباب.

شهر خص الله فيه الصائمين بالدعاء المستجاب أحمده سبحانه حمد معترف لربه قد خر له راكعاً وأناب، وأشكره وقد تأذن بالمزيد لمن شكر وتاب، وأصلي وأسلم على رسوله المصطفى شفيعنا يوم الحساب وعلى آله وأصحابه الطيبين أولي الألباب.

إخوة العقيدة:

يتجدد اللقاء مساء هذه الليلة مع درس من دروس الصيام أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما نسمع وأن يجعله حجة لنا لا علينا يوم تتطاير الصحف ويُسلَّم الكتاب، درسنا هذه الليلة حول آداب الصيام المستحبة من سحور وتأخيره وفطر وتعجيله وكثرة دعاء وصدقة وتلاوة للقرآن فاستمع أخي جيداً لعلك أن تحظى بالقبول لتفوز على الدوام.

للصيام آداب كثيرة ينبغي على المسلم أن يفعلها لأنها تكمل الصوم وتجمله وتجبر ما عساه يقع فيه من خلل أو تقصير غير مقصود.

من هذه الآداب:

١ ـ السحور:

فيستحب لمن يريد الصيام أن يتسحر لما في السحور من البركة والاستعانة على صيام النهار ومخالفة أهل الكتاب كما بين ذلك الرسول ﷺ فقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تسحروا فإن في السحور البركة**»(١).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**»(٢).

ووقت السحور يمتد بين نصف الليل إلى طلوع الفجر ويحصل بكثير المأكول وقليله كما أنه يحصل بالماء والتمر وغيرهما.

ويستحب تأخير السحور إلى آخر الليل ما دام المرء متيقناً بقاء الليل.

روى عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله عنهما أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن بليل فقال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**»(٣).

وروى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية(٤).

٢ ـ تعجيل الفطر:

وكونه على تمر أو ماء والدعاء عنده، يستحب للمسلم تعجيل الفطر بغروب الشمس، كما يستحب له أن يكون فطره على تمر، فإن لم يجد فعلى ماء يدل لذلك كله ما رواه سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»(٥).

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٨، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٠.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٣٠.
(٣) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٣٧.
(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٧، وصحيح مسلم ٣/ ١٣١.
(٥) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٧، وصحيح مسلم ٣/ ١٣١.

وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أحدهما يعجل الإفطار، ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، فقالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، قلنا: عبد الله بن مسعود قالت: كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ[(١)].

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور**»[(٢)].

٣ ـ الإكثار من الصدقة وتلاوة القرآن وتفطير الصائمين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[(٣)].

وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود كلها من بذل العلم والنفس والمال لله عز وجل في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من تعليم جاهلهم وقضاء حوائجهم وإطعام جائعهم وكان جوده يتضاعف في رمضان لشرف وقته ومضاعفة أجره وإعانة العابدين فيه على عبادتهم والجمع بين الصيام وإطعام الطعام، وهما من أسباب دخول الجنة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبع منكم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم**

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٣١.

(٢) رواه أحمد. المسند ٤/١٧، والطبراني ٦/ ٣٣٤، والترمذي ٣/٤٦، وقال: حديث سلمان بن عامر حديث حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٤، وصحيح مسلم ٧/ ٧٣.

اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**»[١].

شعراً:

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت ... ونادت ألا جدوا الرحيل وودعت
وزمت مطايانا إلى برزخ البلى ... وساقت بنا سوقاً حثيثاً فأسرعت
سلام على أهل القبور أحبتي ... لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما مُوِّتَ الأحياءُ إلا ليبعثوا ... يقيناً وتُجزى كل نفس بما سعت

وقال آخر

لا تثق بالحياة من بعد قبري ... كل حي مصيره كمصيري
كنتُ في نعمة وفي خفض عيش ... فمضى وانقضى كيوم قصير
ثم أفردت في القبور وحيداً ... وجفاني الصديق فوق القبور



(١) رواه مسلم ٣/ ٩٢.

حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه

عن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقال: «**إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطرد الشياطين عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي فرأيت البنين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا من حلقة طرد، ومنع فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير في ذلك فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلاً من أمتي احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه في الله عز وجل فاستنقذه من**

ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكاها من خشية الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصفة فجاءه حسن ظنه في الله فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة ألا إلٰه إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة»(١).

وفي حديث الإسراء أنه ﷺ مر في معراجه إلى السماء على قوم تضرب رؤوسهم بالصخر فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء الذين تثاقل رؤوسهم عن الصلاة، ثم مر على قوم عليهم رقاع يسرحون في الضريع ورضف جهنم فسأل عنهم فقيل: إنهم لا يؤدون صدقة أموالهم، ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها فسأل عنه فقيل: هذا رجل عليه أمانات الناس وهو يريد أن يزيد عليها، ومر على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار كلما قرضت عاد فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء خطباء الفتنة، ومر بواد فيه ريح طيبة وأصوات حسنة فقيل: هذه الجنة تقول: يا رب ائتني بأهلي وما وعدتني فقد كثر سندسي واستبرقي ومرجاني وفضي، ومر بواد فيه أصوات منكرة فقيل: هذا صوت جهنم تقول: يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي(٢).

---

(١) ذكره ابن كثير. انظر: التفسير ٢/ ٥٣٥ وقال القرطبي: بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة أورده هكذا في كتابه التذكرة.
قال ابن تيمية: هذا حديث عظيم شواهد الصحة عليه، وقال في مجمع الزوائد ٧/ ١٨٠ رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد بن عبد الرحمٰن المخزومي وكلاهما ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير ٣/ ١٧ـ ٢١، وهو طويل جداً في أربع صفحات ثم قال: «... وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام في رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون =

أرأيتم أيها المؤمنون الفرق بين عمل الصالحات والسيئات، أرأيتم عاقبة المؤمنين وعاقبة الجاحدين، أرأيتم سعادة الأخيار وشقاوة الأشرار، أرأيتم كيف انقضت حياة هؤلاء وهؤلاء، ولكن الغبن والتفاخر والتكاثر في الآخرة، أرأيتم سعادة من أطاع ربه وبر والديه ووصل رحمه وحافظ على فرائضه وأحسن الظن بربه وعطف على إخوانه وساهم في مجالات الخير والإحسان.

أي فرق كبير بين هؤلاء وبين من ضيعوا الصلوات وهجروا بيوت الله وآذوا المسلمين في أعراضهم صباح مساء.

أي نتيجة حصل عليها من وقعوا في محارم الله وحاربوا الله في الدنيا وكأنهم سيعمرون فيها. لقد تحقق وعد الله إنه لا يخلف الميعاد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

اللهم يا أكرم من رجي ويا أحق من دعي ويا خير من ابتغي امنن علينا بغفرانك وعاملنا بفضلك وإحسانك واجعلنا من ورثة جناتك. اللهم هب لنا من ما وهبته لعبادك الأخيار وأمن خوفنا بيوم لا تنفع فيه الأعذار برحمتك يا كريم يا غفار. اللهم اجعل الجنات لنا داراً. وامنن علينا بصلاح أولادنا واجعلهم صالحين وأخياراً. اللهم إنا نسألك بإسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا استفرجت به فرجت وإذا استنصرت به نصرت أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).

= مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء. والله أعلم.

(١) الصوم رفعت عبد المطلب، ص٤٣، الصوم للدوسري ص١٦.

المجلس الثالث عشر

فصل في:

ـ فوائد الصيام.

ـ والصبر الجميل.

فوائد الصيام

الحمد لله الذي جعل صيام رمضان جُنَّة من العذاب وفضله على سائر الشهور وأجزل فيه الأجر للصائمين فجزاهم بغير حساب أضاف الصوم لنفسه فقال الصوم لي وأنا أجزي به، فيا سعادة من صامه وقامه عن إيمان واحتساب جعل شهر رمضان تاجاً على رأس الزمان فيا بشرى لأهل الصبر وحسن مآب، شهر أنزل الله فيه الكتاب هدىً وذكرى لأولي الألباب، شهر أعز الله فيه الإسلام يوم بدر وهزم الأحزاب، شهر فتح الله فيه مكة وهزم الشرك فولى على الأعقاب، شهر خص الله فيه الصائمين ومنحهم الدعاء المستجاب.

أحمده سبحانه على كل حال حمد معترف بالتقصير يخشى يوم الحساب وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة صفوة الأحباب وعلى جميع الآل والأتباع والأصحاب.

إخوة الإيمان: سلام الله عليكم ورحمته وبركاته:

درسنا لهذه الليلة حول فوائد الصوم وهي كثيرة جداً ولكننا نختصر ونقتصر على المهم بمشيئة الله تعالى.

١ ـ الصيام رياض للأبرار المتقين للتدرب على وظيفتهم بخلافة الله في الأرض وهو رحمة عظيمة النفع للبدن والروح جميعاً، فيه اجتماع القلب والهم على الله توفير قوى النفس على محبته وطاعته والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفار هي السفلى مهما تنوعت بألقابها وشعاراتها.

٢ ـ الصيام سبب لزرع تقوى الله في القلوب وكف الجوارح عن المحرمات يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

فشرع الصيام لتحصيل التقوى وهي كلمة جامعة لكل خصال الخير ومؤداها أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

٣ ـ والصيام يعود المسلم الصبر والتحمل والجلد؛ لأنه يحمله على ترك محبوباته وشهواته وكبح جماح النفس فيه مشقة عظيمة ولهذا كان في الصوم أنواع الصبر الثلاثة صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله وصبر على أقدار الله. ومتى اجتمعت أدخلت العبد الجنة بإذن الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ ـ الصيام يساعد المسلم على التغلب على نفسه الأمارة بالسوء فهي دائماً تدعوه لانتهاك المحرمات والإقبال على الشهوات لكن الصوم يفوت عليها الفرصة إذ يكسر حدة الشهوة فيضعف سلطانها.

٥ ـ الصيام يضعف مجاري الشيطان وبالتالي يضعف تسلطه على المسلم ويبحث عن مركب سهل يحقق من خلاله أهدافه ومآربه، ومتى أطلق المسلم لشهواته العنان تمكن الشيطان منه وأخذ يوجهه لما يريد.

٦ ـ الصيام يعرف العبد نعمة ربه عليه فمتى أحس بالجوع والعطش عرف قدر النعمة التي يتقلب بها طول العام.

٧ ـ الصيام يحمل المسلم على الإحسان للفقراء والمساكين والمحاويج فالصائم إذا جاع أحس بحاجة الجائعين طوال العام وإذا عطش أحس بالظامئين خلال العام فيحفزه ذلك للإحسان إليهم والشفقة عليهم.

٨ ـ الصيام مظهر من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية وعنوان من عناوين تكافلها وترابطها، إمساك في وقت واحد وإفطار في وقت واحد، لا فرق بين أمير ومأمور ولا صغير وكبير ولا شريف ووضيع، وكم بهر مظهر الإفطار الجماعي عقولاً وحيَّر ألباباً فأذعنت وانقادت واهتدت بنور الله.

٩ ـ الصيام يعين على الطاعة ويقرب من الله فكلما عمل المسلم طاعة حفزته لطاعة أخرى وهذا أحد أمارات قبول العمل.

١٠ ـ الصيام يرقق القلب ويجعله يتعلق بالله ويديم ذكره وشكره وكم

رأينا من تنافس الشباب والأحباب في حفظ كتاب الله وبذل الصدقات وزيارة البيت العتيق.

١١ ـ وفي الصيام صحة عظيمة بجميع معانيها صحة بدنية حسية وصحة روحية معنوية.

ولو استطردنا في فوائد الصيام لطال بنا المقام ويكفي أن نشير هنا إلى أن الصيام علاج لكثير من الأمراض المزمنة حدثني من أثق به قال: كان لي جار في مدينة الرياض وكان يشكو من مرض حير الأطباء ولم يجد له علاجاً في الداخل ولا في الخارج وشكايته في البطن يقول: وقدر الله عليه فحصل عليه حادث ومات بسببه شخص فلزمته الكفارة فصام شهرين متتابعين وخلالها بدأ يحس بضمور الألم حتى اختفى ثم أجرى تحليلات دقيقة فقرر الأطباء شفاءه تماماً مما كان يشكو وشكوا في علاجه هنا أو هناك ولكنه أخبرهما أنه لم يستعمل دواء قط إلا أنه صام شهرين متتابعين فكانت المفاجأة أن الحكيم العليم لا يشرع شيئاً إلا وفيه حكمة بالغة عقلناها أو لم نعقلها وما أجمل التسليم وألذ الانقياد وأسمى الطاعة.

شعراً:

وضح البيان وأنت في غرر الهوى ... متشاغل ببطالة وتصابي
ترتاح في حلل المشيب منعماً ... أأخذت ميثاقاً من الأوصاب
كم ناظر قد راق حسناً ناظراً ... أبلاه بالآفات شر مصاب
لم يغن عنه جماله وكماله ... ومقام مُلك في أعز نصاب
وأتاه من حرب المنون مُعاجلٌ ... صعب شديد الوهن غير محاب
فرآى اكتساب يديه ليس بنافع ... ودعا ذويه فكان غير مجاب
وحواه لحد ضيق متهدم ... يعلوه كدب جنادل وتراب
فأفق لنفسك والزمان مساعد ... وأطلع نصيحك ساعياً لصواب
وارجع إلى مولاك حقاً تائباً ... من قبل أن يعي برد جواب

الصبر الجميل

الصبر ضرورة بشرية وفريضة شرعية تلازم الإنسان في جميع أحواله وتقلباته وهو حبس النفس على طاعة الله وكفها عن المعاصي والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

ويقول تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[1].

الصبر ضرورة في هذه الحياة وما فاز فيها وحصل على مطلوبه إلا الصابرون.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

فلولا الصبر لما حصد الزارع بذره ولما جنى الغارس ثمره وهكذا كل ناجح في الدنيا تجد مطيته الصبر.

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للعبد عاقبة محمودة الأثر

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٢٢٧.

وقل من جَدَّ في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

والصابرون لا يدركون مطالبهم بسهولة ويسر ولكنهم يتحملون كل ما يصيبهم ويتخطون كل عقبة في طريقهم.

لا تأيسن وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وللصبر شروط منها:

١ ـ **الإخلاص** فالصبر المحمود هو ما كان لله سبحانه وتعالى. يقول تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ٧].

ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢].

٢ ـ عدم شكوى الله:

لا يسوغ للمسلم أن يشكو الله إلى خلقه لأن هذا لا يفيده في شيء لكنه يحرمه الأجر ويخرجه إلى دائرة الوزر:

وصدق الشاعر:

وإذا عرتك مصيبة فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أرحم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

٣ ـ أن يكون الصبر في أوانه:

الصبر المحمود هو ما كان في محله وقبل فوات وقته، أما إذا فات وقته فلا فائدة فيه.

عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على امرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها رسول الله ﷺ: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه، قال: فقيل لها: إنه النبي ﷺ قال: فأخذها مثل الموت، قال: فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك، فقال ﷺ: «**الصبر عند الصدمة الأولى**»[١].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢/ ١٠٥، وصحيح مسلم ٣/ ٤٠.

وللصبر مجالات منها:

١ ـ الصبر على بلاء الدنيا:

لا أحد يسلم من بلاء الدنيا من فقدان الأحباب وخسران المال وحصول الآلام والأوجاع والأسقام وهذا لا يخلو منه أحد إلا من شاء الله ويصيب البر والفاجر والمؤمن والكافر والغني والفقير والصغير والكبير وسائر الخلق أجمعين.

وصدق الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

٢ ـ الصبر عن شهوات النفس:

الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير ولهذا ينبغي ألا يطلق المسلم لنفسه العنان لتسرح وتمرح في الشهوات والملاذ تأخذ ما لذ وطاب وتغفل عن الشكر والذكر وتلاوة الكتاب ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

كثير ممن متعهم الله بالصحة والعافية وأغرق النعم عليهم فهم يتقلبون في شهوات نفوسهم كثير منهم ذلك فتنة له أنها نقم وليست بنعم وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

٣ ـ الصبر على طاعة الله:

الطريق إلى الله يحتاج إلى صبر ومجاهدة لأن فيه عوائق على الطريق هم يصيبك أو حاسد يغبطك أو منافق يؤذيك في نفسك أو عرضك، والطاعة تحتاج إلى مصابرة لأن النفس تتفلت وتنفر من القيود وتطلب الانفلات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

٤ ـ الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله سبيلها طويل وطريقها شاق تحتاج إلى رجال عزائمهم لا تخور يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر. وهناك صبر عند لقاء العدو وصبر على الزوجة والأولاد وصبر على الأخوة الصادقة وصبر على طلب العلم، وغيرها كثير.

أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أقداره المؤلمة وأسأله تعالى أن يجمعنا ووالدينا وأحبابنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الفائزين برضوانك وتجعل مآلنا إلى جناتك وتعيذنا من عذابك ونيرانك. اللهم ارحم ذلنا يوم قيام الأشهاد وآمن خوفنا من فزع يوم المعاد ووفقنا لما فيه تنجينا في ظلم الألحاد. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين[١].



(١) إتحاف أهل الإيمان ص٣٣، الصبر الجميل ص٢٧.

المجلس الرابع عشر

فصل في:

ـ حق المسلم على أخيه.

ـ والصيام عن اللغو والرفث.

حق المسلم على أخيه

الحمد لله الذي زحزح همم الأولياء عن السكون إلى العاجلة. وشرح صدور السعداء لإيثار الآجلة، المتفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعز الذي لا نفاد له، استوى على العرش من غير تكييف وقهر، وعلم ما كان وما يكون من الخافي وما ظهر ونفذت أقداره في الخلائق فكل نفس لما قدر لها عاملة القلوب تعرفه بصنعته والرقاب خاضعة لعزته والعقول في تكييف عظمته حائرة ذاهلة صفاته ثابتة وتخيلات المشبهين باطلة.

الملك الكريم الغفور الرحيم الذي يغفر لمن استغفر ويجبر من انكسر، ويقيل من استقاله ويجيب سائله، العفو الذي يستر الزلات ويقيل العثرات وينادي في كل ليلة ليجيب الدعوات ويغفر السيئات ويتوب على من تاب من قبيح الجنايات.

أحمده سبحانه على ما أسبغ علينا من نعمه الشاملة وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إخوة العقيدة:

يتجدد اللقاء في هذه الليلة حول حق المسلم على أخيه ذلك الأمر الذي كادت مشاغل الحياة وتعقيداتها أن تجهز على الكثير منه إلا ما رحم ربك.

فلنستمع أيها الأحباب ولنبادر إلى العمل لعل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست**»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده**

وإذا مات فاتبعه»[١].

هذه الحقوق الستة من قام بها في حق المسلمين كان قيامه بغيرها أولى وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله تعالى.

الأولى:

إذا لقيته فسلم عليه، فإن السلام تحية المسلمين وأتم هذه التحية وأكملها السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهو دعاء للمسلم عليه بالسلامة والرحمة والبركة، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، والسلام من محاسن الإسلام ومن حق المسلم على أخيه المسلم، وابتداؤه سنة عند اللقاء على من عرفت ومن لم تعرف، من صغير وكبير وغني وفقير وشريف ووضيع وهو يتضمن تواضع المسلم وأنه لا يتكبر على أحد، فمن بدأ الناس بالسلام فقد بريء من الكبر، وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام وأبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإفشاء السلام من أسباب المحبة والألفة بين المسلمين الموجبة للإيمان الذي يوجب دخول الجنة والنجاة من النار كما قال النبي ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[٢].

وعلى المسلم عليه رد السلام بمثله أو بأحسن منه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وهذه التحية في الدنيا والآخرة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

الثانية:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا دعاك فأجبه أي دعاك لدعوة طعام أو شراب فأجبر خاطر أخيك الذي أكرمك بالدعوة وأجبه لذلك إلا أن يكون لك عذر شرعي.

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٧/ ٣.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٥٣.

وهنا نهمس في آذان إخواننا المسلمين ونقول: ينبغي ألا توقعوا إخوانكم في الحرج وذلك في دعوات الزواج فكثير من الناس يرسل دعوة الزواج لمن عرف ومن لم يعرف، ثم تصل دعوة الزواج وقد يكون عند الشخص غيرها فيجد المسلم حرجاً في عدم إجابة الدعوة ولو كانت الدعوة عبر الهاتف قبل البطاقة وأخذ موافقة المدعو سلفاً لكان أفضل وإذا لم يتيسر ذلك فليضع المسلم في حسابه أن هذه البطاقة لا تعني وجوب إجابة الدعوة لنرفع عن أنفسنا الحرج المرفوع شرعاً، ومتى تعارف الناس على ذلك أصبح ذلك عرفاً طيباً يعملون به والله المستعان.

الثالثة:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا استنصحك فانصح له أي إذا استشارك في عمل من الأعمال هل يعمله أم لا فانصح له بما تحب لنفسك، فإن كان العمل نافعاً من كل وجه فحثه على فعله، وإن كان مضراً فحذره منه، وإن احتوى على نفع وضر فاشرح له ذلك ووازن بين المنافع والمضار والمصالح والمفاسد، وكذلك إذا استشارك في عمل من الأعمال أو في اختيار زوجة أو صلاحية زوج أو مناسبة وظيفة ـ ما ـ أو العمل في مدينة ـ ما ـ فكل ذلك يجب عليك أن تمحضه النصيحة وألا تستعجل في إبداء الرأي لئلا توقع أخاك في ورطة هو في غنى عنها.

ثم لينتبه الناصح أن هناك أموراً ينبغي التشجيع عليها وعدم ثني المستشير عنها كمن جاء يستشيرك وقد سمى ولده أو بنته باسم لا شبهة فيه أو كمن جاء يستشيرك وقد اشترى نوعاً من السيارات أو كاد يصدر قراره في وظيفة ما فإذا كانت هذه الأمور لا ضرر فيها فشجعه عليها ولو كان غيرها قد يكون أكثر نفعاً منها؛ لأن ما سيترتب على ذلك من المفاسد أكثر مما سيتحقق من المصالح بسبب مشورتك والله أعلم. وصدق الحبيب المصطفى: «**الدين النصيحة قالها ثلاثاً**...» الحديث[1].

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ٥٣.

الرابعة:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا عطس فحمد الله فشمته وذلك أن العطاس نعمة من الله بخروج هذه الريح المحتقنة في أجزاء بدن الإنسان يسر الله لها منفذاً تخرج منه فيستريح العاطس فشرع له أن يحمد الله على هذه النعمة وشرع لأخيه المسلم أن يقول له يرحمك الله وأمره أن يجيبه يهديكم الله ويصلح بالكم فمن لم يحمد الله لم يستحق التشميت، ولا يلومن إلا نفسه، فهو الذي فوت على نفسه النعمتين نعمة الحمد لله ونعمة دعاء أخيه المرتب على الحمد وسمى الدعاء للعاطس بالرحمة تشميت لأنه دعاء له بما يزيل عنه شماتة الأعداء وهي فرحهم بما يصيبه.

الخامسة:

من حق أخيك المسلم عليك إذا مرض فعده فإن عيادة المريض وزيارته من حقوق المسلم وخصوصاً من له حق عليه متأكد كالقريب والجار والنسيب والصاحب وهي من أفضل الأعمال الصالحة ومن عاد أخاه المسلم لم يزل يخوض في الرحمة، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة ومن عاده في أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن عاده آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وينبغي للزائر أن يشرح خاطر المريض بالبشارة بالعافية والدعاء له بالشفى ويذكره التوبة والإنابة إلى الله والإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار ويأمره بالوصية النافعة ولا يطيل عنده الجلوس إلا إذا طلب منه المريض ذلك فلكل مقام مقال.

السادسة:

من حق المسلم على المسلم اتباع جنازته إذا مات فإن من تبع الجنازة حتى يصلي عليها فله قراط من الأجر، فإن تبعها حتى تدفن فله قيراطان كل قيراط مثل الجبل العظيم واتباع الجنازة فيه حق لله وحق للميت وحق لأقاربه الأحياء.

شعراً:

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها   سوى كفوها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة   وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فللَّه ما في حشوها من مسرة   وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها   وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد   المزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة   محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما   يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة   فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجد نضرة   أمن بعدها يسلو المحب المتيم[1]



(١) حادي الأرواح ص٢٢.

الصيام عن اللغو والرفث

ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أيها المسلم أحداً وجهل عليك فليكن جوابك القاطع إني صائم إني صائم.

ما أروعه من جواب تنخلع له القلوب المتعلقة بالله، تحصل الأذية والسباب ويكون الجواب بالإمساك عن الكلام إن الإمساك بزمام اللسان أشد وأخطر من الإمساك بزمام المعدة ولهذا يموت الفتى من عثرة بلسانه والعبادة كالكوكب الوضاء منظر بهي يهدي الحائرين ويرشد التائهين ولكن لماذا لا نتذوق حلاوة العبادة.

نعم كثير من النفوس لا تميل إلى الاستقامة على السير قدماً في الطريق المنير وكثير من الأعين لا تحسن أن ترى الضوء وتختفي إذا سطع النور وشأنها شأن الخفافيش التي لا تستطيع الحركة إلا في الظلام. ترى ما أثر الصوم في نفوس هؤلاء ما أثره في نفوس مريضة وأفئدة عليلة وأعين لا ترى وقلوب لا تهتدي وصدق الله العظيم: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

هذه النفوس تحتاج أول ما تحتاج إلى الإيمان حتى تعرف معالم الطريق ولا خير في عمل مع الجحود هباء وخسران وصدق الله العظيم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

إن العمل بدون إيمان كبناء على غير أساس على شفا جرف هار كهشيم تذروه الرياح تجد منهم الصائم في النهار ومع صومه يلغ في أعراض الناس ويذكي نار الحسد بينهم بل ويعاقر الجريمة في وضح النهار لا جريمة الأكل

والشرب ولكن الترتيب لجلسات الليل ومواعيده أهكذا يصوم المسلمون؟

تأمل أخي المسلم الصوم مع هؤلاء وتأمله مع نفوس عرفته وقلوب أدركته تجد الفرق شاسعاً والبون واسعاً وتدرك حقيقة الصوم إلا من الممسك عن الشهوة وقول الزور وصدق الحبيب المصطفى: «**الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها**»[(١)].

إن الحياة لا بد فيها من عزيمة صادقة تصدع غوائل الهوى وتردع هواجس الشر وتبطش بالهوى الكذوب وتنطلق بالإنسان إلى حيث العلو والسمو وأي عزيمة أصدق بل أي نظام أحكم من أن ترى المؤمن يمسك زمام نفسه من أن تذل لشهوة، أو تنجرف في تيار الهوى الضال أو تنحرف عن أمانة الكلمة وصدق اللسان وصفاء الجنان، وأي نفس أكرم من النفس المتجهة إلى خالقها الممسكة عن هواها تقرباً إلى الله. ألا ما أروع التسليم في الصوم حين يجوع الصائم ويظمأ وأسباب الغذاء والري أمامه ميسرة لولا طاعة الله وخشيته والرغبة في الثواب والرهبة من العقاب وشتان شتان ما بين صوم تمليه العادة، وصوم تسري فيه روح العبادة، وشتان شتان ما بين صوم يتعدى فيه الصائم حدوده وصوم يلتزم فيه حدوده ذاك سببه مداراة الناس، وهذا دافعه مراقبة رب الناس، ذاك لا يهذب نفساً ولا يعصم لساناً ولا يربي خلقاً.

هذا ينتج الفضائل كلها ويرفع النفس إلى عليين.

ذاك صوم يطلق فيه العنان للسان ينهش أعراض الناس ويفسد فيما بينهم ويأكل لحومهم.

وهذا صوم ينطلق فيه اللسان على سجيته مهللاً مسبحاً ذاكراً حامداً مصلياً داعياً فلا تسمع إلا أنين المستغفرين وحنين المذنبين ورنين المناجين فاتقوا الله يا من تصومون عن الأكل والشرب والجماع وتفطرون على لحوم

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٧.

الناس وأعراضهم اتقوا الله فالحساب عسير ويوم الحشر طويل والعرق سيلجمكم إلى الآذان، ويومذاك لا ينفع نفساً إلا ما عملت وقدمت ذلك يوم التغابن.

اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصود في كل آن نسألك فأنت المعروف بالإحسان ألا تردنا خائبين ولا من عطاياك مفلسين ولا عن بابك مطرودين وآمنا من فزع يوم الدين. اللهم اعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وعافنا في الدارين من المحن فها نحن ببابك واقفون وإليك متوجهون ولثوابك متعرضون ولفضلك طالبون فالحقنا بالصالحين واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).



(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص٩٠، نفحات رمضان ص٢٤٢.

المجلس الخامس عشر

فصل في:

- فصل في قيام الليل.
- وأوصاف أهل الجنة.

قيام الليل

الحمد لله الذي أصبحت له الوجوه ذليلة عانية وحذرته النفوس مجدة ومتوانية. ووعظ من آثر الدنيا الحقيرة الفانية على الدار الشريفة الباقية وشوق إلى الجنة قطوفها دانية وأعدها لأهل الهمم العالية، الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأولئك هم الصادقون الذين أحيوا ليلهم بالقيام، ونهارهم بالصيام فعاشوا في هذه الدار غرباء، وهم في الحقيقة وحدهم السعداء، هجروا لذيذ المنام وصلوا خاشعين والناس نيام. فللَّه درهم وهم يسكبون العبرات، ولله درهم وهم يرفعون رصيدهم من الحسنات وأولئك هم الرابحون يوم البعث والنشور.

أحبتي في الله ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بعد:

حديثنا هذه اليلة حول قيام رمضان، فضل صلاة الليل وعدد ركعاتها وما أحدثه الناس من محدثات فيها ليست على هدى المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار. فنقول:

صلاة القيام هي صلاة التراويح التي يؤديها المسلمون في رمضان وهي ضريبة الوفاء لهذا الشهر العظيم لأنها معلم من معالمه وشارة من شاراته يسعى المسلمون إليها خفافاً ليصلوها في المساجد جماعة فتكتظ بهم بيوت الله وتغمرها بهجة وفرحة ويسودها جمال وأنس وتتألق المآذن الشم بالضياء وتزدان حلقات العلم بالخلص الأتقياء وترتفع أصوات القراء وتتلاحم صفوف التراويح بالمتقين الأتقياء وكأنما هذه الصلاة تنشيط للجسم الصائم طول النهار بعد فطور قد يؤدي إلى فتور، وقد ورد في فضل صلاة الليل نصوص كثيرة نجتزئ منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].

وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

وقال النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»(١)، وقال ﷺ: «**أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»(٢).

وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقول النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣)، ومعنى قوله: «إيماناً»؛ أي: إيماناً بالله وبما أعده من الثواب للقائمين ومعنى قوله احتساباً؛ أي: طلباً لثواب الله لم يحمله على ذلك رياء ولا سمعة ولا طلب مال ولا جاه وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها والاهتمام بأدائها على الوجه الصحيح واحتساب الأجر والثواب من الله عليها وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها وإنما سميت تراويح لأن الناس كانوا يطيلونها جداً فكلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً.

وتشرع جماعة لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج ليلة في جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: «**أما فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها**» فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك(٤).

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٦٩.

(٢) رواه أحمد. المسند ١/ ٤٥١، والترمذي في سننه ٤/ ٢٨٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح البخاري ١/ ١٧، وصحيح مسلم ٢/ ١٧٧.

(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٠، وصحيح مسلم ٢/ ١٧٧.

فلما لحق رسول الله ﷺ بجوار ربه استقرت الشريعة وزالت الخشية وبقيت مشروعية صلاتها جماعة قائمة لزوال العلة لأن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً.

وأحيا هذه السنة الخلفية الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أخبر بذلك عبد الرحمٰن بن عبد القارئ، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، وكان الناس يقومون أوله[(١)].

شعراً:

ولله كم من خيرة إن تبسمت	أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت	ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا اثنت	ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها	فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها	وقد صار منها تحت جيدك معصم
يراها إذا أبدت له حسن وجهها	يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه فيها العين عند اجتلائها	فواكه شتى طلعها ليس يعدم



(١) رواه البخاري ٣/٥٨.

أوصاف أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]، فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

فوصفهم بإقامة حقه ظاهراً وباطناً وبأداء حق عباده.

ووصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «.. **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال..**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال نبي الله: «**وجبت وجبت وجبت**» **ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقال: (وجبت وجبت وجبت**»، فقال عمر: فداك أبي وأمي، مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار وأنتم شهداء الله في الأرض..**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: ... وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه[٣].

وأكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ، يدل لذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة** فكبرنا ثم قال: **أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة**، فكبرنا، ثم قال: **إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»[٤].

ويدخل ثلة من أمة محمد الجنة بغير حساب ولا عقاب. يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**، فقام عكاشة بن

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١٥٩.
(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢/ ١٢١ وصحيح مسلم ٣/ ٥٣.
(٣) حادي الأرواح ص١٠٥.
(٤) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ١٣٨.

محصن الأسدي فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله منهم**» فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[(١)].

وقد ورد وصفهم في الحديث الآخر: .. فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه**» فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[(٢)].

وأول من يدخل الجنة هم أمة محمد ﷺ يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»[(٣)].

يقول ابن القيم رحمه الله: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته»[(٤)].

اللهم يا حبيب التائبين ويا أنيس المنقطعين ويا من حنت إليه قلوب الصادقين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين اللهم آمن خوفنا يوم البعث والنشور وآنس وحشتنا في القبور ويسر لنا يا ربنا جميع الأمور.

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ١٣٦.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/ ١٣٨.
(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٢/ ٧.
(٤) حادي الأرواح ص٩٩ـ ١٠٠.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولمشايخنا وأزواجنا وإخواننا وأخواتنا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].



(١) فتح الباري ٤/ ٢٥٠، بداية المجتهد ١/ ٢٠٢.

المجلس السادس عشر

فصل في:

ـ قيام الليل.

ـ وأوصاف أزواج أهل الجنة.

قيام الليل

الحمد لله الذي كون الأشياء وأحكمها خلقاً، وفتق السماوات والأرض وكانتا رتقاً، وقسم بحكمته العباد فأسعد وأشقى، وجعل للسعادة أسباباً فسلكها من كان أتقى، ونظر بعين البصيرة إلى العواقب فاختار ما كان أبقى، أحمده وما أقضي له بالحمد حقاً وأشكره ولم يزل للشكر مستحقاً. وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له مالك الرقاب كلها رقاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل البشر خلقاً وخُلقاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحقهم الصديق الحائز فضائل الأتباع سبقاً، وعلى عمر العادل فما يحابي خلقاً، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة وما توقى، وعلى علي بائع ما يفنى ومشتري ما يبقى، وعلى جميع الصحب الناصرين لدين الله حقاً وسلم تسليماً.

إخواني:

مر معنا طرف مما يتعلق بصلاة الليل من حيث فضلها ومشروعيتها وفي هذه الليلة سيكون الحديث حول عدد ركعاتها وعلى الوتر ثم نذكر طرفاً من الأخطاء الشائعة عند بعض الأئمة هداهم الله وردنا وإياهم إلى الصواب رداً جميلاً فنقول وعلى الله نتوكل:

اختلف أهل العلم اختلافاً واسعاً في عدد ركعات صلاة التراويح وقد أفاض العلامة ابن حجر رحمه الله في ذكر الأقوال في كتابه الكبير فتح الباري ومن هذه الأقوال:

١ ـ قيل أنها إحدى عشرة ركعة.

٢ ـ وقيل إحدى وعشرون ركعة.

٣ ـ وقيل ثلاث وعشرون ركعة.

٤ ـ وقيل تسع وثلاثون ركعة.

٥ ـ وقيل إحدى وأربعون ركعة.

٦ ـ وقيل سبع وأربعون ركعة.

٧ ـ وقيل تسع وأربعون ركعة.

٨ ـ وقيل أربع وثلاثون ركعة غير الوتر.

٩ ـ وقيل أربع وعشرون ركعة غير الوتر.

١٠ ـ وقيل ست عشرة ركعة غيرالوتر.

١١ ـ وقيل تسع وعشرون ركعة[١].

وأرجح هذه الأقوال والله أعلم أنها إحدى وعشرين ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.

يدل لذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أنها سئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة[٢].

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعني من الليل[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «.. له أن يصلي عشرين ركعة كما هو المشهور عن مذهب أحمد والشافعي وله أن يصلي ستاً وثلاثين كما هو مذهب مالك وله أن يصلي إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وكل حسن فيكون تكثير الركعات أو تقليلها بحسب طول القيام وقصره»[٤].

وكثير من أئمة المساجد يصلون التراويح وهم لا يطمئنون في القيام ولا في الركوع ولا في السجود والطمأنينة ركن من أركان الصلاة لا تصح بدونه

---

(١) فتح الباري ٤/ ٢٥٣.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٢/ ٦٧.

(٣) رواه البخاري. صحيح البخاري ٢/ ٦٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١١٣.

والمقصود الأعظم من الصلاة حضور القلب واتعاظه بما يسمع من كلام الله وتدبره له هذا لا يتأتى بالعجلة المذمومة ولهذا نقول كلما قلّت الركعات واطمأن فيها الإمام وحقق أركان الصلاة وواجباتها وسننها فذلك أولى من تكثير الركعات مع تضييع لب الصلاة وأساسها.

فينبغي للأئمة أن يتقوا الله فيمن خلفهم فهم أمانة مسؤولون عنهم يوم القيامة فليحسنوا الصلاة ويؤدوها على وجهها المشروع لئلا يتضرر الكبير والمريض والعاجز بالسرعة المفرطة وهنا نقول لإخواننا الذين ينصرفون قبل فراغ الإمام من الصلاة لقد فاتكم خير كثير إذ المتابع للإمام حتى ينصرف يكتب له أجر قيام ليلة كاملة وهذا فضل من الله، ونقول لأخواتنا المؤمنات إن صلاتكن في بيوتكن أفضل وإذا رغبتن في حضور الصلاة مع الجماعة فعليكن بالستر والعفاف والحشمة التامة واحذرن من الزينة والطيب لئلا تقعن في المعصية وأئتن ساعيات للخير.

وعليكن بتسوية الصفوف والاعتناء بها والإنصات أثناء قراءة الإمام شيئاً من المواعظ وتذكرن أن حضوركن للمسجد القصد منه أداء العبادة فقط وليس تبادل الأحاديث مع هذه وتلك.

أيها الأخوات المؤمنات احرصن بارك الله فيكن على عدم إحضار الأطفال الصغار الذين يزعجون المصلين وقد يسيئون لبيوت الله من حيث لا يشعرون.

شعراً:

وجنات عدن زخرفت ثم أزلفت ... لقوم على التقوى دواماً تبتلوا
بها كل ما تهوى النفوس وتشتهي ... وقرة عين ليس عنها تحول
ملابسهم فيها حرير وسندس ... واستبرق لا يعتريه التحلل
وأزواجهم حور حسان كواعب ... على مثل شكل الشمس أو هن أشكل
ومأكولهم من كل ما يشتهونه ... ومن سلسبيل شربهم يتسلل
يطاف عليهم بالذي يشتهونه ... إذا أكلوا نوعاً بآخر بدلوا
بها كل أنواع الفواكه كلها ... وسكانها مهما تمنوه يحصل
بأسباب تقوى الله والعمل الذي ... أحبوا إلى جنات عدن توصلوا

أوصاف أزواج أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

فتأمل أخي المسلم جلالة المبشر ومنزلته وعظمته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره. وقد جمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج جمع زوج وهو الأفصح والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء مطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو طلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحاً ولأضاءت ما بينها ولنصيفها على رأسها خير الدنيا وما فيها**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أن أول زمرة تدخل الجنة على**

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ٢١، وصحيح مسلم ٦/ ٣٦.

صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»[١].

وقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: ٥٥]، قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار والعذارى عن الاهتمام بأهل النار ومصيرهم. وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن سعيد بن جبير قال: «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جناية فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التلذذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ: «**إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**» فمن استوفى طيباته ولذاته في هذه الدار حرمها هناك، ولهذا نص سبحانه على من أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يخافون من ذلك أشد الخوف.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم فيقولون لهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ قال: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا إن شئتم**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»[٣] [السجدة: ١٧].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ١٤١، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٧.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١٤٥.

(٣) رواه أحمد. المسند ٢/ ٤٣٨، وقد روى البخاري ومسلم بعضه بروايات مختلفة ص١٤٣، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٣.

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم منه**»(١).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة فقال: رجل يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رب رضيت فيقول: لك ذلك ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب قال: فأعلاهم منزلة أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر**»(٢).

اللهم إنا نسألك بإسمك الأعظم وبوجهك الأكرم أن ترزقنا الجنة وتعيذنا من النار فإنك أنت المعروف بالإحسان والصفح عن الأوزار اللهم اجعل في قلوبنا نوراً نهتدي به إليك وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك فالعزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ إلى حماك وحرزك والذليل من لم تؤيده بعنايتك والشقي من رضي بالإعراض عن طاعتك إلٰهنا لا تفرق جمعنا إلا بذنب مغفور وعمل صالح مبرور وسامحنا فأنت العزيز الغفور، واغفر لنا ولوالدينا وأحبابنا ومن له حق علينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(٣).

---

(١) رواه أحمد. المسند ٤/ ٣٣٣، وابن ماجه ١/ ٦٧، والترمذي ٤/ ٦٨٧، قال أبو عيسى: هذا الحديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه...

(٢) رواه البخاري لكن بغير هذا اللفظ ٨/ ١٤٦.

(٣) فتح الباري ٤/ ٢٥٠، بداية المجتهد ١/ ٢٠٢، حادي الأرواح ص١٠٣.

المجلس السابع عشر

فصل في:

ـ من غزوات الرسول ﷺ في رمضان.

ـ الدنيا بين التنافس فيها والإعراض عنها.

من غزوات الرسول ﷺ في رمضان

الحمد لله المتفرد بكل العز والجلال، المتوحد بالعظمة التي لا تضاهى والكبرياء والكمال تنزه عن الصاحبة والأولاد وتفرد في ملكه بالاختراع والإيجاد وتعالى عن الأنداد والأضداد والشركاء والأشباه والأشكال الملك الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون العالم بسرائر خلقه وما يعلنون.

أحمده حمد معترف بالتقصير وأشكره على واسع فضله الغزير. وأشهد ألا إله إلا الله العلي الكبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجد والتشمير.

أيها المؤمنون الصائمون:

في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون وفرق الله فيها بين الحق والباطل وسمى يومها يوم الفرقان يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢﴾ [الأنفال: ٥ ـ ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

لقد مضت قريش في مسيرها مستجيبة لرأي أبي جهل حتى نزلت بالعدوة القصوى من وادي بدر ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا.

واقترب كل فريق من الآخر وهو لا يدري ما وراء هذا اللقاء الرهيب وهبط الليل فأرسل النبي ﷺ علياً والزبير وسعيد بن مالك في نفر إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر فأصابوا رواية لقريش فيها غلامان فأتوا بهما والنبي ﷺ يصلي فلما سلم قال: «**أخبراني عن قريش**». قالا: هم وراء هذه الكثيب الذي تراه بالعدوة القصوى قال: «**كم القوم**» قالا: كثير قال: «**ما عدتهم**» قالا: لا ندري قال: «**كم ينحرون كل يوم**» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة والألف**» ثم قال: «**فمن فيهم من أشراف قريش**» فسميا له خمسة عشر فأقبل ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها وقرب اللقاء وتجهزت قريش بخيلائها وكبريائها وبطشها وغرورها**».

والتفت معلم البشرية إلى أصحابه العصبة المؤمنة فرآهم بين مهاجر باع نفسه لله سبحانه وتعالى وأنصاري ربط مصيره بهذا الدين فآوى صاحب الرسالة والمؤمنين به. وهنا أحب الرسول ﷺ أن يطلعهم على الحقيقة وأن الصدام سيقع وفي مثل المواقف العصيبة والامتحانات المباغتة يتبين الرجال وتتضح المواقف والبطولات ويسهل تقويم الرجال ووزنهم.

استشار الرسول ﷺ أصحابه فكانت النتائج رائعة والمواقف حاسمة لئن خضت بنا البحر فنحن معك. سر ونحن وراءك نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك. اظعن حيث شئت وصل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واعطنا منها ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما أبقيت.

هذا هو جواب العصبة المؤمنة فسر الرسول ﷺ بهذه المواقف الإيمانية الخالدة وبشرهم بأن الله وعده إحدى الحسنيين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٧].

وقضى المسلمون ليلاً هادئاً وغمرت نفوسهم العزيمة الصادقة والثقة المطلقة بنصر الله سبحانه وتعالى وأخذ الرسول ﷺ يتفقد الرجال وينظم الصفوف ويسدي النصائح ويذكر بالله واليوم الآخر ثم يعود إلى العريش ليستغرق في الدعاء

والتضرع إلى الله بطلب النصر والتمكين «**اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»(١).

وأبو بكر يقول له: كفاك يا رسول الله سينجزك الله وعده وسينعم المسلمون بالنصر المؤزر إن شاء الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

لقد استجاب الله لعبده وحبيبه وأنزل ملائكته تقاتل مع المؤمنين وكل ذلك من باب البشارة وتطمين المسلمين وإلا فحسبهم أن يبذلوا ما في وسعهم والباقي من عند الله جل وعلا فهو الذي وعد بالنصر ووعده حق وصدق لا يتحول ولا يتبدل ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

والتقى الصفان والمؤمنون يقاتلون بشجاعة وبسالة غير معهودة وراع المشركين إقدام المسلمين ونزل التثبت من الله |٧٥| ونزلت الملائكة من السماء ونزل نصر الله المؤزر للعصبة المؤمنة وهوت صناديد الكفر وسقطوا في مصارعهم وفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

شعراً:

يا خاطب الحوراء في خدرها ... وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن متوانياً ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وحالف الوحدة في وكرها
وقم إذا الليل بدا شطره ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها ... وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهوها

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥/١٥٦- ١٥٧.

الدنيا بين التنافس فيها والإعراض عنها

سمع الأنصار أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قدم من البحرين بمال كان قد صالحهم عليه الرسول ﷺ فوافوا الرسول ﷺ في صلاة الصبح فلما انصرف من الصلاة تعرضوا له وفهم الرسول ﷺ مرادهم ومطلبهم فتبسم وقال: «**أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء**» قالوا: أجل يا رسول الله قال: «**أبشروا وأمّلوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم**»(١).

لم يؤنبهم الرسول ﷺ ولم يوبخهم عندما جاءوا طالبين المال، فالرسول ﷺ يعلم أن لهم في هذا المال حقاً ويعلم حاجتهم إليه والمال من الزينة التي حببها الله إلى عباده: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وهو من الشهوات المركوز حبها في أعماق النفس الإنسانية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

لقد سقط أقوام في مستنقع الحياة الآسن حينما تكالبوا عليها وتنافسوا فيها وجمعوها من الحلال والحرام لم يراعوا اللقمة التي يأكلون ولا الشربة التي يشربون يطعمون أولادهم وأهليهم من الحرام تعاملوا بالربا علناً فحاربوا الله ورسوله ومن يحارب الله ورسوله فهو دونما شك الذليل الخسران.

تجد الواحد منهم يملك الملايين ومع ذلك لا يحس بالأمن ولا يتلذذ بالحياة. يحمل هموم الدنيا ويقاسي آلامها نسي الله فنسيه الله. عبد شهوته

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ١١٧، وصحيح مسلم ٨/ ٢١٢.

وحرم نفسه منع حق الله فعاقبه الله عاجلاً غير آجل. هذا صنف من الناس.

والصنف الآخر استخدم الدنيا في طاعة الله وسخرها في مرضاته وظف أمواله في طرق الخير يبني المساجد يعطي المساكين يغدق على المجاهدين يساعد مشاريع الخير في البلد فنعم المال الصالح في يد الرجل الصالح.

أرأيت أخي المسلم لو أننا رأينا شخصاً يبذل جهده وماله فيما لا فائدة فيه ألا نصفه بضعف العقل وقصور الإدراك وعدم إدراك المسؤولية إذاً فكيف بمن يوظف أمواله في الحرام ويعمر فيها أماكن الحرام ويهدم فيها الفضائل ويحارب فيها الدعاة إلى الله أليس هذا هو ضعف العقل وقلة الإدراك وبلادة الإحساس. حدثني من أثق به أن شخصاً جمع أموالاً من طرق متعددة منها الحلال ومنها الحرام. وبعد أن توفي وقبل قسمة تركته ألح أحد أبنائه المراهقين على شراء سيارة له فوافقت الأم تحت الضغط الشديد على أن تكون هذه القيمة من نصيب الولد من التركة بعد قسمتها. وبعد أن استلم الولد السيارة أخذ يلعب بها يميناً وشمالاً ويؤذي الناس عند أبواب المسجد الذي يصلي فيه والده سابقاً وأثناء خروج الناس من الصلاة اجتمع مجموعة من الشباب حول هذه السيارة يسألون الولد من أين اشتريتها فقال بعظمة لسانه: مات العجوز فاسترحنا واشتريناها. أرأيتم أيها الآباء سيكون الحساب على جامع الأموال والمستفيد منها هم الأولاد ومنهم الصالح البار ومنهم الطالح العاق. إن أموالنا هي ما نقدمه ونحن أصحاء أشحاء نأمل الحياة ونرجو الغنى فلنبادر بالصدقة قبل أن نتمناها ولا تتيسر لنا ولنتسابق في أعمال الخير قبل أن يفجأنا الموت: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن: ١٥ ـ ١٦].

شعراً:

وفؤاد كلما عاتبته ... في مدى الهجران يبغى تعبي

لا أراه الدهر إلا لاهياً ... في تماديه فقد بَرَّحَ بي

يا قرين السوء ما هذا الصبا ... فنيَ العمرُ كذا في اللعب

وشبابٌ بانَ عني فمضى ... قبل أن أقضيَ منه أربي
وما أرجي بعده إلا الفنا ... ضَيَّقَ الشيبُ عليَّ مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبداً ... في جميلٍ لا ولا في أدب
نفسيْ لا كُنتِ ولا كان الهوى ... راقبي المولى وخافي وارهبي

اللهم يسر لنا طريق النجابة ووفقنا للتوبة والإنابة يا من إذا سأله المضطر أجابه اللهم سلمنا من كل الأسواء وعافنا من الأدواء ولا تجعلنا محلاً للبلوى وطهر أسرارنا من الشكوى وألسنتنا من الدعوى. اللهم امح من ديوان الأشقياء شقاءنا وأكتبه عندك في عنوان الأخيار يا عزيز يا رحيم يا غفار. اللهم بارك لنا في الحلال من الرزق واجعله عوناً لنا على طاعتك وهيء لنا من أمرنا رشداً ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[١].



(١) مختصر سيرة ابن هشام ص٢٠٢، ونفحات رمضان ص١٨٩، وجولة في رياض العلماء ص٣٣.

المجلس الثامن عشر

فصل في:

- شهر النصر.
- وأحكام القضاء.

شهر النصر

الحمد لله الملك الخلاق الولي فلا ولي من دونه ولا واق الغني الذي لا تفيض خزائنه مع كثرة الإنفاق المحيط علمه بجميع الخلائق في جميع الآفاق الناظر إلى بواطن عباده وظواهرهم والسميع لأصواتهم في الإشراق والأغساق فسبحانه من إلٰه على عرشه استوى فوق جميع مخلوقاته فلا منازع له ولا مشاق خضعت الأكوان من مخافته وانطفأت النار لطاعته وجلا منه وإشفاقاً أحمده سبحانه له الملك وله الحمد والكمال على الإطلاق وأشكره على إحسانه الذي لا يعد ولا يطاق وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مُشاق شهادة أرجو بها تخفيف كرب السياق وختام حياتنا يوم الرحيل والفراق وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم الخلق على الإطلاق وأفضلهم تحلياً بمكارم الأخلاق من أسري به ليلاً على البراق حتى جاوز السبع الطباق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إخوتي الصائمين والصائمات:

الصوم مدرسة جامعة فيه الدروس والعبر للأمة في كل شؤونها في الحياة ودرسنا اليوم حول الانتصارات في رمضان وأسبابها فنقول ثلاثون يوماً كل عام في حياة المسلمين يدخلون فيها مدرسة الصوم ليتلقوا فيها أشق التدريبات النفسية يتخرجون بعدها جنوداً للمعركة بل جنوداً للفتح المبين ثم ينطلقون بهذه التدريبات الغالية ليستثمروها في المعارك حتى إذا جاء رمضان من جديد أيقظ فيهم هذه الروح العسكرية مرة أخرى وهكذا يجددون بالصوم عزائمهم وأرواحهم كلما حاولت الحياة ومفاتنها أن تبعدهم عن ساحة الجهاد وبذلك تكون حياة المسلم جندية متجددة وجهاداً متواصلاً.

ومن هنا ارتبط الصوم بالجهاد ارتباطاً وثيقاً فهو يعد له ويهيء له وكل نفس تعجز عن صيام رمضان ليست مؤهلة أن تجاهد في سبيل الله.

لقد حصلت انتصارات كثيرة في رمضان وهذا أمر طبيعي فالأمة المجاهدة الصابرة الصائمة مؤهلة بمشيئة الله للنصر لأنها أخذت بأسبابه.

في السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى في رمضان وتم أعظم انتصار حاسم على الشرك وأهله.

وفي رمضان من السنة الخامسة كان استعداد المسلمين لغزوة الخندق حيث وقعت في شوال من العام نفسه.

وفي رمضان وجه الرسول ﷺ السرايا لهدم الأصنام فوجه خالد بن الوليد لهدم العزى وعمرو بن العاص لهدم سواع وسعيد بن زيد لهدم مناة فأدى كل واحد منهم رضي الله عنهم مهمته بنجاح تام.

وفي رمضان من السنة الثامنة تم الفتح الأعظم فتح مكة واستسلم سادتها بعد طول عداوة ودخلوا في دين الله أفواجاً وتهاوت الأصنام بعد أن عبدت طويلاً من دون الله ووقعت معارك حاسمة في رمضان على امتداد التاريخ الإسلامي وكان النصر فيها حليف المسلمين بل لقد لقنوا أعداءهم دروساً بالغة وأظهروا صوراً بطولية رائعة تنم عن صدقة الإيمان وسلامة المعتقد وحسن التوجيه وما هزيمة التتار على أيدي المسلمين في رمضان إلا شاهد واقعي على ما نقول.

لقد أخذ المسلمون بأسباب النصر الحقيقية فاستحقوا إحدى الحسنيين وصدق الله العظيم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

التمكين في الأرض يستلزم عبادة الله سبحانه وتعالى وإخلاص العمل له ومن ذلك إقامة الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها.

وإيتاء الزكاة بأن تصل إلى مستحقيها كاملة غير منقوصة في وقتها المحدد

طيبة بها النفس راغبة في ثواب الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صوناً للمجتمع من الشرور والآثام وتعميماً للفضيلة فيه وقمعاً للرذيلة لأن المجتمع يعين بعضه بعضاً ويكفي تصوير الرسول ﷺ للمجتمع بالبنيان يشد بعضه بعضاً.

فمتى تحققت هذه الأوصاف مع الأخذ بالأسباب المادية المنصوص عليها بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ترتب على ذلك حصول النصر بإذن الله ولدينا شاهد واقعي من حياة السلف رضي الله عنهم، فقد أخذوا بأسباب النصر فمكن الله لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم ورفع بهم راية الإسلام خفاقة.

وتلك سنة من سنن الكون لا تتغير ولا تتبدل ولكن أحوال الناس وأوضاعهم هي التي تتغير وتتبدل فمتى أردنا النصر فلنفتش عن أنفسنا ونقوم بإصلاح أحوالنا وأوضاعنا وعند ذاك يتحقق النصر بإذن الله تعالى.

شعراً:

يا من إليه جميع الخلق يبتهلوا	وكل حي على رُحْمَاهُ يتكل
يا من علا فرأى ما في الغيوب وما	تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يا من دنا فسما عن أن تحيط به	الأفكار طراً أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت	وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به في كل حادثة	أنت الإله وأنت الذخر والأمل
أنت الرجاء لمن سدت مذاهبه	أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصدناك والآمال واقعة	عليك والكل ملهوف ومبتهل
فإن غفرت فعن مَنٍّ وعن كرمٍ	وإن منعت فأنت المقسط العدل



أحكام القضاء

إذا أفطر المسلم يوماً من رمضان بغير عذر وجب عليه أن يتوب إلى الله ويستغفر لأن ذلك جرم عظيم ومنكر كبير يخشى عليه من مغبته والعياذ بالله ووجب عليه مع التوبة والاستغفار القضاء بقدر ما أفطر بعد رمضان ووجب القضاء هنا على الفور على الصحيح من أقوال أهل العلم لأنه غير مرخص له في الفطر والأصل أن يؤديه في وقته فحكمه حكم تارك الصلاة عمداً والعياذ بالله.

أما إذا أفطر بعذر كحيض ونفاس ومرض وسفر وغير ذلك من الأعذار المبيحة للفطر فإنه يجب عليه القضاء غير أنه لا يجب على الفور بل على التراخي إلى رمضان الآخر لكن يندب له التعجيل في القضاء لأن فيه براءة لذمته من التكاليف الشرعية ولا يتعين عليه القضاء فوراً إلا إذا بقي على رمضان القادم بقدر الأيام التي أفطرها فهنا يجب عليه القضاء على الفور إلا إذا كان تأخيره لعذر شرعي كأن استمر سفره أو مرضه فلا حرج عليه وليس عليه إلا القضاء ولو بعد رمضان الثاني.

أما إن أخره إلى رمضان الثاني بغير عذر كأن شفي من مرضه أو قدم من سفره ثم تساهل في القضاء حتى جاءه رمضان الثاني فهنا قال أهل العلم عليه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم ويبادر إلى التوبة والاستغفار عما اقترفه من التأخير، وقضاء رمضان لا يشترط فيه التتابع بل يصح متتابعاً وغير متتابع ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فلم يشترط سبحانه في هذه الأيام التتابع ولو كان شرطاً في القضاء لبينه سبحانه على لسان رسوله ﷺ.

ما حكم إذا مات وعليه قضاء من رمضان؟

إذا مات وعليه قضاء من رمضان فلا يخلو إما أن يكون تمكن من القضاء وتساهل فيه، ثم مات قبل القضاء فهنا الصيام دين عليه يجب على وليه قضاؤه عنه سواء بالصيام عنه أو بالإطعام من تركته عن كل يوم مسكيناً يطعمه مداً من البر أو من غالب قوت البلد وزنته (٥٦٢ ½) غراماً وإن أصلح طعاماً للمساكين بعدد الأيام ودعاهم إليه أجزأه، يدل لذلك ما روته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها، فقال: «**لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها قال: نعم، قال: فدين الله أحق بالقضاء**»(٢).

أخي المسلم:

اعلم أن الناس بالنسبة للقضاء ينقسمون ثلاثة أقسام:

١ - قسم يجب عليه القضاء فقط ولا فدية عليه وهم المريض والمسافر والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما.

٢ - وقسم يجب عليه الفدية فقط ولا قضاء عليه وهم العاجزون عن الصيام لكبر أو مرض لا يرجى برؤه.

٣ - وقسم يجب عليه القضاء والفدية وهم الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما. كذا من أخر قضاء رمضان إلى رمضان بعده دون عذر فعليه مع القضاء الفدية والله أعلم.

أرأيت أخي الصائم كيف شرع الله للمسلمين أحكام صومهم دون مشقة أو عنت وهكذا تكاليف الإسلام ليس فيها شيء فوق طاقة المسلم لأن الله رفع عنا الحرج بمنه وكرمه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٦، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤٦، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٦.

أجل ذنوبي عند عفوك سيدي حقير وإن كانت ذنوبي عظائما
فما زلت غفاراً وما زلت راحماً وما زلت ستَّاراً علي الجرائما
لئن كنت قد تابعت جهلي في الهوى وقضيت أوتار البطالة هائما
فها أنا قد أقررت يا رب بالذي جنيت وقد أصبحت حيران نادما
فتب واعف عني يا إلٰهي تكرما وكن بي يارب البرية راحماً

اللهم اجعلنا على الصراط من العابرين وعلى حوض نبيك من الواردين ولكأسه من الشاربين وأعطنا صحائفنا باليمين واجعلنا يوم العرض من الفائزين اللهم ارفع درجاتنا وامسح سيئاتنا وثقل ميزان حسناتنا برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) المجموع ٦/ ٣٣٤، المغني ٣/ ١٠٢، هكذا نصوم ص١١١.

المجلس التاسع عشر

فصل في:

- أهوال يوم القيامة.
- وفضل العشر الأواخر من رمضان.

أهوال يوم القيامة

الحمد لله الحي القيوم الباقي وغيره لا يدوم، رفع السماء وزينها بالنجوم وأمسك الأرض بجبال في التَّخوم صور بقدرته هذه الجسوم ثم أماتها ومحا الرسوم ثم ينفخ في الصور فإذا الميت يقوم ففريق إلى دار النعيم وفريق إلى نار السموم تفتح أبوابها في وجوههم لكل باب منهم جزء مقسوم وتوصد عليهم في عمد ممددة فيها للهموم والغموم، أحمده سبحانه قسم العباد إلى منتفع ومحروم وجعل منهم من هو مطرود ومن هو مرحوم. وأصلي وأسلم على عبده ورسوله قاهر الفرس والروم وأفضل من سجد لربه الحي القيوم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ما طلعت النجوم وتكاثرت في السماء الغيوم.

أيها الإخوة الصائمون والصائمات:

يتجدد لنا اللقاء في هذه الليلة المباركة لنتذاكر فيما ينفعنا ويقربنا إلى الله ويبعدنا عن النار وبئس القرار، وحديثنا هذه الليلة عن أهوال يوم القيامة يوم الطامة يوم الصاخة يوم الزلزلة يوم التغابن: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢].

إذا قام الناس من قبورهم لرب العالمين ونودوا هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون خشعت الخلائق وخضعت وذلت للواحد القهار فتراهم يستجيبون مسارعين إلى المنادي لا يعاندون ولا يميلون. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٢ ـ ٤٤].

أي: أنهم يسعون إلى محشرهم في سكون وخشوع لا تسمع منهم صوت الأقدام ولا الهمس.

ثم يقبض الجبار سماواته بيده اليمنى وأراضيه بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون**»[1].

صفة أرض المحشر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ـ الدقيق ـ ليس فيها علم لأحد**»[2].

ويحشر الناس يوم القيامة مشاة حفاة عراة غرلا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا** ـ أي غير مختونين ـ قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظرون بعضهم إلى بعض قال صلى الله عليه وسلم: **يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[3].

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/ ٣٥، وصحيح مسلم ٨/ ١٢٦.
(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/ ١٣٥، وصحيح مسلم ٨/ ١٢٧.
(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/ ١٣٦، وصحيح مسلم ٨/ ١٥٦.

يحشر الكفار على وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

دنو الشمس من الخلائق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»[(١)].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**».

قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين. قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**»[(٢)].

فتفكر يا عبد الله في الخلائق وذلِّهم وانكسارهم في ذلك اليوم الطويل خوفاً وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة فكيف بك يا عبد الله في ذلك اليوم وقد لفظك القبر بعد طول بلاء فنظرت في عملك الذي قدمت فلم تجد شيئاً من الصالحات يذكر ووجدت اللهو والعبث والوقوع في أعراض الناس والغيبة والنميمة والحسد وأكل أموال الناس بالباطل والربا وعقوق الوالدين تذكر ذلك اليوم الذي ستعرف فيه من تحب في هذه الدار أهم الأخيار أم الأشرار والمجالس التي تعمرها أهي مجالس خير أم شر.

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ١٣٨/٨.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٥٨/٨.

وبعد هذا الموقف يؤتى بجهنم والعياذ بالله فذلك قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢٣].

شعراً:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ... كأنك لا تظن الموت حقاً

أيا ابن الذين فنوا وبادوا ... أما واللَّه ما بادوا وتبقى

وما أحد بزادك منك أحصى ... وما أحد بزادك منك أشقى

وما للنفس عندك مستقر ... إذا ما استكملت أجلاً ورزقاً

وقال آخر:

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً ... ونداوي بالدمع داء جليلا

فعسى الدمع أن يبرد منا ... بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا

ونادي الأحباب كيف وجدتم ... سكرة الموت بعدنا والمقيلا

لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا ... سكرةً تترك العزيز ذليلا

بُدِّلوا بعد القصور قبوراً ... ثم بعد اللباس ردماً ثقيلاً



فضل العشر الأواخر من رمضان

أيها الإخوة الصائمون:

لقد نزل بكم عشر رمضان الأخيرة فيها الخيرات والأجور الكثيرة فيها الفضائل المشهورة والخصائص العظيمة.

فمن خصائصها أن النبي ﷺ كان يجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها يدل لذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره[(١)].

وما روته أيضاً قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»[(٢)].

وهذا دليل صريح على فضيلة هذه العشر؛ لأن النبي ﷺ كان يجتهد فيها أكثر مما يجتهد في غيرها، وهذا شامل للاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وقراءة للقرآن وذكر ودعاء وصدقة وغير ذلك؛ لأنه ﷺ يشد مئزره أي يعتزل أهله ويتفرغ للصلاة والذكر. ولأنه ﷺ كان يحيي ليالي هذه العشر بالصلاة والقراءة والذكر طلباً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. ولأنه ﷺ كان يوقظ أهله في هذه العشر وهذا فيه بيان مزية لهذه العشر دون سواها.

ولا شك أن المسلم العاقل يسعى لاغتنام هذه الأوقات لعل الله أن يدركه برحمته.

وإنه لمن الحرمان والعياذ بالله أن تمر هذه الليالي المباركة على الشخص وهو يسرح ويمرح بأصناف الملذات والمحرمات.

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٧٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٤١، وصحيح مسلم ٣/ ١٧٦.

وإنه لمن الحرمان أيضاً أن يعمر المسلم نهاره بالنوم وليله بالعبث واللهو واللعب المحرم الذي يجر عليه من المصائب ما الله به عليم.

إخوة الإيمان:

لاحظوا الفرق بين واقعنا وواقع سلفنا الصالح.

كانوا يقضون نهارهم بالصيام وتلاوة القرآن وليلهم بالركوع والسجود والتسبيح والتهليل ويقضي الكثيرون منا نهارهم بالنوم وليلهم باللهو واللعب المحرم وشرب الدخان ولعب الورق وغيرها مما يعود على المسلم بالضرر في عاجله وآجله.

كانوا يجمعون بين جهادين في شهر رمضان جهاد بالنهار على الصيام وجهاد بالليل على القيام وقاموا بحقوقهما أتم قيام وصبروا عليهما صبراً جميلاً.

والكثير منا جهاده بجمع أصناف المأكولات والمشروبات بعضها من الحلال وبعضها من الحرام الأيدي ممسكة عن الصدقات والألسن مطلقة في أعراض المسلمين والمسلمات والأسماع مرسلة لاستماع الحرام من الأصوات، إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

يا من أعطاه الله صحة وعافية بعد العشرين، يا من طلع فجر شيبه بعد بلوغ الأربعين، يا من مضى عليه بعد ذلك ليالي عشر سنين حتى بلغ الخمسين، يا من هو في معترك المنايا بين الستين والسبعين ما تنتظر إلا أن يأتيك اليقين، يا من ذنوبه بعدد التراب، أما تستحي من الكرام الكاتبين فتعود إلى رشدك وتصدق مع ربك لعلك تفوز يوم الدين.

أيها الأحباب:

لقد غفل كثير من الناس عن أولادهم فتركوهم يسرحون ويمرحون في الشوارع ويسهرون للعب والسفه ولا يحترمون هذه الليالي ولا تكون لها منزلة في نفوسهم وهذا من سوء التربية وعدم القيام بالواجب، بل لقد حدثت الأذية

من هؤلاء الشباب لكثير من المصلين الرجال والنساء وذلك برفع أصواتهم قرب المساجد وملاحقة بعضهم لبعض حتى وجد من المسلمين من يرفع يديه وهو يناجي ربه يدعو على هؤلاء أهكذا تكون التربية أهكذا يكون شكر نعمة المنعم علينا بهم.

والله ليأتين يوم يوقف فيه الابن أباه ويحاسبه على تفريطه في تربيته وتقصيره في تأديبه وصدق الحبيب المصطفى ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة في هذه الأيام القليلة تعقبكم النعمة الجزيلة والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله هذه والله الراحة الوافرة والمنزلة الفاخرة والحالة الرضية والجنة السوية والنعمة الهنية والعيشة الرضية.

إلهي أنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل وملجأنا إذا انقطع منا الأمل فلا تخيب رجاءنا ولا تصرف وجهك يوم القيامة عنا واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وأقر أعيننا بصلاح أولادنا وصالح أعمالنا ولا تؤاخذنا بما كسبت قلوبنا وجنته جوارحنا وتوفنا وأنت راض عنا. اللهم طهر قلوبنا من الحقد والحسد وطهر ألسنتنا من الكذب وأفئدتنا من الرياء وأبصارنا من الخيانة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(٢).

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٣/ ٦٦٠، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) حاشية الروض ٣/ ٤٦٧، أهوال يوم القيامة ص٣٧.

المجلس العشرون

فصل في:

ـ وصف النار.

ـ وأحكام الاعتكاف.

وصف النار

الحمد لله رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزل الكتاب حفظ الأرض بالجبال من الاضطراب وقهر الجبارين وأذل الصعاب وسمع خفي النطق ومهموس الخطاب وأبصر فلم يستر نظره حجاب، أنزل القرآن وحث فيه على اكتساب الثواب وزجر عن أسباب العقاب ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

أحمده سبحانه وهو المحمود بكل خطاب وأصلي وأسلم على رسوله المبعوث بخير كتاب وعلى صاحبه أبي بكر خير الأصحاب وعلى عمر الذي إذا ذكر في مجلس طاب، وعلى عثمان المقتول ظلماً وما تعدى الصواب، وعلى علي المقدم يوم الأحزاب وعلى جميع الآل والأصحاب وعنا معهم بمنك وكرمك يا وهاب.

إخوتي في الله:

يتجدد اللقاء في هذه الليلة المباركة لنعرف طرفاً من مصير الخلائق يوم القيامة فسعيد إلى الجنة وشقي إلى النار ولا ثالث لهما.

الموت باب وكل الناس داخله ... فليت شعري بعد الموت ما الدار
الدار جنة عدن إن عملت بما ... يرضي الإله وإن فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما ... فانظر لنفسك ماذا أنت مختار

حديثنا في هذه الليلة حول النار أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فنقول:

لقد حذرنا الله جل وعلا من النار وبين أوصافها في كتابه وعلى لسان رسوله وذكر أهوالها وعظائمها بما تتفطر له قلوب وتنخلع منه العقول، وهذا منه سبحانه منة وتفضلاً لنبتعد عنها ونتجنب أسباب دخولها ونعمل الصالحات

لندخل الجنة ففريق في الجنة وفريق في السعير وإليكم طرفاً مما ورد في النار قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ [الإنسان: ٤].

وقال تعالى مخاطباً إبليس: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [الملك: ٦ ـ ٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٩ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [إبراهيم: ١٦ ـ ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٧].

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم**» قالوا: يا رسول الله إنها لكافية. قال: «**إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها**»(٢).

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبح صبغة في الجنة فيقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك من شدة فيقول: لا والله يا رب ما رأيت بؤساً ولا مر بي من شدة قط**»(٣).

هذه والله دار الذل والهوان والعذاب والخذلان دار الشهيق والزفرات والأنين والعبرات دار أهلها أهل البؤس والشقاء والندامة والبكاء الأغلال تجمع بين أيديهم وأعناقهم والنار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم شرابهم من حميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ومأكلهم من شجر الزقوم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم يدعون على أنفسهم بالموت فلا يجابون ويسألون ربهم الخروج منها فيقال لهم: اخسأوا فيها ولا تكلمون كيف لو أبصرتهم وهم يسحبون فيها على وجوههم وهم لا يبصرون كيف لو سمعت صراخهم وعويلهم وهم لا يسمعون ثم يُلقى المشركون في النار أمة بعد أمة جنّهم

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١٤٩.
(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ١٤٧، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٩.
(٣) رواه مسلم صحيح مسلم ٨/ ١٣٥.

وأنسهم كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اجتمع فيها أهلها جميعاً اشتكت آخرُ أمة إلى الله تعالى أول أمة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل وقالت أول أمة لآخر أمة: لقد ضللتم كما ضللنا على الرغم من الحجج الكثيرة التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على ألسنة الرسل، ولو هدانا الله لهديناكم سواء علينا وعليكم أصبرنا أم جزعنا ما لنا من خلاص فذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨ ـ ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٧ ـ ٥٠].

شعراً:

أما آن يا صاح أن تستفيقا ... وأن تتناسى الحمى والعقيقا

وقد ضحك الشيب فاحزن له ... وصار مساؤك فيه شروقا

وركب أتاهم وقد عرَّسوا ... على القاع داعي المنايا طروقا

تدير عليهم كؤوس المنون ... صبوحاً على كربها أو غبوقا

وما زال فيهم غراب الحمام ... يسمعهم للمنايا نعيقا

ويحمل من عرصات القصور ... حتى أعاد الفسيحات ضيقا

ألا فاحرز النفس عن غيها ... عساك تجوز الصراط الدقيقا

ودون الصراط لنا موقف ... به يتناسى الصديق الصدوقا

فتبصر ما شئت كفاً تعض ... وعيناً تسيح وقلباً خفوقا

إذا أطبقت فوقهم لم تكن لتسمع إلا البكا والشهيقا
شرابهم المهل في قعرها يقطع أوصالهم والعروقا
أذلك خير أم القاصرات تخال مياسمهن البروقا
قُصرن على حب أزواجهن فمشتاقة تتلقى مشوقا



أحكام الاعتكاف

الاعتكاف عبادة روحية لتزكية النفس وتطهير القلب والعقل من شواغل الحياة وصوارف العيش فيقطع فيه المسلم الأواب إلى ربه متحنثاً قانتاً قائماً وقاعداً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو تشريع قديم يدل لذلك قوله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وفيه تجديد لأسلوب الحياة الرتيب وسلوكها الثابت فنحن مع شهواتنا طوال العام فما أروع أن نعيش لأرواحنا بعض الوقت في رحاب الله حيث صفاء الجو للعبادة وفراغ القلب من شواغل الحياة وإقبال المسلم بكله على الله.

والاعتكاف في اللغة لزوم الشيء والمكث عنده، وفي الاصطلاح لزوم المسجد لطاعة الله.

وهو سنة وقربة إلى الله يدل لذلك الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن السنة ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الرسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله»(١).

وأجمع المسلمون على مشروعية الاعتكاف في الجملة وفيه تقرب إلى الله تعالى بالمكث في بيت من بيوته وحبس للنفس على عبادة الله وقطع للعلائق عن الخلائق للاتصال بالخالق وإخلاء للقلب من الشواغل عن ذكر الله والتفرغ

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٤٢.

لعبادة الله بالتفكر والدعاء والذكر وقراءة القرآن والصلاة والتوبة والاستغفار.

والاعتكاف عمل وعبادة لا يصح إلا بشروط:

١ ـ النية لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)]. وأي عمل لا يقوم على نية سليمة فليس بقربه إلى الله ولهذا قال أهل العلم أن لقبول العمل شرطين أساسيين النية الخالصة والمتابعة الصادقة.

٢ ـ أن يكون الاعتكاف في مسجد يقول تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ويؤكد ذلك فعله ﷺ حيث كان يعتكف في المسجد ولم ينقل عنه أنه اعتكف في البيت، أو غيره.

٣ ـ أن يكون المسجد الذي يعتكف فيه تقام فيه صلاة الجماعة لأن الاعتكاف في مسجد لا تقام فيه صلاة الجماعة سيقضي إلى ترك الجماعة أو تكرر خروج المعتكف كل وقت وهذا يناف المقصود من الاعتكاف.

وللمعتكف أن يخرج لما لا بد له منه كقضاء الحاجة والطهارة والطعام ولبس الثياب وله أن يخرج لعيادة المريض وتشييع الجنازة إذا كان اشترط ذلك في بدء اعتكافه.

مدة الاعتكاف:

اختلف أهل العلم في مدة الاعتكاف هل هي يوم وليلة على الأقل أم تكفي فيه الساعة. والصحيح إن شاء الله أن أقله يوم ليلة؛ لأن الاعتكاف مقرون بالصيام ولا يمكن أن يصوم جزءاً من النهار.

مفسدات الاعتكاف:

يفسد الاعتكاف بالجماع لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١/ ٤، وصحيح مسلم ٦/ ٤٨.

وبالخروج من المسجد لغير حاجة ضرورية وذكر بعض أهل العلم أنه يفسد باقتراف كل كبيرة من المعاصي والمحرمات.

هذا هو الاعتكاف سنة نبيكم محمد ﷺ فاحرصوا بارك الله فيكم على الاقتداء بسنته لعل الله أن يرحمنا وإياكم ويتجاوز عنا وعنكم، فقد كثرت الذنوب ولم يبق إلا علام الغيوب.

جنحت شمس حياتي وتدلت للغروب
وتولى ليل رأسي وبدا فجر المشيب
رب خلصني فقد لجـ ـت في بحر الذنوب
وأنلني العفو يا أقـ ـرب من كل قريب

اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكنا معهم في دار القرار ولا تجعلنا من المخالفين الفجار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم وفقنا لحسن الإقبال عليك والإصغاء لأوامرك ونواهيك والتعاون على طاعتك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الأدب في معاملتك والتسليم لأمرك والرضى بقضائك والصبر على بلائك والشكر على عطائك برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) مواهب الجليل ٢/ ٤٥٤، المغني ٣/ ١٨٣، المجموع ٦/ ٤٠٧.

المجلس الحادي والعشرون

فصل في:

ـ من غزوات الرسول ﷺ في رمضان.

ـ أسباب شرح الصدر.

من غزوات الرسول ﷺ في رمضان

الحمد لله الواحد الماجد العظيم الدائم العالم الحاكم العليم القدير البصير النصير الحليم القوي العلي الغني الحكيم قضى فأسقم الصحيح وعافى السقيم وقدر فأعان الضعيف وأوهى القويم وقسم عباده قسمين طائع وأثيم وجعل مآلهم إلى دارين: دار النعيم، ودار الجحيم، فمنهم من عصمه من الخطايا فهو معافى سليم ومنهم من قضى له أن يبقى على الذنوب يقيم، ومنهم من يتردد بين الأمرين والعمل بالخواتيم. أحمده سبحانه أنعم علينا بالفضل الوافر العميم، وهدانا بمنه إلى الصراط المستقيم وحذرنا بلطفه من العذاب الأليم وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان:

تتجدد لقاءات الخير ومجالس الإيمان، وكم تحلو هذه المجالس وتزين إذا كان الحديث فيها حول سيرة سيد الأولين والآخرين.

حديثنا هذه الليلة حول غزوة الفتح المبين. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ١ ـ ٣].

ويقول تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

شغل المسلمون بعد عهد الحديبية بنشر الدعوة وعرض تعاليم الإسلام على الناس ذلك أنهم عقدوا صلحاً مع قريش بعدم الحرب وأن لكل فريق

الحق في عقد الحلف مع من شاء من القبائل وكانت بنو بكر حليفة لقريش وخزاعة حليفة للمسلمين.

ولما أراد الله أمراً كان مفعولاً، امتدت بنو بكر وساعدتها قريش على خزاعة فلجأت خزاعة إلى الحرم حيث الأمان لكن بنو بكر تبعوهم وقريش تمدهم بالسلاح وهنا أصبح الصلح كأن لم يكن حيث نقضت قريش عهدها وبدأ الرسول ﷺ يستعد لفتح مكة ولكنه تكتم على الأمر وحدث ما حدث من كتاب حاطب رضي الله عنه فتداركه الرسول ﷺ ببعث علي والزبير والمقداد فأحضروه من المرأة والقصة مشهورة معروفة، ثم جهز الرسول جيشه واستعد للمسير وسط تكتم بالغ وسار الجيش الإسلامي يطوي الصحراء متوجهاً إلى مكة وأهل مكة في غفلة عن هذا الحدث العظيم، ولما قرب الرسول ﷺ وجيشه من مكة نزلوا فأضرموا النيران ونصبوا الخيام وكان عدد الجيش في حدود عشرة آلاف مقاتل وخرج أبو سفيان وبعض أشراف قريش يتحسسون أخبار الرسول ﷺ وأصحابه، فلما رأوا النيران التي ملأت الوادي قالوا: ما هذا فتبعوها حتى علموا الخبر ثم كان ما كان من إسلام أبي سفيان وبعض أصحابه ودخل الرسول ﷺ مكة ظافراً منتصراً وأهلها فزعون مذعورون لا يدرون ماذا يصنع بهم وناشدوا الرسول الأمان فقال قولته الخالدة على مر الزمان: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن**»(١).

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد وأصبحت أم القرى وقد قيد الرعب حركاتها وأصبح الرجال خلف الأبواب ينتظرون مصيرهم المجهول.

ودخل الجيش الإسلامي من أنحاء مكة حيث دخل الرسول من أعلاها وهو على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال وعثمان بن طلحة ودخل خالد بن الوليد من أسفل مكة، ودخلت سائر الفرق من أنحاء مكة، وهكذا دخل الجيش الإسلامي ظافراً منتصراً وسكنت مكة شرفها الله واستسلم سادتها

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥/ ١٧٠ ـ ١٧١.

وقادتها وأتباعها ورجالاتها على اختلاف أجناسهم وعلت كلمة الحق في جنباتها تدوي إلى الأبد بمشيئة الله تعالى.

ودخل الحبيب المصطفى ﷺ وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**»(١).

وصعد بلال على ظهر الكعبة ورفع الأذان مدوياً وأعلن سقوط الآلهة المزعومة وعادت الكعبة المشرفة معظمة مقدسة مطهرة تلبية لأمر الواحد المعبود ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

ثم ما لبث الناس بعد لقائهم برسول الله ﷺ يطالبون بالعفو والصفح فكان الجواب الخالد من النبي المعصوم المبعوث رحمة للعالمين: «**ما ظنكم أني فاعل بكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء**». نعم إنه النبي الموحى إليه وليس القائد المظفر الذي يتشفى بمن عانده ولاحقه وطارده إنه الرحمة المهداة الذي لا يحمل إلا الخير حتى لألد أعدائه.

إن الدروس المستفادة من الفتح العظيم كبيرة وكثيرة فهل نعتبر ونتعظ ونحن في انتظار فتح مؤزر بمشيئة الله تعالى على ذرى الأفغان فهل تتحد الجهود وتتضافر وتتعاون الهيئات ولا تتنافر لعل الله أن يعجل بالفرج قريباً وما ذلك على الله بعزيز.

شعراً:

قال أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوان الحق أهدى واهتدى
هداني هاد غير نفسي ودلني ... إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعاً جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
همُ عصبة من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأي يُلم ويُفنَّد
أريد لأرضيهم ولست بلافظ ... مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً ... ولا كَلَّ عن خير لساني ولا يدي

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥/ ١٧٣.

أسباب شرح الصدر

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

لانشراح الصدر أسباب كثيرة ينبغي على المسلم أن يأخذ بها لعل الله أن يشرح صدره للهدى وطريق الصواب فالأخذ بالأسباب من لوازم الإيمان.

ومن هذه الأسباب ما يأتي:

١ ـ من أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد وعلى قدر كماله وقوته وصفائه يكون انشراح الصدر والشرك والضلال والخرافات من أعظم أسباب ضيق الصدر عياذاً بالله. يقول تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

٢ ـ النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب ولهذا ترى أن المتمسكين بالإسلام والملتزمين بأحكامه وآدابه هم أكثر الناس طمأنينة وأكثرهم أنساً وسعادة لأنهم يتلذذون بالسعادة الدنيوية بتمام الطاعة والعبادة وهي الموصلة لهم بإذن الله إلى السعادة الأخروية.

٣ ـ العلم فإنه يشرح الصدر ويوسعه والجهل يورثه الضيق وكلما اتسع علم الشخص كلما انشرح صدره ولهذا تجد العلماء وطلاب العلم هم أشرح الناس صدوراً وأوسعهم قلوباً وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً.

٤ ـ الإنابة إلى الله ﷻ ومحبته بكل القلب والإقبال عليه وكلما كان القلب مفرغاً لله كان الصدر أكثر انشراحاً ومن أعظم أسباب ضيق الصدر

إعراضه عن الله ووجود محبوب غيره يزاحمه، فمن تفرد قلبه في محبة الله وصدق في الإقبال عليه حصل على رغد العيش وهناءته فللَّه در أقوام صدقوا في محبة الله وصدقوا في الإقبال عليه وصدقوا في اللجوء إليه فمجالسهم عامرة بذكره لا يحلون في مكان إلا وينفعون يذكرون بالله واليوم الآخر أولئك هم المؤمنون حقاً نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا منهم.

٥ ـ دوام ذكر الله من تسبيح وتحميد وتهليل فللذكر آثار عجيبة في انشراح الصدر وسعة الخاطر وبهجة النفوس.

حدثني أحد طلبة العلم الذين يعالجون بالرقى الشرعية قال: على كثرة من قرأت عليه من الناس لم أقرأ على طالب علم ولا عابد مشهور بالصلاح يقول: وهذا يعني أن من عرف الله حق المعرفة وقام بحقه من ذكر وتلاوة قرآن فإن الشياطين تنفر منه وتبتعد عنه وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

٦ ـ الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه بأي شكل من أشكال الإحسان، وهذا له سر عجيب في انشراح الصدر وحصول الإنس ولا يعرف ذلك إلا من يجربه، فكم من شخص قضى حاجة ملهوف أو شفع لمحتاج أو أعان مضطراً فحصل له بسبب ذلك الخير الكثير. إن مساعدة الناس وقضاء حوائجهم يزيل الهموم ويطرد الأسقام وخير الناس أنفعهم للناس وأبخل الناس أبخلهم بجاهه.

فاحرص أخي المسلم على نفع الناس وقضاء حوائجهم كلما سنحت لك فرصة لعل الله أن يفرج عنك يوم تتكاثر الخطوب والكروب وصدق الحبيب المحبوب «**من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة...**»[١].

٧ ـ إخراج دغل القلب من الحقد والحسد والضغينة، فهذه كلها توجب ضيقه وعذابه وتكثر همومه وغمومه، فمتى تخلص القلب من هذه الأمراض

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ٧١.

الذميمة وبرأ منها صاحَبَ ذلك انشراحٌ في الصدر وسعادة لا تعدلها سعادة.

٨ ـ ترك فضول الكلام والنظر والنوم والاستماع والمخالطة والأكل، فهذه متى كثرت حبست القلب وضيقت عليه فأصبح يبحث عن المخرج فلا يستطيع. ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم وما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم(١).

نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا تمام محبته وذكره ووافر نعمه وشكره، وأن يرزقنا انشراحاً في صدورنا وطهارة في قلوبنا وسلامة في عقولنا وعافية في أبداننا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. اللهم يا رب الأرباب ومسبب الأسباب ويا راحم المذنب إذا انطرح بين يديه وأناب ويا مجزل الثواب على الأحباب نسألك أن تعيذنا من الهلكات، ومن دار السعير والدركات، وتباعد بيننا وبين ما فيها من الأغلال واللفحات وأن تجعلنا ممن يتنعم برياض الجنات.

اللهم يا رحمٰن يا رحيم يا غفار أعذنا من دار البوار وخفف ظهورنا من حمل الأوزار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(٢).



(١) أفاض العلامة ابن القيم في شرح أسباب شرح الصدر في كتابه العظيم «زاد المعاد» فليراجعه من شاء ١/٢١٦ وما بعدها.

(٢) مختصر سيرة ابن هشام ص٣٣٢، زاد المعاد ١/٢١٦، ونفحات رمضان ص٢٢٠.

المجلس الثاني والعشرون

فصل في:

- صيام الجوارح.
- يسر الإسلام في الصيام.

صيام الجوارح

الحمد لله الذي تسبحه البحار الطوافح والسحب السوافح والأبصار اللوامح والأفكار والقرائح العزيز في سلطانه الكريم في امتنانه ساتر المذنب في عصيانه رازق الصالح والطالح يعلم خافية الصدر وما فيه من سر أضمرته الجوارح أنزل القطر بحكمته وصبغ لون النبات بقدرته وخالف بين المطعومات بمشيئته وأرسل الرياح لواقح موصوف بالسمع والبصر يرى في الجنة كما يرى القمر والدليل على ذلك جلي واضح.

أحمده سبحانه على تسهيل المصالح وأشكره على ستر القبائح وأصلي على المبعوث رحمة للعالمين أفضل غاد وخير رائح صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإيمان من الصائمين والصائمات:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته... وبعد.

يتساءل كثير من المسلمين عن صيام الجوارح كيف يكون ونقول لهم: إن ملك الجوارح هو القلب فمتى صام صياماً شرعياً فرض ذلك على بقية الجوارح. يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

فصلاح القلب حياة لصاحبه وسعادة في الدنيا والآخرة وموته والعياذ بالله هلاك ودمار في الدنيا وعذاب أليم في العقبى والقلوب تصح وتمرض كالأبدان سواء بسواء فهنيئاً لمن حافظ على سلامة قلبه من الأمراض وقاده حتى أوصله إلى أعلى الجنان.

نعم يا أصحاب القلوب السليمة لكل مخلوق قلب ولكنهما قلبان قلب

صحيح سليم مشرق بالإيمان مفعم بمحبة الله ورسوله وصالح المؤمنين يعرف المعروف وينكر المنكر.

وقلب ميت تتخطفه سهام المعاصي من كل مكان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. قلب المؤمن يصوم في رمضان وغيره وصيامه يكون بتفريغه من المادة الفاسدة من شركيات مهلكة ومن اعتقاد باطل ومن وساوس سيئة ومن نوايا خبيثة ومن خطرات موحشة.

قلب المؤمن يصوم عن الكبر لأن المؤمن يجلله التواضع ويكمله حسن الخلق ويرفعه لين الجانب ويعليه عند الناس قضاء حوائجهم. قلب المؤمن يصوم عن العجب لأنه بداية النهاية وكم من إنسان أعجب برأيه فهلك وهل كان الضلال والبعد عن الطريق المستقيم إلا ناتجاً من العجب والعياذ بالله.

قلب المؤمن يصوم عن الحسد لأن الحسد يحبط الأعمال الصالحة ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

قلب المؤمن ميزان يزن به الناس فيرتفع عنده الصالحون من أي جنس أو لون أو في أي موقع. وينحط أقوام لأنهم بعدوا عن الله ولو كانوا من أقرب الناس إليه وألصقهم به وصدق الله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

نعم أيها المؤمنون التفاضل بالتقى والعمل الصالح وليس بالجنس والعرق والأرض فكم جرت علينا هذه النعرات من الخراب والدمار وضياع الشرف والعرض وابتعاد الأخيار وطغيان الأشرار.

شعراً:

ألست الذي قربت قوماً فوافقوا ... ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا
فقلت استقيموا منةً وتكرماً ... وأنت الذي قومتهم فتقوموا
لهم في الدجى أنس بذكرك دائماً ... فهم في الليالي ساجدون وقوم
نظرت إليهم نظرة بتعطف ... فعاشوا بها والخلق سكرى ونوم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله ... وسامح وسلمنا فأنت المسلم

صيام اللسان

ومن أهم الجوارح وأخطرها اللسان تلك الجارحة التي تنطق بكلمة الإيمان أو الكفر وتعمر أو تدمر وتصلح أو تفسد وتبني شرفاً أو تهدمه.

اللسان يوردك الجنة أو يقذف بك في النار والعياذ بالله وصدق معلم البشرية وقائدها وأطهرها لساناً وأصدقها مقالاً «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

هل تعلم أيها المسلم أن كل كلمة نطقتها مسجلة عليك سواء كانت في طريق البناء والإصلاح أو في طريق الضياع والدمار.

هل تعلم أن هناك رقيباً يسجل عليك في كل مجلس تجلسه: «هل حاسبت نفسك يوماً ما وتصورت ما نطقت به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس» ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

أيها الصائمون:

هل صام من أكل لحوم الناس ونهش أعراضهم وأفسد فيما بينهم.

هل صام من كانت مجالسه عامرة بأذية المسلمين وهتك محارمهم ونشر الرذيلة بينهم.

هل صام من رأى المنكر فأطرق وكأنه لا يرى؟

هل صام من أطلق لسانه بالقيل والقال وقذف الأبرياء وتشويه سمعة الأتقياء؟

---

(١) رواه أحمد. المسند ٥/٢٣٦ وقال في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٠، ورواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.

هل صام من أحيا العصبيات الهالكه وهيأ لها الأجواء لتأتي على الأخضر واليابس؟

هل صام من قضى نهاره بالسب والشتم والتستر على المجرمين والدفاع عنهم؟

أيها الصائمون:

رطبوا ألسنتكم بذكر الله وعطروا مجالسكم بتلاوة القرآن وزينوا أوقاتكم بالسعي في إصلاح ذات البين ووجهوا من تحت أيديكم لعل الله أن يرحمنا وإياكم ويأخذ بأيدينا ويهدي الجميع صراطه المستقيم.



يسر الإسلام في الصيام

القاعدة العامة أن دين الله يسر ولا عسر فيه وأنه سبحانه لا يكلف النفوس بما يعنتها أو يشق عليها: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وتحقيقاً لهذا المبدأ المجمع عليه عند عامة المسلمين جعل الله المسلمين أمام الصوم طوائف ثلاث:

الطائفة الأولى:

هي طائفة المقيمين الأصحاء القادرين على الصوم بلا ضرر ولا مشقة السالمين من الموانع الشرعية فهؤلاء يجب عليهم أن يصوموا شهر رمضان ومن حاول منهم أن ينتهك حرمة الشهر بالإفطار وبجرح المسلمين في شعورهم فقد باء بسخط من الله ووجب على ولاة الأمر أخذه بالعقوبة الصارمة التي تكون رادعة له ولأمثاله من ضعاف النفوس ومرضى القلب.

وصيام هؤلاء أداء في وقته لدلالة الكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن السنة قوله ﷺ: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا**»[١].

وأجمع المسلمون على وجوب الصوم إداء على كل مسلم بالغ عاقل قادر مقيم سالم من الموانع.

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٤، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٢.

الطائفة الثانية:

وهي طائفة المرضى والمسافرين وهؤلاء إن أفطروا فعليهم قضاء ما أفطروا في أيام أخر يدل لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وهذا تيسير من الله جل وعلا ورفع للحرج والمشقة التي تصاحب السفر عادة لكن متى ما تعرض المريض أو المسافر للضرر من الصيام فيجب عليهما الفطر ولو صاما لكان صيامهما حينئذ إعراضاً عن الرخصة وهي هدية من الله جل وعلا يقدمها لعباده ليرتفقوا بها تخفيفاً عليهم ومن أعرض عن رخصة الله تزمتاً كان عاصياً لأنه يلقي بنفسه في التهلكة ويلزمها شيئاً ليس يلزمها في شرع ولا دين، والله جل وعلا يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تنتهك محارمه، ومن تمام رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لم يقيد السفر أو المرض الذين يبيحان الفطر بل أطلق ذلك ليكون الفيصل فيهما هو العرف فما عده العرف سفراً جاز فيه الفطر وحدُّه عند عامة أهل العلم ـ إحدى وثمانون ـ كيلو متراً وما عده العرف مرضاً جاز فيه الفطر فلا يفطر بالصداع الخفيف أو الارتفاع البسيط في درجة الحرارة أو وجع العين أو الضرس أو غيرهما مما لا يسمى في عرف الناس مرضاً.

قال البخاري رحمه الله: اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله قلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة فقلت: حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن جريج قال: قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ قال: من أي مرض كان كما قال تعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾.

قال البخاري رحمه الله: «وهذا الحديث لم يكن عند إسحاق أي أنه كان يرى هذا فهماً من الآية واجتهاداً وقد تأيد الحديث فهي رخصة عظيمة لا يأباها إلا من يضع نفسه موضع المشرع الحكيم»[1].

هل كان الرسول ﷺ يصوم أو يفطر في السفر؟

---

(١) هكذا نصوم ص٢٢٧، ثلاثون درساً للصائمين ص٢٨ ـ ٢٩.

ثبت عنه ﷺ أنه صام وأفطر في السفر حسب مقتضيات الأحوال وتغليباً للمصلحة الراجحة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»[١].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى كراع الغميم فصام الناس معه فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنهم ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه[٢].

فائدة:

إذا قدم المسافر إلى بلده في وسط النهار وقد أفطر أوله في السفر فهل يلزمه إمساك بقية اليوم أو لا. في ذلك قولان مشهوران لأهل العلم.

أحدهما: قالوا يجب عليه الإمساك بقية يومه ويلزمه القضاء يمسك حرمة للزمن فإن عذره زال بوصوله بلده ويقضي هذا اليوم لأن صيامه فيه غير صحيح إذا لم يمسك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

والقول الثاني: قالوا لا يلزمه الإمساك بقية اليوم إذ لا معنى لصيامه طرف النهار وعليه القضاء وهذا هو الأظهر وهو الذي عليه الدليل شريطة ألا يأكل أمام الناس لئلا يتهم في دينه والله أعلم.

اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة. واجعلنا في رياض الجنة متنعمين وأمتنا على التمسك بهدى خاتم النبيين واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. واغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا ومن له حق علينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٣٠، وصحيح مسلم ٣/ ١٤٥.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٤١.
(٣) حاشية ابن عابدين ٥/ ٤٢١، مجموع الفتاوى ٢٥/ ٢١٣.

المجلس الثالث والعشرون

فصل في:

- صيام بقية الجوارح.
- صيام أهل الأعذار

صيام بقية الجوارح

الحمد لله الذي أرشد الخلق إلى أكمل الآداب، وفتح لهم من خزائن رحمته وجوده كل باب، أنار بصائر المؤمنين فأدركوا الحقائق وطلبوا الثواب وأعمى بصائر المعرضين عن طاعته فصار بينهم وبين نوره حجاب هدى أولئك بفضله ورحمته وأضل الآخرين بعدله وحكمته إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب، وأشهد ألا إلٰه إلا الله الملك العزيز الوهاب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأجل العبادات وأكمل الآداب ـ صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب.

عباد الله:

وهناك جوارح غير القلب واللسان يجب أن تصوم وتمسك عن الحرام لئلا تكون وبالاً يوم العرض على الله يوم تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وسمعهم وأبصارهم بما كانوا عاملين.

ومن هذه الجوارح العين.

وصيام العين غضها عن الحرام وإغماضها عن الفواحش والآثام إذا رأت منكراً أنكرته وإذا رأت معروفاً باركته وصدق الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

وفي غض البصر وحبسه فوائد:

١ ـ طاعة المولى جل وعلا بتنفيذ أمره واجتناب نهيه.

٢ ـ سلامة القلب وجمع شمله وبعده عن التفكير والتشتت لأن الاقتصار على الحلال جمع للفكر والقلب.

٣ ـ البعد عن الفتن والخطايا وكم من نظرة كانت سبباً لجريمة عصفت بأسرة كاملة.

٤ ـ الفتح على العبد بالعلم النافع والعمل الصالح وكلما كان المسلم من ربه قريباً كان لعطائه أهلاً.

٥ ـ فرقان من الله يعطيه من حبسوا أبصارهم عن الحرام يفرقون به بين الخير والشر والحق والباطل فهنيئاً لهم هذا النعيم وسلام عليهم في الأولين والآخرين.

نعم أيها الصائمون والصائمات:

العين تصوم في كل وقت ولكنها في رمضان تصوم صياماً من نوع خاص تصوم عن الخطرات والنظرات وتحبس نظرها على النافع من المواعظ والزواجر من الآيات.

العين تصوم ليس في إغلاقها عن النظر بل في تسريحها في هذا الكون الفسيح تتأمل وتفكر وتخشع وتخضع لعظمة الخالق الحي القيوم.



صيام الآذان

الأذن رسول للخير إن استخدمت في طاعة الله، ورسول للشر إن صرفت لمعصية الله، الأذن مسؤولة عن كل كلمة استمعتها وهمسة أنصتت لها وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الأذن تصوم عن سماع الفواحش من القول والبذيء من الكلام. وتصوم عن الغناء الداعي إلى الرذيلة وبئس المرام.

الأذن تصوم عن أذية المسلمين والنكاية بالموحدين.

الأذن تفطر على سماع الهدى والذكر وطيب الكلام، الأذن تسمع الخير وتألفه وترغبه، وتلك أذن المسلم التقي النقي أما أولئك الذين عطلوا هذه الجارحة فلم يسمعوا بها إلا الحرام والعياذ بالله فقد حكى الله عنهم ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

هم يسمعون لكنهم لا يسمعون سماع موعظة ولا يعتبرون ولا يتعظون وبالتالي لا يعملون ولذا فهم كالأنعام لأنها لا تستفيد مما تسمعه بل نعى الله عليهم وجعلهم أحط قدراً من الأنعام تدعى أحياناً لمكان علفها فتجيب، وتدعى إلى الماء فتجيب وأما أولئك فيسمعون داعي الهدى لكنهم لا يستجيبون.

والبطن يصوم عن اللقمة الحرام فلا يتسحر على حرام ولا يفطر على حرام لأن طيب المطعم هو عين الصيام المعنوي ولهذا أرشد الحبيب المصطفى ﷺ الصحابي الجليل الذي طلب أن يكون مجاب الدعوة إلى إطابة

المطعم «**أطب مطعمك تكن مجاب الدعوة**»[١].

وذكر في الحديث الآخر الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يمد يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له[٢].

كيف يصوم البطن الذي يأكل الحرام، كيف يصوم البطن الذي امتلأ بالربا والله يقول في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

فاحرصوا بارك الله فيكم على طلب الرزق الحلال من أبوابه المشروعة ليكون صيامكم وعملكم بمشيئة الله متقبلاً وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

شعراً:

وخذ من تقى الرحمٰن أعظم جنة ... ليوم به تبدو عياناً جهنم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها ... فهاو ومخدوش وناج مسلم
ويأتي إلٰه العالمين لوعده ... فيفصل ما بين العباد ويحكم
ويأخذ للمظلوم ربك حقه ... فيا بؤس عبد للخلائق يظلم
وينشر ديوان الحساب وتوضع ... الموازين بالقسط الذي ليس يظلم
فلا مجرم يخشى ظلامة ذرة ... ولا محسن من أجره ذاك يهضم
وتشهد أعضاء المسيء بما جنى ... كذاك على فيه المهيمن يختم



(١) قال في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٩١ رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفهم.
(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ٨٥.

صيام أهل الأعذار

مر معنا في الفصل السابق طائفتين من طوائف الناس في الصيام.

الطائفة الأولى: يجب عليها الصوم وهم الأصحاء القادرون المقيمون السالمون من الموانع.

والطائفة الثانية: يباح لهم الفطر وأحياناً يستحب لها وأحياناً يجب عليها كما مر وهم المرضى والمسافرون.

والطائفة الثالثة: هم الذين يرخص لهم في الفطر مع الفدية وهم الذين تشير إليهم الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وهم الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى شفاؤه فهؤلاء يرخص لهم في الفطر إذا كان الصيام يرهقهم ويشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم الفدية وهي إطعام مسكين كما حددت الآية ومقدارها مد من البر الجيد (٥٦٢½) غراماً حسب ما ظهر لي لأن الصاع يزن كيلوين وربع الكيلو[١] والله أعلم.

ويطعم المسكين من غالب قوت البلد وله الخيار بين تفريقه حباً على المساكين وبين أن يصنعه ويطعمهم أياه.

روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن عباس: ليست بمنسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً[٢].

---

(١) قدره شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين بكيلوين وأربعين غراماً فيكون الربع عنده (٥١٠ غراماً أي نصف كيلو وعشرة غرامات). والله أعلم بالصواب.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٦/ ٣٠.

الحائض والنفساء:

وهم المعذورين عن صيام رمضان الحائض والنفساء فيحرم عليهما الصوم ولا يصح منهما لقول النبي ﷺ في النساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل** قلن: بلى قال: **فذلك نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم** قلن: بلى قال: **فذلك من نقصان دينها**»[(١)].

والحيض دم طبيعي يخرج من المرأة ويحبس أحياناً يتغذى به الجنين وهذا من تمام نعمة الله جل وعلا. هذا الدم الفاسد يتحول غذاء نافعاً للجنين في بطن أمه وللرضيع لبناً طبيعياً خالياً من الأمراض والعلل.

ومتى حاضت المرأة ولو قبيل غروب الشمس بدقائق لزمها قضاء ذلك اليوم ولم يصح صومها فيه.

وإذا طهرت أثناء النهار لم يلزمها الإمساك على الراجح من كلام أهل العلم إذ لا معنى لصيامها بعض النهار وقد أفطرت بعضه.

والنفساء تأخذ حكم الحائض وعليهما القضاء بقدر الأيام التي يفطرانها.

ولو طهرت الحائض أو النفساء قبيل طلوع الفجر لزمها الصيام ولو لم تغتسل لأن الحكم مرتب على وقوف الدم وليس على الاغتسال، وهنا ينبغي أن تحتاط أخواتنا المؤمنات لهذه المسائل إذ كثيراً ما ترد الأسئلة حول الطهارة وتمامها وحول بدء الحيض، وعلى الأمهات أن يتفقدن أحوال بناتهن الصغيرات اللاتي هن مظنة البلوغ إذ قد تستحي الصغيرة ولا تخبر أهلها وهذا خطأ شنيع وكم سمعنا من فتيات بعدما كبرن سألن عن أيام لم يصمنها في بدء بلوغهن فليتق الله أولياء الأمور ويتابعوا من استرعاهم الله عليهم ويدلوهم على الطريق المستقيم ويوضحوا لهم ما خفي عليهم من أحكام الطهارة والصلاة ومن جهل فليسأل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٦٣/ ٣١.

الحامل والمرضع:

وممن لهم العذر في ترك صيام رمضان الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما من الصوم فإنهما تفطران وتقضيان.

وهل تطعمان مع القضاء قولان لأهل العلم يدل لذلك ما رواه أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى**»(١).

ويلحق بهؤلاء المعذورين من أفطر لإنقاذ معصوم كمن غرق في ماء أو اشتعلت فيه النار أو سقط عليه بناء وغيرهم إذا توقف إنقاذ المعصوم على فطره وتعين عليه وحده كأن لا يوجد غيره وجب عليه الفطر لكن ينبغي ألا يتوسع الناس في ذلك بل يقتصرون على الأمور الضرورية وخصوصاً العاملين في الدفاع المدني ينبغي لهم ألا يفطروا إلا إذا نالهم مشقة وتعب شديدين، أما مجرد ذهابهم لإخماد حريق فليس مبرراً لإفطارهم.

اللهم اغفر لنا ذنوباً حالت بيننا وبين ذكرك واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك وأدم علينا لزوم الطريق إليك وهب لنا نوراً نهتدي به إليك. اللهم أذقنا حلاوة مناجتك واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك اللهم انقذنا من دركاتنا وأيقظنا من غفلاتنا وألهمنا رشدنا وأحسن بكرمك قصدنا اللهم احشرنا في زمرة المتقين وألحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(٢).



---

(١) رواه أبو داود ٢/٧٩٦، والنسائي ٤/١٩٠، والترمذي ٢/١٠٩، وحسن الحديث وقال ولا يعرف لابن مالك هذا عن النبي ﷺ غير هذا الحديث الواحد...

(٢) المحلى ٦/٥٦٢، العدة على أحكام الأحكام ٣/٣٦٦، حاشية الروض المربع ٣/ ٣٧٦.

المجلس الرابع والعشرون

فصل في:

- الرياء.
- ووصف الجنة.

الرياء

الحمد لله الذي عصم أولياءه عن أسباب العذاب وهداهم لما يسعدهم وكشف عن بصائرهم الحجاب وخذل أعداءه وخلا بينهم وبين الهوى والشيطان الماكر الكذاب أرسل رسله مبشرين ومنذرين مبشرين لعباده المؤمنين بالرحمة ومنذرين الكافرين بالعذاب، أحمده حمد معترف لرب الأرباب ومسبب الأسباب وغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وأشكره على نعمه التي لا تحصى إلى يوم الحساب وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين شرفه ربه بإنزال الكتاب وعلى أصحابه وأتباعه ذوي العقول والألباب.

إخوتي الصائمين والصائمات:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

درسنا لهذه الليلة حول معصية كبيرة وسلاح من أسلحة الشيطان الفتاكة يغزو به الصالحين قبل أهل الفساد ذلك السلاح هو الرياء أعاذنا الله منه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت؟ فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب**

على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من سمّع سمّع الله به ومن يراء يراء الله به**»[(٢)].

الرياء: فعل شيء من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغير الله وهو أنواع كثيرة منها الرياء البدني كإظهار النحول والشحوب ليظهر للناس أن العبادات أثرت عليه.

والرياء العملي كمراءاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود.

والرياء بالقول كحفظ طرف من العلوم ليتحدث الناس عن علمه وتحسين تلاوته للقرآن ليقال فلان قارئ، والرياء من جهة اللباس ثياباً غير جميلة ولا نظيفة ليقال فلان زاهد.

والرياء بالأصحاب والزوار كمن يتكلف أن يستزير عالماً ليقال أن العالم زار فلاناً.

اللهم اعصمنا من الرياء بجميع أنواعه ولا تفتنا فيه يا سميع الدعاء.

وأسباب الرياء كثيرة ترجع إلى أمور ثلاثة:

١ ـ حب لذة الحمد.

٢ ـ الفرار من الذم.

٣ ـ الطمع فيما في أيدي الناس.

يؤيد هذا ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله.

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٦/ ٤٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/ ١٣٠، وصحيح مسلم ٨/ ٢٢٣.

قال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

فقوله يقاتل شجاعة أي ليذكر ويحمد.

وقوله يقاتل حمية أي يأنف من القهر ويفر من الذم.

وقوله يقاتل رياء أي ليرى مكانه طلباً للجاه والمكانة.

وإن من أخطر أبواب الرياء الرياء العلمي فكثير من الناس يتساهل بالفتوى ويستعجل الإجابة لئلا يقال أنه لم يعرف وهذا هو ديدن أدعياء العلم المتشبعين بما لم يعطوا فليحذر المسلم من ذلك وليعلم أنه يوقع عن الله في إجابته فليحرص أن يُخلِّص نفسه قبل أن يُخلِّصَ السائل فوالله ليأتين يوم تندم على ما فرطت فيه من إجابة. لقد كان السلف يكرهون الإجابة ويتدافعون الفتيا رغبة في السلامة.

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

ومن علامات الرياء الشهيرة:

تأخير العبادة عن وقتها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧].

والقيام بالعبادة بخمول وكسل وعدم إعطائها حقها من أركان وشرائط وواجبات: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وللرياء خطورة كبيرة فهو يهدم العمل الصالح ويقضي عليه ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ويؤثر على الفرد والمجتمع تأثيراً عجيباً فهو من أسباب الهزيمة النفسية للأمة يكسوها بالخواء الروحي ويفقدها لذة المناجاة والعبادة.

فليحرص المسلم على علاج نفسه متى أحس بتغلغل الرياء إليها وذلك بمعرفة طرقه ومسالكه وسد الطريق على الشيطان الرجيم وإخفاء العمل وعدم

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٦/٤٦.

الاكتراث بمدح الناس وثنائهم وبذلك لا يجد الرياء إلى المسلم طريقاً.

أسأل الله أن يعصمنا من هذا الداء الخطير وأن يخلص الأمة من شروره وويلاته.

شعراً:

يا بائعاً نفسه بيع الهوان لو ... استرجعت ذا البيع قبل الفوت لم تخب
وبائعاً طيب عيش ما له خطر ... بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت والله غبناً فاحشاً ولدى ... يوم التغابن تلقى غاية الحرب
وواردا صفو عيش كله كدر ... أمامك الورد حقاً ليس بالكذب
وحاطب الليل في الظلماء منتصباً ... لكل داهية تدنى من العطب
فأفرش الحذ ذياك التراب وقل ... ما قاله صاحب الأشواق والحقب
وأسر في غمرات الليل مهتدياً ... بنفحة الطيب لا بالعود والحطب
وخذ لنفسك نوراً تستضيء به ... يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب



وصف الجنة

يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمٰن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفران وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال الين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسروره وقصوره وبساتينه ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من

فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الحجال مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال، وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منها خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود وللرمان ما تضمنته النهود وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيب وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كل عين، وصالها أشهى إليه من جميع أمانيها لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس لا يفنى سبابها ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ولا يمل طيب وصالها قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمع لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهي

غاية أمنيته وهواه إن نظر إليها سرته وإن أمرها بطاعته أطاعته وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهي الكواعب نهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيِّرات الحسان اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج.

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت ... ود المحدث أنها لم توجز[1]

اللهم ارزقنا الخلود في الجنات وتجاوز عنا كثير السيئات وضاعف لنا قليل الحسنات. وأجزل لنا العطايا والهبات وأنقذنا من حضيض الدركات وارفع لنا ذكرنا في عليين وأعطنا كتابنا باليمين، واحشرنا في زمرة سيد المرسلين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل. اللهم اجمعنا ووالدينا وأحبابنا ومشايخنا ومن له حق علينا وجيراننا وأحبابنا في جنات النعيم يا علي يا عظيم. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) حادي الأرواح ص٢١٩ـ ٢٢٠، الرياء ذمه وأثره السيء في الأمة ص١٧.

المجلس الخامس والعشرون

فصل في:

- أحكام الزكاة.
- من أسباب دخول النار.

أحكام الزكاة

الحمد لله الذي يمحو الزلل ويصفح ويغفر الخطل ويسمح كل من لاذ به أفلح وكل من عامله يربح رفع السماء بغير عمد فتأمل والمح وأنزل القطر فإذا الزرع في الماء يسبح والمواشي بعد الجدب في الخصب تسرح وأقام الورْقَ على الورَقِ تُسبِّح أغنى وأفقر وربما كان الفقر أصلح فكم من غني طرحه الأشر والبطر أقبح مطرح هذا قارون ملك الكثير لكنه بالقليل لم يسمح نُبه فلم يستيقظ وليم فلم ينفعه اللوم إذ قال له قومه لا تفرح أحمده ما أمسى النهار وما أصبح وأشهد ألا إلٰه إلا الله الغني الجواد منّ بالعطاء الواسع وأفسح، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاد لله بنفسه وماله وأبان الحق وأوضح صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما لاح في الأفق برق وألمح.

أيها الإخوة في الله:

درسنا لهذه الليلة حول فريضة من فرائض الإسلام فرط فيها بعض المسلمين وتساهل فيها بعضهم والأمة الإسلامية في هذه الأوقات في أمس الحاجة إلى إقامة هذه الفريضة على وجهها الصحيح.

درسنا هذه الليلة حول الركن الثالث من أركان الإسلام حول الزكاة فنقول: الزكاة حق واجب في مال مخصوص لطائفة معينة في وقت معلوم.

وهي أحد أركان الإسلام ومبانية العظام وهي قرينة الصلاة وهما قرينتا التوحيد.

وقد أجمع المسلمون على فرضيتها فمن أنكر وجوبها مع علمه فهو كافر خارج من ملة الإسلام ومن بخل بها أو نقص شيئاً منها فهو من الظالمين

المعترضين لعقوبة الله ومقته وغضبه والعياذ بالله. يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

ويقول تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة ألا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»(٢).

وفي أداء الزكاة تزكية لنفس المؤمن من أوضار الذنوب وآثارها السيئة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفيها كفاية الفقير المسلم وسد حاجته ومواساته وإكرامه.

وفيها تطهير المال وتنميته والمحافظة عليه ووقايته من الآفات.

والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أصناف:

الأول: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وأعظم حقوق المال الزكاة.

وقال ﷺ: «**فيما سقت السماء أو كان عشرياً العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر**»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ص٨، وصحيح ١/ ٣٤.
(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٢/ ٩٠.
(٣) رواه البخاري. صحيح البخاري ٢/ ١٥٥.

ولا تجب الزكاة فيه حتى يبلغ نصاباً وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً والصاع زنته بالبر الجيد كيلوان وربع الكيلو فيكون النصاب ستمائة وخمسة وسبعين كيلو (٦٧٥). فما سقي بالكلفة كالمكائن والرشاشات وغيرهما ففيه نصف العشر وما سقي بدون كلفة ففيه العشر كالزرع على مواقع السيول وغيرها.

الثاني: بهيمة الانعام وهي الإبل والبقر والغنم إذا كانت سائمة ترعى المباح أكثر الحول وقد أعدت للدر والنسل فتجب فيها الزكاة إذا بلغت نصاباً. وأقله في الإبل خمس وفي البقر ثلاثون وفي الغنم أربعون فإن كانت سائمة معدة للبيع والشراء فهي عروض تجارة مثلها مثل بهيمة الأنعام الموجودة في المزارع وغيرها وهي معدة للبيع والشراء.

أما إن أعدت للأكل والأضاحي فلا زكاة فيها.

الثالث: الذهب والفضة يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد**»[(١)].

والمراد بحقها الزكاة كما فسرته الرواية الثانية «**لا يؤدى منها زكاتها**».

وتجب الزكاة في الذهب والفضة والنقود التي تقوم مقامها ونصاب الذهب عشرون مثقالاً والمثقال يزن ($3\frac{1}{2}$) جراماً فيكون النصاب بالجرامات سبعين جراماً (٧٠).

ونصاب الفضة مائتا درهم والدرهم يزن ($3\frac{3}{10}$) جراماً فيكون النصاب بالجرامات أربعمائة وستين جراماً (٤٦٠).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ٧٠.

وهكذا النقود تأخذ حكم الذهب والفضة مع مراعاة مصلحة الفقير فمن كان عنده عملة ورقية قاسها على النصاب الأقل من النقدين وأخرج ربع عشرها وعلى المسلم أن يزكي الدين الذي في أيدي الناس له وهو مخير بين أن يزكيه كل سنة مع ماله وبين أن يؤخره ويزكيه إذا قبضه لما مضى، وهذا إذا كان الدين على مليء قادر على الوفاء، أما إذا كان الدين على معسر أو مماطل لا يستطيع استيفاء حقه منه فلا يزكيه إلا إذا قبضه لسنة واحدة فقط ولو جلس الدين عند المعسر أو المماطل عشرات السنين والله أعلم.

ولا زكاة في الحلي المستعمل شريطة ألا يكون خارجاً عن العرف والعادة وأن تستعمله المرأة ولو مرات قليلة خلال العام ما دام في أصله معداً للاستعمال أما أولئك النساء اللاتي يفيض المال في أيديهن فيمسكنه بشراء الحلي فهذا داخل في الكنز فعليهن زكاته كغيره من الأموال.

الرابع: عروض التجارة وهي كل ما أعد للتكسب والتجارة من عقار وحيوان وطعام وشراب وسيارات وغيرها من جميع أصناف المال فيقومها كل سنة ويُخرج منها ربع العشر ولا زكاة فيما أعده المسلم لحاجة نفسه من مسكن وملبس وفراش ومركب وحلي مباح مستعمل لقوله ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**»(١).

وتجب الزكاة في أجرة ما أعد للأجرة من سيارات وعقارات وغيرها إذا حال عليها الحول فلو قبض أجرة العمارة أو النقليات وأنفقها ولم يحل عليها الحول فلا زكاة فيها والله أعلم.

شعراً:

نسيت لظى عند ارتكابك للهوى ... وأنت توقى حر شمس الهواجر
كأنك لم تدفن حميماً ولم تكن ... له في سياق الموت يوماً يحاضر

وقال آخر:

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢/ ١٤٩، وصحيح مسلم ٣/ ٦٧.

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في ظل مقفرة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرى في غيها اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا



من أسباب دخول النار

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها من نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الجنة وإما إلى النار**» قيل: يا رسول الله فالإبل قال: «**ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم قال: «**ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح بها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**». قيل: يا رسول الله فالخيل قال: «**ثلاثة هي لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخراً ونواءاً لأهل الإسلام فهي له وزر وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو**

روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد روثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب له آثارها وأرواثها حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله تعالى عدد ما شربت حسنات» قيل: يا رسول الله فالحمر قال: «**ما أنزل علي في الحمرإلا هذه الآية الفاذة الجامعة**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[1] [الزلزلة: ٧، ٨].

أرأيت أخي المسلم كيف يكون مصير مانع الزكاة. أين الذين يتساهلون بهذا الركن العظيم ألا يتعظون ويعتبرون ويخشون الوقوف بين يدي الحي القيوم ألا يتذكرون الصراط وزلته والميزان ورجحته، ألا يعتبرون بمن مات وخلف وراءه الأموال الكثيرة التي صارت وبالاً عليه، عليه غرمها ولغيره غنمها.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب ... متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة ... عليه مضي طفل وكهل وأشيب
ولكن علا الرانُ القلوب كأننا ... بما قد علمناه يقيناً نكذب
نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها ... وعلَّ الردى مما نرجيه أقرب
ونسعى لجمع المال حلاً ومأثماً ... وبالرغم يحويه البعيد وأقرب
نحاسب عنه داخلاً ثم خارجاً ... وفيم صرفناه ومن أين يكسب

اللهم طهرنا من حقوق خلقك علينا وتجاوز عنا ما لك من الحقوق اللهم خلصنا من ظلامات الخلق وبارك لنا في الرزق وجمل رقابنا بالعتق وزين أقوالنا بالصدق وطهر أفعالنا من الفسق. اللهم أطب مطعمنا وزك نفوسنا وطهر أموالنا. وأعظم عندك قدرنا وثقل يوم العرض موازيننا، اللهم لذنا ببابك فارحم ضعفنا واجبر كسرنا وأرحم ذلنا اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[2].

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ٧٠.

(٢) الزكاة ص١٠٣، وزكاة الحلي في الفقه الإسلامي ص١١٨.

المجلس السادس والعشرون

فصل في:

- رسالة إلى أختي المسلمة.
- ورمضان شهر الجود والكرم.

رسالة إلى أختي المسلمة

الحمد لله معز من أطاعه وأتقاه ومذل من أضاع أمره وعصاه مجيب دعوة الداعي إذا دعاه وهادي من توجه إليه واستهداه ومحقق رجاء من صدق في معاملته ورجاه من أقبل إليه صادقاً تلقاه ومن ترك لأجله أعطاه فوق ما تمناه ومن لاذ بحماه حماه ومن توكل عليه كفاه.

أحمده حمداً يملأ أرضه وسماه وأشكره على جزيل فضله وسوابغ نعماه وأشهد ألا إلٰه إلا الله لا معبود بحق سواه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه وأسرى به إلى السماء وأراه من الأسرار ما أراه وقربه إليه وشرفه وأدناه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبع هداه.

إخوة العقيدة:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته...

يطيب لنا في هذه الليلة المباركة أن يكون درسنا رسالة عاجلة إلى الأخت المسلمة أماً وزوجة وأختاً وبنتاً وقريبة.

أختي المسلمة: إن دخولك المسجد وتأديتك الصلاة مع المسلمين في هذا الشهر المبارك دليل قاطع على سلامة توجهك وحرصك على الخير فهنيئاً لك الأجر الجزيل بمشيئة الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

المؤمنون والمؤمنات كل منهم عليه مسؤولية منوطة به عليه أن يقوم بها على أتم وجه وأكمله.

فمتى قمت أيتها الأخت المؤمنة بواجباتك حصلت لك السعادة في الدنيا والفلاح والفوز في العقبى بمشيئة الله تعالى.

١ ـ حافظي على الصلوات الخمس بركوعها وسجودها تطمئنين فيها وتخشعين وتكونين بعيدة عن عبث الأولاد وصخبهم وحذار أيتها الأخت الفاضلة أن تكون الصلاة هي آخر ما في حساباتك تقدمين حاجة البيت عليها ولا تقومين لها إلا مهمومة مغمومة يعلوك الكسل ويجللك الفتور فذلك من شعارات المنافقين والمنافقات عياذاً بالله.

٢ ـ حافظي على السنن والرواتب ولازمي الأذكار والأدعية ولا تصدري إلا كلاماً طيباً وإياك والدعاء على أولادك والظهور أمامهم بالمظهر غير اللائق من كل وجه.

٣ ـ طاعة زوجك طاعة تامة بالمعروف وعليك بتلبية مطالبه والقيام بحاجاته وتحسس مرغوباته وتحقيقها قبل طلبها فهذا من تصرف المرأة الحازمة العاقلة واحرصي على تطويق أي خلاف مع زوجك قبل أن يستفحل ويخرج للآخرين والمرأة المخلصة تعرف كيف تعامل زوجها بالأدب والعشرة الكريمة وتكون له أماً وأختاً وزوجة.

٤ ـ احرصي على تربية أولادك وذلك بتعليمهم ما ينفعهم وتهذيب أخلاقهم وتعويدهم على الجميل من القول والعمل وتحبيب الخير لهم وحثهم على الصدق والالتزام بالوعد وعدم التعدي أو أذية الآخرين ولا تكوني أختي المسلمة ممن تهتم بمأكل أولادها ومشربهم وملبسهم على حساب أخلاقهم وتربيتهم وتعليمهم فكلما أن صحة الولد ونظافته مطلوبة كذلك أخلاقه وسلوكه بل الأخيرة أهم.

وصدق الله العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

٥ ـ القيام بشؤون البيت كاملة غير منقوصة وحذاري أن تتساهلي بشيء منه فتلك مهمتك الأولى وأنت الحاكمة فيه فاحرصي أن يكون هادئاً مريحاً

يستمتع الزوج بالجلوس فيه والأنس مع من فيه وكلما بدرت شرارة من ضجيج الأولاد وصخبهم فطوقيها قبل أن تزعج رب الأسرة.

٦ ـ يتأكد عليك أختي المسلمة بر والديك والإحسان إليهما وصلة أرحامك بقدر ما يتيسر لك وهنا ينبغي أن تعلمي أن حقوق الزوج مقدمة على حقوق الوالدين عند المشاحة فلا تخرجي حتى لوالديك إلا بإذن زوجك ورضاه ومن تمام العشرة والحقوق المتبادلة أن يسمح لك بزيارة والديك وصلتهما حسب ما تقتضيه المصلحة والحاجة واعلمي أنك ترسمين منهجك بنفسك فعلى قدر تخطيطك وسلوكك مع زوجك على قدر ما يكون متجاوباً في تلبية طلباتك.

٧ ـ يتأكد عليك حفظ عرضك وغض بصرك وعدم الخروج من منزلك إلا لحاجة ملحة فمن الخير للمرأة ألا ترى الرجال ولا يراها الرجال ومن تمام سعادة المرأة أن تلزم بيتها إلا لمصلحة راجحة تقدرينها ويقدرها زوجك.

٨ ـ احرصي على الستر والعفاف والحجاب الكامل، فالشيطان حريص على إيقاعك وإيقاع غيرك بك وشياطين الإنس كثيرون ولك بنساء السلف خير قدوة كانت الواحدة منهن إذا خرجت لما لا بد لها منه خرجت وهي متسترة متحشمة لا يرى منها إلا السواد.

أسأل الله جل وعلا أن يرزقك الحشمة والستر والعفاف وأن يهب لك ذرية صالحة تنفعك في الحياة وبعد الممات.

شعراً:

أختاه يا بنت الخليج تحشمي ... لا ترفعي عنك الخمار فتندمي

هذا الخمار يزيد وجهك بهجة ... وحلاوة العينين أن تتلثمي

صوني جمالك إن أردت كرامة ... كيلا يصول عليك أدنى ضيغم

لا تعرضي عن هدى ربك ساعة ... عضي عليه مدى الحياة لتغنمي

حلل التبرج إن أردت رخيصة ... أما العفاف فدونه سفك الدم

العرى مرتعة وخيم فاحذري ... وتداركي البنيان قبل تهدم

حسناء يا ذات الدلال فإنني ... أخشى عليك من الخبيث المجرم

رمضان شهر الجود والكرم

يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويقول تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

ويقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

ويقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١ ـ ٢٦٢].

ويقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[١].

هذا هو ديدن الحبيب المصطفى ﷺ أكرم الناس وأجود الناس إن أنفق أجزل، وإن منح أغدق وإن أعطى أعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ما بيده ليس له، يحرص على البذل والعطاء حتى لكأنه يجود بنفسه التي بين جوانحه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٤، وصحيح مسلم ٧/ ٧٣.

وكان ﷺ يستقبل رمضان بفيض من الجود حتى لكأنه يسابق الريح المرسلة التي تنطلق على سجيتها تسوق السحاب ليتفرق في كل اتجاه لينتفع به الناس.

نعم إن رمضان موسم الخيرات والبركات والصدقات. وهيهات هيهات أن يشابه أحد رسول الله ﷺ في بذله وعطائه.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكرام فلاح

الجود يكون ببذل الصدقة بإلقاء الكلمة الطيبة بتفطير الصائم بالإصلاح بين الناس بأداء حقوق الله في الأموال والأبدان.

وإن من مظاهر الادخار المضمون بذل الحاجة للمحتاجين والصدقة للمساكين ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ أرأيت قرضاً دفعته لآخر ألا يرده كما كان إن لم يزد محسناً الوفاء وخير الناس أحسنهم قضاء، إذاً ما دام قرضاً مضموناً فلماذا البخل وقد لا ينتفع الشخص بماله قد تفاجئه منيته قبل أن يستفيد منه وهنا سيكون عليه غرمه ولغيره غنمه.

من المظاهر الطيبة في مجتمعنا ما يفعله الناس من تسابق على البذل والعطاء والصدقة على مختلف أشكالها وأنواعها وهذا عمل طيب ومأجور إن شاء الله ولكن ما نتمناه أن يكون هناك أولويات فإذا كانت هناك حاجة ماسة لنوع معين أو أسرة معينة فالمبادرة لسد هذه الحاجة أولى من غيرها وإذا كانت هناك حاجة لإخواننا خارج بلادنا ممن يدافعون عن الأرض والعرض ويرفعون راية الجهاد فالبذل لهم أولى وأحرى بالمضاعفة والقبول. وإذا كانت جهات مأمونة موثوقة تتولى الصدقات وتعرف مظانها فالتعاون معها أكمل وأتم.

أخي المسلم: طرق الخير ميسرة وأبواب الطاعات مفتوحة وقنوات البر والإحسان ممهدة فما عليك إلا أن تبذل وتحسن النية ولا تتقال ما تبذله فكم من ريال سبق مليون ريال وكم من قليل سبق الكثير.

فهنيئاً لمن صدق مع الله فيما بذل وأعطى فقبل منه الله ولو أقل القليل.

أيها الإخوة الصائمون:

كلما شرف الزمان والمكان شرف تبعاً له ما يقع فيع من الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة، فالصدقة في رمضان أفضل منها في غيره، والصلاة في الحرم المكي أفضل منها في غيره والبذل على الوالدين والأقارب أفضل منه على غيرهم ومدار الأعمال كلها على النية الصالحة، فاحرص أخي المسلم على أن تكون أقوالك وأعمالك مقرونة بالنية الصالحة فقبول العمل وعدم قبوله كم أرَّق من نفوس مؤمنة وأسهر من عيون خاشعة وأذكى خوف عباد الله الصالحين. كان السلف يحملون هم قبول العمل أكثر من هم العمل وما ذاك إلا لصدق نواياهم وطهارة قلوبهم وصفاء نفوسهم رزقنا اقتفاء آثارهم.

اللهم وفقنا لاغتنام الأوقات، وشغلها بالأعمال الصالحات.

اللهم يا جزيل الهبات ويا واسع العطيات أسكنا أعلى الجنات. اللهم جد علينا بالفضل والإحسان وعاملنا بالعفو والغفران وأعذنا من عذاب النيران وأسكنا فسيح الجنان. اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واغفر لنا في الآخرة والأولى. اللهم ارزقنا شفاعة نبينا وأوردنا حوضه واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).



(١) المرأة المسلمة ص٧٩، نفحات رمضان ص٢٦٤.

المجلس السابع والعشرون

فصل في:

- وصف الجنة.
- وليلة القدر.

وصف الجنة

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلاً ووسم بالعجز سائر مخلوقاته فكلهم تراه إليه مفتقراً ذليلاً وحسم الأفكار عن الإحاطة بذاته وصفاته فأقرت عقول المؤمنين بالعجز عن تكييفه وآمنت بوجوده وإثباته ولم يجعل للأفكار في الإحاطة به سبيلاً.

هو الله الخالق البارئ المصور أعد لمن خالف أمره عذاباً وتنكيلاً.

هو الله الملك الكبير العلي العظيم القدير الذي لا يزال متصدقاً جليلاً.

الجبار الذي قهر المتجبرين وجبر كسر المنكسرين وخيراته ما تزال تسح سحاً جزيلاً.

أحمده سبحانه على توالي جوده وإنعامه وأشكره على سابق فضله وإكرامه وأصلي وأسلم على من فضله ربه تفضيلاً.

وخصه من بين سائر خلقه واتخذه خليلاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من كان بلاؤهم صادقاً جميلاً.

إخوة العقيدة:

درسنا هذه الليلة في وصف الجنة جعلنا الله من سكانها بمنه وكرمه.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ١٤ ـ ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٠ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧٠ ـ ٧١].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٦ ـ ٥٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٠ ـ ٧٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/ ٢٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمٰن**»(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضاً**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يبصرون أمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوه ورشحهم المسح أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم ستون ذراعاً**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»(٥) [السجدة: ١٧].

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى**

---

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٤/ ١٩.
(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/ ١٤٣، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٥.
(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/ ١٤٨.
(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ١٦٠، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٦.
(٥) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/ ١٤٣، وصحيح مسلم ٨/ ١٤٣.

منادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم منه»(١).

شعراً:

عناقيد من كرم وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ... فيا عجباً من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها أن السلو محرم
تذكر بالرحمٰن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً ... فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها ... تيقن حقاً أنه ليس بهرم



---

(١) رواه أحمد. المسند ٤/٣٣٣، وابن ماجه ١/٦٧، والترمذي ٤/٦٨٧. قال أبو عيسى: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه...

ليلة القدر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١ ـ ٥].

سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العوام ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤].

وقيل: لأنها ليلة عظيمة شريفة ويدل له قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ وقيل: لأنها تكسب من أحياها شرفاً وقدراً أو لأن العمل فيها له قدر عظيم والكل حاصل ومتحقق.

إن من نعمة الله على هذه الأمة أن جعل لها مواسم يتضاعف فيها العمل ومن أخص هذه الأزمنة شهر رمضان لأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر أي ما يزيد على ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر .الله أكبر إنها نعمة عظيمة عمر كامل للإنسان ولكن ما أكثر المحرومين.

وصفها الله بأنها ليلة مباركة وشرفها على سائر الليالي وأخبر الرسول ﷺ أن قيامها سبب لمغفرة ذنوب العبد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[1].

وهذه الليلة خاصة بأمة محمد ﷺ مِنَّة من الله وتفضلاً على هذه الأمة المفضلة، وهذه الليلة مقطوع بأنها في رمضان لأن القرآن نزل في رمضان والله يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣ ـ ٤]

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/ ٥٩.

وقد اختلف أهل العلم في تحديدها خلافاً واسعاً، ومن أشهر أقوالهم:

١ ـ أنها أول ليلة من العشر الأخير من رمضان.

٢ ـ أنها ليلة اثنين وعشرين من رمضان.

٣ ـ أنها ليلة ثلاث وعشرين وقال به جمع كبير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

٤ ـ أنها ليلة أربع وعشرين.

٥ ـ أنها ليلة خمس وعشرين.

٦ ـ أنها ليلة سبع وعشرين وهذا قال به أكثر الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

٧ ـ أنها ليلة ثمان وعشرين.

٨ ـ أنها ليلة تسع وعشرين.

٩ ـ أنها ليلة الثلاثين.

١٠ ـ أنها في أوتار العشر الأخير[١].

وخلاصة القول أن ليلة القدر في العشر الأواخر في أوتارها وأرجاها والله أعلم ليلة سبع وعشرين ثم ليلة ثلاث وعشرين ثم ليلة إحدى وعشرين ووقتها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر يدل لذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٥].

وقد أخفى الله هذه الليلة على عباده كي يجتهدوا في العبادة ولئلا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها، وهذا فضل منه سبحانه ليزداد المسلمون طاعة وتقرباً إليه.

أخي المسلم: عليك بالدعاء في ليلتها أكثر منه وقدم بين يديه التسبيح والتحميد والتهليل واختمه بالصلاة والسلام على الحبيب ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها قال: «**قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**»[٢].

---

(١) بسط الأقوال وأدلتها في سطوع البدر بفضائل ليلة القدر ص٦٩ وما بعدها.

(٢) رواه أحمد. المسند ٦/ ١٧١، والترمذي صحيح الترمذي ٥/ ٥٣٤، وابن ماجه سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٦٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

إخواني: ليلة القدر أمرها عظيم والخير فيها جزيل عميم وكفى وصفها في القرآن ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

فيها تقسيم الآجال والأعمار فيها يكتب الحجاج والعمار كم جامع ديناراً وأكفانه عند القصار وهو يعمر الدار عمارة مقيم: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

هذه الليلة فيها التجارة الرابحة والملائكة تملأ الأرض سائحة. هذه ليلة العبرات والزفرات هذه الليلة تجاب فيها الدعوات. هذه ليلة يتنافس فيها المتنافسون ويتسابق فيها المشمرون فيا سعادة الفائزين ويا شقاوة الخاسرين.

حرام على قلبي وإن شفه الضنا ... يميل إلى مولى سواك وصاحب
فزعت إلى باب المهيمن ضارعاً ... مدلاً أنادي باسمه غير هائب
فلم أخش حجاباً ولم أخش منعه ... ولو كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريماً يلبي عبده كلما دعا ... نهاراً وليلاً في الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدي داعياً ... وإن كنت خطاء كثير المعائب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطئ ... وما أحد يرجو نوالي بخائب

اللهم يا جابر كسر المنكسرين ويا راحم ذل المساكين ويا مغيث الملهوفين ويا ناصر المستضعفين ويا مالك يوم الدين نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. اللهم اقسم لنا في هذه الليلة الشريفة المباركة من خير ما أعددته لعبادك الصالحين.

اللهم اجعلنا لحوض نبيك من الواردين ويوم العرض عليك من الناجين، اللهم يسر أمورنا واشرح صدورنا واختم بالصالحات أعمالنا.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك نسألك من الخير كله عاجله وآجله ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ونسألك من خير ما نعلم وما لا نعلم يا علام الغيوب اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثامن والعشرون

فصل في:

ـ الأخلاق الفاضلة.

ـ وشغل الأوقات في رمضان.

الأخلاق الفاضلة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً واصطفاه من جميع خلقه صغيراً وكبيراً وأنزل معه كتابه المهيمن على جميع الكتب رحمة منه بعباده فهو هدى ونوراً فأشرقت الأرض بنور رسالته براً وبحراً وكان ربك لطيفاً خبيراً فسبحان من اختص بالتوفيق والهداية من شاء من عباده، فكان حظهم موفوراً أحمده سبحانه هدانا للإسلام إنه كان بعباده خبيراً بصيراً وأشهد ألا إلٰه إلا الله لم يتخذ ولداً ولا نصيراً ولا ظهيراً وأصلي وأسلم على عبده المبعوث بشيراً ونذيراً من حطم الشرك والأصنام وطهر مكة منها تطهيراً وعلى آله وأصحابه جند الحق وحماته وسلم تسليماً كثيراً.

إخوتي الصائمين والصائمات:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وبعد.

درسنا لهذه الليلة حول الأخلاق الفاضلة الدرع الواقي من الخطر والعدة النافعة يوم المحشر. يقول الله تعالى مثنياً على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [ن: ٤].

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن[(١)].

إن للصوم رسالته التهذيبية وأثره البالغ على أخلاق المسلم فهو ينشئ عند الصائم خلق المراقبة ويقيم منه حارساً عاماً على نفسه فهو يضبط النفس من الداخل لئلا تخالف أو تحاول فتصدر أعمال المسلم الخارجية خاضعة

(١) رواه أحمد. المسند ٦/ ٩١، والبيهقي في السنن ٢/ ٤٩٩، وأصله في مسلم ٧/ ٧٤.

لهذه الرقابة أترى الصائم يصدق مع ربه ويكذب على الناس أتراه يخلص في صومه ثم ينافق في المجتمع إن الإخلاص كل لا يتجزأ وإن ذروة سنامه. وملاك أمره الإخلاص مع الله، فمن أخلص مع ربه محال أن يخدع ويخون ويغش ومحال أن يسرق أو يبطش أو يؤذي ولو حصل منه شيء من ذلك على سبيل الخطرات رجع وأناب واعتذر وندم ندماً بالغاً.

إن الصوم عامل أساسي من عوامل تأصيل الأخلاق وتعقيمها وبنائها على أساس متين من الداخل لأن جمال الظاهر لا يغني إذا لم يكن الداخل محكماً ومنيعاً ولهذا أخلاق الصائمين تأخذ صفة الثبات والاستمرار والنمو المتزايد لأنها مصونة من الداخل والخارج.

حدثني من أثق به قال أن مسؤولاً نصرانياً عن العمال في الكويت في إحدى حقول البترول لما دخل رمضان قال من أفطر فسنضاعف له الراتب ومن لم يفطر فسيأخذ راتبه فقط. وظن العمال أن قصد هذا الكافر أن الصائمين أقل إنتاجاً والمفطرين أكثر عملاً وتحركاً وإنتاجاً وهنا أخذ الطمع يتصارع مع الإيمان فمن غلبته نفسه أفطر طمعاً في مضاعفة الراتب ومن ثبته الله بقوة الإيمان وعدم الالتفات إلى المال استمر على صومه، وقال قليل مع الطاعة خير من كثير مع المعصية. وأخذ المسؤول الكافر يحصي الصائمين والمفطرين يومياً حتى كمل الشهر وعند تسليم الرواتب أعطى الصائمين راتباً مضاعفاً وأعطى المفطرين راتبهم فقط وسرحهم من العمل وقال: إن من يخون ربه يخون الناس وهذا من الكافر ليس حرصاً على الصيام بل هو حريص على العمل لأن المفطرين يسرقون من أوقات عملهم ولا ينتجون لأن عنصر الإخلاص عندهم مفقود، وأما الصائمون فعملهم واحد عند وجود المراقبة وعدمها لأن لديهم مراقبة داخلية من أنفسهم.

إن أخلاق المسلمين ثابتة لا تتغير مهما تغير الموقع ومهما تغير المتعامل معه لا تتلون بلون المصلحة ولا تتزيا بزي المنفعة. أما أخلاق غير المسلمين المصطنعة فهي تدور مع المنفعة وتسير وراء المصلحة وتختلف من وقت لآخر أخلاق مصنوعة تسير خلف الشهوات تتلون حسب مقتضيات الأحوال وليت

شعري كيف فتن بعض شبابنا بأخلاق الغرب وما علموا أنها أخلاق تجارية وقتية إذا تغير موقع المتعامل حكم بشريعة الغاب لكنه في بلده محكوم بنظام صارم لا يراعي حلاً ولا حرمة ولا مصلحة عامة بل الأهم كسب السائح والزائر والظهور أمامه بمظهر الأمانة والصدق والنزاهة ووراء الأكمة ما وراءها.

أخي الصائم:

هناك أمور عظيمة وقيم ثابتة ينبغي على المسلم أن يتحلى بها مهما كلفه ذلك من ثمن حياة المسلم كلها حركاته وسكناته ونومه ويقظته في كل شؤون حياته المادية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية لا بد أن تكون خاضعة لهذه القيم وتلك المعايير ويومها يعيش المجتمع المسلم بأمن وسلام وطمأنينة ورغد عيش ترفرف عليه ظلال المحبة ويسوده شعار السلام.

أخي الصائم:

هذه توجيهات نابعة من أخ يحبك ويتمنى لك الخير حيث كنت وحيث كان:

١ ـ احرص على العلم فعن طريقه تعرف الحلال والحرام وتعرف الحق فتعمل به وتعرف الباطل فتتجنبه وتعرف الخير فتساهم فيه.

٢ ـ العمل بما تعلم والتطبيق لما نقول.

إن من أعظم أدوائنا وأكثر مصائبنا نحن المسلمين أننا نقول ما لا نفعل ونكثر الكلام ونجبن عن العمل وصدق الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

٣ ـ الإخلاص في كل ما تأتي وما تذر وصدق الله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٢٧].

٤ ـ الأمانة في كل معاملات وأحاديثك وتوجيهاتك وأخص الأمانة مع نفسك وأسرتك.

٥ ـ الصبر على ابتلاء والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية.

٦ ـ أن تكون رقيقاً لين الجانب مع الآخرين.

٧ ـ أن تكون ميسراً مبشراً هاشاً باشاً في وجوه المؤمنين.

٨ ـ أن تكون ورعاً وهذا أحد أسرار الصوم العجيبة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٩ ـ احرص على الشهادة العادلة ولو على نفسك ولا تغتر بكلام الآخرين واحذر مجالس السوء التي تقوم على أكل لحوم المسلمين فوالله ليأتين يوم يقتص فيه تضيع فيه الحسنات التي جمعت وتذهب للآخرين فوا حسرتى على التفريط والإهمال.

١٠ ـ احرص على التعاون مع الآخرين وعمل الخير في كل مكان واحذر أن تقف في وجه من يعمل الخير مهما اختلفت المشارب وتعددت الوسائل وتشعبت السبل.

١١ ـ ابذل جاهك للآخرين واشفع لهم فيما فيه الخير وساعد المحتاج وأعن الضعيف لعل الله أن يقيك بذلك من لفح جهنم.

١٢ ـ لا تغفل عن إخوانك المجاهدين في شتى بلاد المعمورة فكل مسلم يرفع كلمة الإخلاص أنت مسؤول عنه إن قدرت على مد يد العون له وصدق الله العظيم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

شعراً:

نور الكتاب أضاء فيمن قبلنا	فمحى الشكوك وبدد الأوهاما
صاغ الجنود على هدى من شرعه	قمماً تضيء وترفع الأعلاما
فتحوا البلاد ليملؤها عزة	كسوا الوجود محبة وسلاما
من فوق مئذنة الحضارة أذنوا	للحق لحناً أيقظ النواما
الله أكبر رددوها للورى	فصحا الجميع وحققوا الأحلاما

وقال الشاعر:

ركب من الأخيار جند محمد   دكوا القيود وحطموا الأسوارا
ركب تبوأ فجره رغم الدجى   فالنور كان بأرضه معيارا
ركب إلى الرحمٰن يهرع في الوغى   يلقي المية إن دنت مختارا



شغل الأوقات في رمضان

قالوا الوقت من ذهب إن لم تحرص عليه ذهب لكننا نقول أن الذهب يعوض فإذا ضاع مرة حصل أخرى ولا يقيس الحياة بالذهب إلا الناس الماديون الذين لا يعيرون وزناً للثواب والعقاب وقالوا الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ونحن نقول هذه عبارة صائبة لكنها لا تدل على المراد من تحصيل النفع والاستفادة من الوقت ولهذا فوقت المسلم حياته يحاسب على كل خطرة ولحظة وحركة وسكون: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وكل يوم يمر على المسلم هو خلق جديد وعلى عمله شهيد وإذا مضى فلن يرجع ويعود.

وصدق الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثواني

الوقت حلقة في سلسلة الحياة وخطوة لا ندري ماذا كتب بعدها من خطوات تتلاشى سريعاً كما يتلاشى الجليد الذي صهرته حرارة الشمس المحرقة لكن هذه الخطوة وتلك السلسلة مسؤولون عنها ومستوقفون حولها وصدق معلم البشرية ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعلمه ماذا عمل به**»[١].

ينبغي أن يسأل المسلم نفسه سؤالاً عادياً نتهرب منه دائماً:

---

(١) رواه الترمذي سنن الترمذي ٤/٦١٢ وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح. وذكره الألباني في الصحيحة برقم ٩٤٦ ١/٢٦٦.

ما الذي استفدناه ولأمتنا خلال عام مضى بدقائقه وساعاته وأيامه ولياليه هل اهتدينا في رمضان الماضي إلى أسلوب صحيح حتى جاء رمضان هذا العام فإذا نحن أزكى نفوساً وأصفى أرواحاً وأطهر أخلاقاً؟

إننا ما زلنا كما كنا بل إن التقصير عمنا والتفريط شملنا ولم نكترث بعام مر وانصرم ولم نعتبر برمضان الماضي وهذا من قسوة القلوب والعياذ بالله.

شهر رمضان دائماً يذكرنا بقيمة الوقت في الإسلام إنه لا فراغ في حياة المؤمن.

لا فراغ والإسلام قائم بالنفوس.

لا فراغ والإيمان يعمرالقلوب.

لا فراغ في حياة أمة لها غاية.

لا فراغ في حياة مجتمع حياته كلها عبادة.

لا فراغ في حياة مسلم يتقلب من طاعة إلى طاعة خطراته وحركاته وسكناته وأكله وشربه ونومه وذهابه وإيابه عبادة لله.

متى تحققت النية الخالصة والمتابعة الصادقة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أخي الصائم:

لقد وهبك الله سبحانه عمراً وجعل له خاتمة ونهاية ولا ريب أن المؤمن الكيس الفطن يحس في أعماقه بأنه في سباق مع هذه النهاية يحاول أن يسجل فيها أكبر قدر من العمل الصالح وصدق الله العظيم: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

فموقفك أخي المسلم يوم الحساب مرتبط بالزمن وذلك اليوم يفوز أقوام استغلوا أوقاتهم في طاعة الله ويخسر آخرون فرطوا وتكاسلوا وضيعوا أعمارهم سبهللا.

وصدق الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

لقد أعطانا الله أعماراً محدودة وأنفاساً معدودة وكلفنا حفظها فيما ينفع في ديننا ودنيانا ووكل بنا ملائكة حافظين كراماً كاتبين يحفظون أعمالنا ويكتبون أقوالنا وأفعالنا من خير وشر، فإذا كان يوم القيامة شهدت علينا الحفظة وشهدت علينا الجوارح وشهدت علينا بقاع الأرض التي عملنا فوقها وينشر الديوان الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وصدق الله العظيم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٤].

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

أخي الصائم لقد أظلك شهر عظيم مبارك فاجتهد فيه بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل من صلوات وصدقات وبذل معروف وإحسان وصبر على طاعة الله وعمارة نهاره بالصيام وليله بالقيام وساعاته بتلاوة القرآن وذكر الله ﷻ ومجالسة الأخيار والصالحين والإقبال على العلم النافع فوالله إن المحروم من حرم الخير في هذا الشهر والشقي من نسي الله فنسيه والمفلس من يدخل عليه رمضان ويخرج وهو لم يغير من حاله ويستعد لمآله.

اللهم وفقنا لاغتنام أوقاته وعمارة دقائقه وساعاته واجعلنا من الفائزين يوم تشهد الدواوين ويقوم الناس لرب العالمين: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

اللهم علمنا من ديننا ما جهلنا واقبل بفضلك قليل ما علمنا واستر عيوبنا. واكشف كروبنا وأزل همومنا وأحزاننا وتوفنا وأنت راض عنا. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) أخي الصائم ص١٠١، هكذا نصوم ص٣٣، نفحات رمضان ص٢٣٦.

المجلس التاسع والعشرون

فصل في:

- أسباب دخول النار.
- ونصائح وتوجيهات.

أسباب دخول النار

الحمد لله الذي لم يزل رحيماً راحماً وخبيراً بالأسرار عالماً قرب من شاء فجعله صائماً قائماً وطرد من شاء فجعله في بيداء الضلال هائماً يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغماً ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادماً أحمده حمداً من التقصير سالماً وأشكره شكراً لنعمه ملازماً وأصلي وأسلم على نبي الرحمة المهداة والقدوة المصطفاة وعلى صاحبه أبي بكر القوي الشجاع، وعلى عمر الذي يأمر فيطاع وعلى عثمان الذي اشترى في سبيل الله وباع وعلى علي قامع الشرك والابتداع وعلى جميع الصحب والأتباع.

إخوتي المؤمنين:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

درسنا لهذه الليلة حول أسباب دخول النار أعاذنا الله منها ووالدينا وأحبابنا بمنه وكرمه وجوده وإحسانه.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٨].

إن لدخول النار أسباباً كثيرة منها ما يوجب الخلود فيها ومنها ما يقضي بدخولها ثم الخروج منها رحمة من الله وفضلاً.

ومن الأسباب الموجبة للخلود في النار:

١ ـ الشرك بالله بأن يجعل لله شريكاً في ألوهيته أو ربوبيته أو يكفر

بالله ﷻ أو بملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو قضاء الله وقدره فمتى أنكر شيئاً من أركان الإيمان الثابتة جاحداً ذلك مكذباً فقد حرم الله عليه الجنة وكتب له النار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

٢ ـ من أنكر شيئاً من فروض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة أو أنكر تحريم شيء من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة فهذا كافر لأنه مكذب لله ورسوله وهو من حطب جهنم إن مات على ذلك والعياذ بالله.

٣ ـ الاستهزاء بالله ﷻ أو بدينه أو برسوله أو بشيء مما جاء به الرسول ﷺ وهذا مزلة قدم يتساهل به كثير من الذين يحبون أن يضحكوا الآخرين فيطلقوا الكلمات اللاذعة التي تمس المؤمنين في سلوكياتهم وأفعالهم التي هي مما جاء به الرسول ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

٤ ـ الحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه الأصلح للخلق والأحسن في تحقيق العدل والافضل لقيام شؤون الحياة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٥ ـ النفاق وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

ومن الأسباب الموجبة لدخول النار دون الخلود فيها:

١ ـ عقوق الوالدين وذلك بأن يقطع ما يجب لهما من البر والصلة أو يسيء إليهما بالقول أو الفعل.

٢ ـ قطيعة الرحم وهي أن يمنع الشخص ما يجب لقرابته من الحقوق البدنية أو المالية.

٣ ـ أكل الربا وهو من أكثر المعاصي انتشاراً في هذه الأزمان يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٤ ـ أكل مال اليتيم والتلاعب به وعدم رعاية المصالح المتعينة فيه. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

٥ ـ شهادة الزور وهي من السبع الموبقات.

٦ ـ الرشوة وقد ورد لعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الساعي بينهما.

٧ ـ القضاء بين الناس بغير علم أو بجبور متعمداً ظلم أحد لصالح أحد. فمن عرف الحق وحكم به فهو في الجنة ومن عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ومن قضى عن جهل فهو في النار نسأل الله العفو والعافية.

٨ ـ الغش للرعية وعدم النصح لهم وعمل ما ليس في مصلحتهم بل فيه ضررهم في العاجل والآجل وصدق الحبيب المصطفى ﷺ فيما يرويه معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله على رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[1].

فليحذر المسلم من هذه المعاصي الكبيرة وغيرها لئلا يتعرض لعذاب الله ووعيده. نسأل الله بمنه وكرمه أن يجنبنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن.

(١) رواه مسلم ٦/ ٩.

شعراً:

لله در أناس أخلصوا العملا على اليقين ودنوا بالذي أمروا
أولاهم نعماً فازداد شكرهم ثم ابتلاهم فأرضوه بما صبروا
وفوَّ له ثم وافوه بما عملوا إذاً سيوفهم يوماً إذا نشروا

وقال آخر:

وقفنا فمن باك أجابت دموعه ومعتصم بالصبر لم يملك الصبرا
ومن ساتر أجفانه بيمينه وملق على أحشائه يده اليسرى
ومن طائش لم يُسعد الدمع وجده وشر البكا ما استنفد الأدمع الغزرا
وقد ملقت خوص الركاب لبيتنا فلم نستطع ضعفاً لشاردها زجراً



نصائح وتوجيهات

أخي المسلم أدعوك لسماع مجموعة من التوجيهات والنصائح لعل الله أن ينفعنا بها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١ ـ كثير من المسلمين يهتم في رمضان بمختلف صنوف الطاعات فإذا ودع الشهر هجر هذه الطاعات وكأنه لا يعرف الله إلا في رمضان وكأن رب رمضان ليس رباً لشوال وبقية العام.

هناك من يقبل على كتاب الله في رمضان ويختمه مراراً وقد هجره طوال العام.

هناك من يحافظ على الصلوات المكتوبة وصلاة الليل وهو لا يعرف المسجد في غير رمضان.

هناك من يلازم حلقات العلم والدرس وهو لا يطيقها في غير رمضان.

أهكذا يكون المسلم الحق أم أنها المفاهيم الخاطئة والممارسات المرفوضة التي يتعامل بها بعض المسلمين اليوم.

٢ ـ الصائم حين يمسك عن الطعام والشراب يشعر بأنه يفعل ذلك لأجل الله تعالى وفي ظل من مراقبته كيف لا وهو يجد الطعام الشهي والماء الهنيء أمام عينه فيغالب ويجاهد ويعف لا يخشى إلا الله وحده طالباً مغفرته ورضاه.

هذا هو الصيام الحقيقي أما أولئك الذين أفرغوا الصيام من محتواه وجعلوه ظاهراً بلا روح فهؤلاء لم يؤدوا العبادة على وجهها المشروع ذلك أنهم أطلقوا لقلوبهم وعقولهم حرية ما يصدر عنها من خطرات السوء وتصورات الشر والفساد رياء وحقداً وغلاً وظناً سيئاً وأرخوا لجوارحهم العنان

فخاضت ألسنتهم في المحرم من القول مراء ومجادلة ومزاحاً وخصومة وسباً وفحشاً وسخرية وكذباً وغيبة ونميمة وأيماناً فاجرة وصوبوا أبصارهم نحو ما حرم الله النظر إليه وأمر بغض البصر عنه وفتحوا آذانهم لسماع اللغو واللهو والقيل والقال.

هؤلاء أخذوا مظهر الصيام فقط فامتنعوا عن الأكل والشرب والجماع ولكنهم وقعوا فيما هو مثل هذه المفطرات أو أشد.

٣ ـ إن مسؤولية الأهل نحو أبنائهم أمانة عظيمة في أعناقهم إن أحسنوا التعامل معها والتحمل لتبعاتها وأداء واجباتها كان العطاء عظيماً للحاضر والمستقبل.

ومن أهم الأمور التي تندرج في تربية الطفل وتأديبه تعويده العبادات عموماً والصوم خصوصاً منذ الصغر وقبل أن يبلغ سن التكليف.

عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتم بقية صومه ومن أصبح صائماً فليصم فكنا نصومه بعد ونصوِّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف المصبوغ ـ فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[١].

ففي هذا الحديث تمرين الصبيان على الصيام وتعويدهم عليه ليكونوا مستعدين عند بلوغهم ويسهل عليهم فهل يعي الآباء والأمهات ذلك ويحرصوا عليه لأنه عين الرحمة بهم والشفقة عليهم؛ لأن نور الطاعة يملأ جوانحهم ويذكي بواعث الخير في نفوسهم فتنساق له دون تكلف أو إجهاد.

٤ ـ تكثر أسئلة الصائمين حول وقت الإمساك والفطر والأكل أثناء الأذان من صلاة الفجر ونقول لهؤلاء: السنّة تعجيل الفطر وتأخير السحور ولكن ليس إلى الحد الذي يوقعك في الشبهة والحرج فتذهب تسأل عن الحكم فعليك أخي الصائم أن تمسك قبيل الأذان لدقائق لأن هذا أسلم وأحوط، وإن كنت في مكان تعتمد فيه على رؤية الفجر بنفسك فإن كانت هناك ساعة فالأمر

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ١٥٢.

محسوم وإلا فارقب الفجر ومتى بان لك حسب ما يظهر لك فأمسك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ونقول لإخواننا الذين يتعجلون في أذان المغرب ولا يتثبتون فيوقعون المسلمين في الحرج عليكم بالتثبت وراقبوا الله جل وعلا فمعرفة الوقت وضبطه أمانة عظيمة سيترتب عليها عبادات كثيرة إذ قد تفطر مجموعة بسبب هذا الأذان وقد تصلي نساء في غير الوقت وهكذا.

٥ ـ بعض الناس يتبعون الإمام الذي يخفف في الصلاة فيهجرون مساجدهم القريبة ويذهبون لمساجد بعيدة وهنا نهمس في أذن هؤلاء ونقول الأولى لكم أن تصلوا في مسجد الحي الذي تصلون فيه الأوقات الأخرى لأن جماعة المسجد يشجع بعضهم بعضاً ويكثر عددهم وفي هذا تشجيع لأولادهم وإمامهم.

ونقول لإمام الحي الذي يذهب عنه بعض جماعته ابحث عن الأسباب وأصلحها وإذا كنت ممن يطيل إطالة ترهق الناس فخفف وعليك بالوسط فخير الأمور أواسطها.

ونقول للإمام الذي يخفف فيخل بالصلاة اتق الله فهذه أمانة ستسأل عنها يوم القيامة وحذار أن تغتر بكثرة الجماعة ومجيئهم لك من بعيد فقد يكون ذلك فتنة لك والعياذ بالله.

واحرص على القراءة الواضحة الخاشعة وأتم الركوع والسجود وجميع الأركان وحافظ على الطمأنينة لتسلم يوم أن تسأل عما استرعاك الله عليه.

٦ ـ بدأت في السنوات الأخيرة ظاهرة لها جانبان سلبي وإيجابي هذه الظاهرة هي طول دعاء القنوت والختمة وتنويعه واختيار السجع المتكلف فيه بل وقراءته من ورقة أحياناً، ونقول لهؤلاء إن الاقتصار على ما ورد أفضل ولا حرج أن يكون معه غيره من الدعاء المشروع لكن أن يجاوز ذلك وقت الصلاة كلها أو يماثله فهذا ما لا نعرف له أصلاً من كلام أهل العلم.

لقد صليت ذات مرة مع إمام هداه الله وعافنا مما ابتلاه. كانت صلاته سريعة جداً لا يطمئن فيها ولا يقيم الركوع والسجود على الوجه المطلوب ولما بدأ بالقنوت أخذ يمد ويعيد ويردد حتى مل الناس من صنيعه وكانت

صلاته نصف ساعة وقنوته في حدود ربع ساعة إن الذين لن يؤثر فيهم القرآن ويؤثر فيهم هذا الدعاء المسجوع المتكلف يخشى عليهم فالله قال عن كتابه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ونفس الكلام نقوله في دعاء ختم القرآن فالله الله أخي الإمام بالاتباع واحذر الابتداع وما ليس فيه سنة ثابتة لا تلتزمه وعليك بالعمل بالسنة وإحيائها وتعويد جماعتك عليها لأنها تصبح مألوفة لهم أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا وإياك للخير وأن يأخذ بأيدينا جميعاً لما فيه صلاحنا وفلاحنا وفوزنا يوم القيامة.

اللهم اسلك بنا سبيل المتقين الأخيار.
وجنبنا طريق العصاة والفجار والكفار.
وأسكنا فسيح الجنان وباعد بيننا وبين النار.
وخفف عن ظهورنا من ثقل الأوزار.
وسامحنا وتجاوز عنا يا عزيز يا غفار.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين(١).



(١) مجالس شهر رمضان ص١٢٧. الصيام محدثاته وحوادثه ص٣٦.

المجلس الثلاثون

فصل في:

- صدقة الفطر.
- ووداع رمضان.

صدقة الفطر

الحمد لله الذي فرض الزكاة طهرة وتزكية للنفوس والأموال ووعد على الإنفاق في سبيله خلفاً عاجلاً وثواباً في الحال والمآل، أعطى الكثير وفرض القليل ليتبين أهل البخل من أهل السخاء والكمال نحمده ونشكره على ما أولاه من النعم ودفع من النقم فله الحمد المطلق الكامل لأنه الكبير المتعال. لقد أكرمنا بالإسلام والإيمان والصحة في الأبدان والأمن في الأوطان والأزواج والعيال، لا يحصى ثناء عليه فهو الرحيم بأوليائه المنتقم من أعدائه شديد المحال.

وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم تتراكم فيه الخطوب والأفزاع والأهوال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بأشرف الخصال، إمام الموحدين وقدوة المتعبدين فهو الأسوة في جميع الأعمال، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه واجمعنا بهم يا ذا الكرم والإجلال.

أيها الإخوة في الله:

حديثنا هذه الليلة بمشيئة الله حول صدقة الفطر فنقول صدقة الفطر هي الصدقة الواجبة على أعيان المسلمين بحلول عيد الفطر المبارك شرعها الرسول ﷺ لهذه الأمة بعد أن فرض عليها الصيام وسميت بذلك لأنها تجب بالفطر أي يوم العيد وقيل لأنها صدقة للخلقة أي الفطرة تطهيراً للصائم وجبراً لصيامه.

وهي صدقة بدن متعلقة بكل بدن من أبدان المسلمين صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً أحراراً وعبيداً، وهي واجبة على كل مسلم بدليل ما رواه ابن

عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»(١).

ولهذه الصدقة فضل عظيم حيث أناط الله بها وبصلاة العيد بعدها فلاح المؤمن وفوزه بسعادة الدارين فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]، ووصفها نبي جد الرحمة بأنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وهذا مبني على أن فلاح العبد متوقف على زكاة نفسه وطهارتها بما شرع الله من صالح الأقوال والأعمال وزكاة الفطر من بينها فهي مما يؤهل المسلم لأن ينال فلاح الآخرة وفوزها وكفى هذا شرفاً وفضلاً. ولعل من أبرز معالمها التشريعية وأسرارها الظاهرة أنها تزكي نفس المؤمن وتطهرها مما قد يعلق بها من آثار اللغو والرفث أثناء صيام رمضان.

وأنها تصون كرامة المؤمن وتحفظ له عزته فالمؤمن الجائع قد يضطره جوعه إلى أن يسأل الناس يوم العيد وفي ذلك من الذلة والانكسار ما يتنافى مع عزة المؤمن وبهجة العيد وسروره.

وأنها تحافظ على المجتمع المسلم مترابطاً متعاوناً متكافلاً يشعر الغني بشعور الفقير ويحس بإحساسه يمثلون بنياناً واحداً يشد بعضه بعضاً وهنا لا مجال للحقد والحسد ولا للضغينة والبغضاء لأن الغني يبذل للفقير فيدعو الأخير للأول بالبركة في المال والرزق.

وعلى المسلم أن يخرج الغالب من طعام أهل بلده من تمر أو أرز أو بر أو زبيب أو أقط أو غير ذلك المهم أن يكون طعاماً للآدميين ولا يجوز إخراجها من الثياب والفرش والأواني وسائر الأمتعة.

كما لا يجزئ إخراج القيمة لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ.

ولأنه لا يسوغ لنا أن نغير وقتها فكذا لا نغير جنسها. ولأن إخراجها

---

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/ ٦٨.

نقوداً يبعدها عن كونها شعيرة ظاهرة يحسن بالمسلم ان يكيلها أمام أهل بيته ليروها ويسروا بإخراجها.

وقدرها كيلوان وربع الكيلو من البر الجيد أو ما يعادله لأن زنة الصاع بعد التتبع كيلوان وربع الكيلو وهناك من أهل العلم من أوصله إلى ثلاث كيلوات ومنهم من جعله كيلوين وأربعين غراماً والله أعلم بالصواب ووقت وجوب صدقة الفطر غروب الشمس من ليلة العيد فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا. فمن مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب فطرته ومن مات بعد الغروب وجبت.

ووقت إخراجها يوم العيد قبل الصلاة وهذا أفضل أوقاتها وللمسلم أن يخرجها قبل العيد بيوم أو يومين إذا كان إخراجها يوم العيد يشق عليه.

ومصرفها مصرف الزكاة فلا يسوغ للمسلم أن يصرفها في غير مصرفها الشرعي ونحن نلاحظ تساهل كثير من الناس في صرف صدقة الفطر فهذا يعطي جيرانه وذاك يعطي أقاربه وثالث يعطي أصدقاءه ولو كانوا كلهم غير فقراء والله جل وعلا حدد مصارف الزكاة وتولى قسمتها بنفسه لئلا يكون لأحد مطمع فيها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

شعراً:

دع البكاء على الأطلال والدار — واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذرف الدموع نحيباً وابك من أسف — على فراق ليال ذات أنوار
على ليال لشهر الصوم ما جعلت — إلا لتمحيص آثام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفاً — واسمع غريب أحاديث وأخبار
ما كان أحسننا والشمل مجتمع — منا المصلي ومنا القانت القاري
وفي التراويح للراحات جامعة — فيها المصابيح تزهو مثل أزهار
شهر به ليلة القدر التي شرفت — حقاً على كل شهر ذات أسرار
مُنَزل الروح والأفلاك قاطبة — بإذن رب غفور خالق باري

وداع رمضان

أخي الصائم:

من منا نحن المسلمين لا تؤلم نفسه لحظات الفراق ومن منا نحن المؤمنين لا تجرح مشاعره ساعات الغياب.

بدموع الفرح استقبلناه وكأنني بك تطلق العبرات والزفرات لسماع أول موعظة في أول الشهر وها أنت بدموع الأثر والتأثر تودعه وكأنني بك نادم كل الندم على التقصير.

أخي الصائم: وأنت تودع شهر الصيام تذكر أن رمضان جاء وها هو يذهب وقد طوى دفاتره وسوى حساباته ومن فاز بالربح وكسب الجولة وختم كشوفه مع من خسر الصفقة وغبن في البيع الحسنة تضاعف إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف لكنها في رمضان تضاعف إلى ما شاء الله لأن الصوم له وحده وهو الذي يجزي عليه.

ليقف كل واحد منا مع نفسه:

١ ـ كيف استقبل ضيفه.

٢ ـ هل أطعم جاراً هل زار أخاً في الله هل عاد مريضاً.

٣ ـ هل فطر صائماً.

٤ ـ هل نصر مظلوماً وأعانه على تخطي ظلامته.

٥ ـ هل مسح على رأس يتيم وآواه وما أكثرهم في عالمنا الإسلامي الواسع.

٦ ـ هل صادف ضالاً فعمل على هدايته وتوجيهه والأخذ بيده ليثوب إلى رشده.

٧ ـ هل جبر جرح مكسور وواساه وأدخل السرور عليه.

٨ ـ هل طيب خاطر محروم.
٩ ـ هل أصلح ذات البين وساهم في زرع السعادة في أسرة تفقدها.
١٠ ـ هل تذكر إخوانه المجاهدين هنا وهناك فادخر لهم شيئاً من كسب يده لعل الله أن يدفع به عنه مكائد الأعداء.
١١ ـ هل ساهم في إعانة شاب على الزواج ليحصن نفسه ويعفها عن الحرام.
١٢ ـ هل بر بوالديه وقام بصلة رحمه وقدَّر معلميه وحفظ عرض إخوانه.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها ونحن نودع هذا الشهر ليتبين الفائز من العاثر والرابح من الخاسر.

عباد الله:

اختموا شهركم بالتوبة النصوح واسكبوا غزير الدموع لعل الله أن يرحمكم برحمته الواسعة فكم من شخص جاء بالقليل وتوج بالقبول وكم من شخص عمل الكثير ولكنه مني بالحرمان والعياذ بالله.

السلام عليك يا شهر رمضان السلام عليك يا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن. السلام عليك يا شهر التجاوز والغفران. السلام عليك يا شهر البركة والإحسان. السلام عليك يا شهر التراويح. السلام عليك يا شهر الأنوار والمصابيح. السلام عليك يا شهر المتجر الربيح. السلام عليك يا شهراً يترك فيه القبيح.

شهر رمضان شهر العتق من النيران.

شهر تغل فيه مردة الجان.

شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من لم يتب في رمضان فمتى يتوب من لم يرجع إلى ربه في رمضان فمتى يؤوب. من لم يأخذ بحظ وافر في هذه الليالي فمتى يحصل على المطلوب.

سلام من الرحمٰن كل أوان ... على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه ... أمان من الرحمٰن كل أمان
لئن كنت يا شهر الصيام منوراً ... لكل فؤاد مظلم وجنان

ترحلت يا شهر الصيام بصومنا ... وقد كنت أنواراً بكل مكان
لئن فنيت أيامك الزهر بغتة ... فما الحزن من قلبي عليك بفان
عليك سلام الله كن شاهداً لنا ... بخير رعاك الله من رمضان

اللهم أهل القبور رهائن ذنوب لا يطلقون وأسارى وحشة لا يفكون وغرباء سفر لا ينتظرون محت دراسات الثرى ومحاسن وجوههم وجاورتهم الهوام في ملاحد قبورهم فهم جيران قرب لا يتزاورون وفيهم محسنون ومسيئون ومقصرون ومجتهدون اللهم فمن كان منهم مسروراً فزده كرامة وحبوراً ومن كان منهم ملهوفاً فبدل حزنه فرحاً وسروراً.

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في مثله فبارك لنا فيه وإن قضيت بقطع آجالنا فأحسن الخلافة على باقينا وأوسع الرحمة على ماضينا وعمنا جميعاً برحمتك وغفرانك. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].



(١) المغني ٣/ ٥٥، أخي الصائم ص٢٢٤.

الخاتمة

بحمد لله وتوفيقه تم ما أردت تسطيره من أحكام الصيام وآدابه وفوائده ومواعظه.

وقد تجولت بالقارئ والمستمع خلال ثلاثين فصلاً من الأحكام والمواعظ والآداب والتوجيهات التي تهم المسلمين عامة صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً حكاماً ومحكومين وما كتبته فهو جهد المقل وما كان فيه من صواب فهو تسديد من الله وما كان فيه خلاف ذلك فهو من نفسي ومن الشيطان.

على كل مسلم ناصح يقف على شيء منه أن يفيدني وله مني الدعاء بالتوفيق والسداد.

أسأل الله جل وعلا أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يثقل به ميزاني يوم العرض عليه وأن يعيذني من فتنة القول وفتنة العمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢] وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كتاب

فيض الرحيم الرحمن

في أحكام ومواعظ

رمضان

الجزء الثاني

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فنظراً لرغبة الأئمة، حيث درجوا على أن يقرءوا على المسلمين بعض الدروس في رمضان، والتي تفيد المسلم في شؤون دينه ودنياه وتلك سنة حميدة؛ لأن الناس يقبلون في هذا الشهر على سماع المواعظ والتأثر بها.

وقد كان للقسم الأول الذي وضعته لهذا الغرض أثر كبير ولله الحمد، مما جعل الكثيرين يلحون عليّ بوضع دروس تقرأ بعد العصر وآخر الليل؛ ولذا قمت بوضع هذه الدروس وركزت فيها على الأخلاق الفاضلة لما لها من أهمية عظمى في حياة المجتمع المسلم.

فالأخلاق أرض خصبة تنمي قيمتنا وترفعنا من عال إلى أعلى، والأداء الدائم لها يجعل الإنسان حكيماً شجاعاً في خصومته، كريماً في رخائه،

والالتزام بأخلاق الرسول ﷺ يطهر قلوبنا وألسنتنا من كل شيء بذيء ويطهر أنفسنا، ويجعلها ترقى إلى أعلى درجة في حسن التعامل مع غيرنا، خاصة إذا عشنا أخلاق الرسول ﷺ وأخلاق أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ تطبيقاً وواقعاً والتزمنا حديثه ﷺ الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

وركزت أيضاً على الأخلاق الذميمة الشائعة في المجتمع لما لها من ضرر كبير وعاقبة وخيمة على الأفراد والمجتمعات، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول آخر:

إذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلا

ولما كان للناس فيما بينهم حقوق وواجبات من خلال الصلات التي بينهم كالأخوة، والجوار، والأبوة، والبنوة، والزواج فقد آثرت أن أتحدث عن أهم هذه الحقوق الواجبة عليهم تجاه بعضهم البعض.

والمرء إذا أراد أن ينجو من عذاب الله يوم القيامة وأن يغفر الله له ويوفقه في الطاعة ويبارك له في كل شيء فعليه أن يحاسب نفسه كل يوم قبل أن ينام، وينظر في صفحة يومه، فإن وجد خيراً فليحمد الله وإن وجد غير ذلك فليبادر بالتوبة ويقبل على فعل الخيرات والأعمال الصالحة.

وليكن حيث أمره الله وليفتقد حيث نهاه الله وليزهد في الدنيا وزينتها الفانية، وليعمل للآخرة ونعيمها الدائم ويستعد للقاء الله سبحانه وتعالى، ويكثر من الدعاء أن يوفقه الله لذلك وأن يتغمده برحمته وأن يفقهه في الدين؛ لأنه إذا واظب على دروس العلم وأقبل عليها وصار يسمع للعلماء خاصة المحققين منهم استطاع بفضل الله تعالى من خلال هذا العلم أن يعرف ما هو الطريق الذي يجب أن يسلكه إلى شاطئ السلامة.

---

(١) رواه البيهقي ١٠/ ١٩٢، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقد بينت ذلك ووضحت هذه المعاني العظيمة من خلال حديثي عن فضل العلم، والاستقامة، والدعاء والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، والإيمان بالقضاء والقدر وغيرها من الموضوعات التي جاءت في ثنايا هذه الدروس وقمت بتقسيم هذه الدروس إلى قسمين:

القسم الأول: ثلاثون درساً خاصة تقرأ بعد الصلاة العصر في رمضان، يقرأ الإمام كل يوم درساً واحداً.

القسم الثاني: عشرة دروس تقرأ في صلاة التهجد آخر الليل.

وقد اجتهدت في عزو الأحاديث وتخريجها والحكم عليها لتكون الموعظة سليمة مؤثرة.

وفي نهاية عملي هذا أدعو الله ﷻ أن يجعله في ميزان الحسنات، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

الزلفي ـ مساء الأربعاء ٣/ ٢/ ١٤١٧هـ ص.ب ١٨٨

الأخلاق الفاضلة

يقول الله تعالى مبيناً أن المرء ينال الدرجات العلى في الجنة بسبب الأخلاق الفاضلة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وأخبرنا الرسول ﷺ بأن أحب الناس إليه أصحاب الأخلاق الحسنة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً**...»[١].

ويثقل ميزان العبد بحسن خلقه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»[٢].

وبحسن الخلق يرضى الله سبحانه وتعالى على العبد ويحبه ثم يحبه الناس بحسن تعامله معهم، وعظيم خلقه، وكثرة حيائه، وقلة أذاه، وكثرة صلاحه وصدق لسانه، وقلة كلامه، وقلة زلله، وزهده فيما في أيديهم، وثقته فيما في يد الله سبحانه، وحسن بره، وعظم وقاره، وصبره، وشكره، ورضاه وحلمه، ووفائه، وعفته، وبسط وجهه، واجتنابه المحارم، وطلبه الحلال لا يتكلف في امتثال هذه الأخلاق الحسنة، بل هو يقتدي بالرسول ﷺ في جميع سلوكياته. ليس لعّاناً، ولا سباباً، ولا نماماً، ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً، ولا حسوداً، يحب في الله، ويبغض في الله.

---

(١) رواه البخاري ٤/٢١٨، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود ٥/ ١٥٠ ح (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩١١ برقم (٤٠١٤).

وإنّ منبع ومصدر هذه الأخلاق كلها الأسوة الحسنة والمثل الأعلى رسولنا ﷺ الذي قال عن نفسه فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١)؛ حيث إنه ﷺ لا يمكن أن يتخلى عن خلق من أخلاقه قط مهما كانت الظروف والأهوال، وأيّاً كانت معاملة الناس حتى لو آذوه، وطردوه وعذبوا أصحابه وأتباعه.

فها هو صلوات الله وتسليماته عليه يطلب من ابن عمه علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة أولاً: من أجل أن يُعمّي على الكفار، وثانياً: من أجل أن يرد أمانات أهل مكة إلى أصحابها، علماً أنهم يضيقون الخناق على دعوته ويؤذون أصحابه ويتهمونه بالسحر، والكذب، والكهانة، لكن الرسول ﷺ لم يستغل الموقف لصالحه ويأخذ هذه الأموال بدون أن يراه أحد من قريش وهو خارج من مكة إلى المدينة ويتخلى عن خلق مثل خلق الأمانة، وحاشاه صلوات ربي وتسليماته عليه أن يفعل ذلك، بل تمسك بأخلاقه في كل وقت وفي كل حين وفي جميع الظروف.

على العكس من بعض الناس الذي يتنازل عن بعض أخلاق الإسلام مُدّعياً أن الظروف هي التي أجبرته على ذلك.

وقد أوضح الرسول ﷺ أن المؤمن يمكن أن يتخلى عن بعض أخلاقه في حديثه الذي رواه عنه صفوان بن سليم رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: «**أيكون المؤمن جباناً؟** قال: **نعم، أيكون المؤمن بخيلاً؟** قال: **نعم...**»(٢).

لكن المؤمن الحق هو الذي يقتدي بالرسول ﷺ في كل شيء ولا يترك خلقاً من الأخلاق قط، قائلاً: إن الداعي لذلك سوء معاملة الناس له، بل عليه أن يفعل مثلما كان يفعل الرسول ﷺ بأن يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه.

---

(١) رواه البيهقي ١٩٢/١٠، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك ٦١٣/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، ص٩٩٠، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب برقم (١٩)، وقال ابن عبد البر: لا أحفظ هذا الحديث من وجه ثابت وهو حديث حسن مرسل.

الدروس الخاصة

التي تقرأ بعد صلاة العصر

الدرس الأول

الاتحاد والتحذير من التفرق

ومن هذه الأخلاق الفاضلة التي سنتحدث عنها إن شاء الله (الاتحاد والتحذير من التفرق».

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين بالإسلام وأمر بالاتحاد والتعاون، ونهى عن التفرق والتنازع في كتابه المبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين، وأشهد أن محمداً رسول الله ذو القلب الرحيم والخلق الكريم، اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين طابت نفوسهم وصفت قلوبهم فكانوا هم السعداء الفائزين. أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ودعانا النبي ﷺ إلى الوحدة والاعتصام، والتواد والتحاب مبيناً أن المؤمنين جميعهم جسد واحدٌ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١].

فالإسلام هو حبل الله القوي، والحق الواضح، من التزام أوامره فاز وسعد، ومن امتثل آدابه حظي بخيري الدنيا والآخرة، ومن تمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم.

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٩٩٩، ٢٠٠٠ ح (٢٥٨٦).

وإن الله سبحانه وتعالى قد أوجب علينا أمراً عظيماً إن نحن أطعنا الله فيه نُلنا من الخير ما نحب وبلغنا من الفلاح الغاية التي نطلب؛ ذلك أن تتحد قلوبنا، وتتألف نفوسنا، ونتعاون على الخير فيما بيننا، يكون تعاوننا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، فإن أساس كل نجاح وسعادة وتقدم ورُقي، الاتحاد والتعاون، وما حظيت أمة من الأمم برغد من العيش، ولا فاز شعب من الشعوب بالتقدم إلا باتحاد القلوب واجتماع الكلمة والتعاون على ما يصلح الفرد والمجتمع والتضامن للقيام بكل عمل مفيد.

فالمسلم الحق هو الذي لا يألو جهداً في مساعدة أي محتاج، بل هو حريص كل الحرص على التعاون مع الآخرين وعمل الخير في كل مكان، وهو يتحرك من خلال منطلق إيماني يدعوه إلى ذلك، وهذا المنطلق نابع من الإسلام الذي ينهى عن التهاجر والتقاطع والبغضاء والحقد والحسد، ويأمر بالاجتماع والائتلاف وينهي كذلك عن التفريق والاختلاف قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

واعلم أخي المسلم أن الفرقة هي مآل كل شقاء وخسارة وندامة، بل إن المسلمين إذا تفرقوا ضعفوا، وما استطاعوا الانتصار على عدوهم حيث أصبحوا لقمة سائغة سهلة؛ لأن بقلتهم وتفرقهم يمثلون ضعفاً ووهناً عظيماً، على العكس لو كانوا مجتمعين؛ فإنهم يمثلون قوة عظيمة ولا يستطيع أحدٌ أن ينال منهم حيث إنهم يملكون سلاحاً لا يملكه غيرهم وهو الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إذن فالإصلاح بين الناس، والتآلف بين المؤمنين، والاعتصام بحبل الله المتين، والاجتماع على كلمة واحدة من أفضل الخصال المنجية من عذاب الله يوم القيامة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيه بالاتحاد وينهى فيه عن التهاجر يقول فيه: «**لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا**

عباد الله إخواناً»[1]، ويقول أيضاً ﷺ فيما روى عنه أبو أيوب الأنصاري: «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2].

وإن من الأمور التي تزيد الود والمحبة بين الناس أن يبدأ المسلم أخاه المسلم بالسلام، وأن يناديه بأحب الأسماء إليه، وأن يوسع له في المجلس.

وإن من أعظم الأمور خطراً والتي تزيد الحقد والبغضاء والتفرق والتشاجر والتشاحن بين الناس، الغيبة والنميمة وسوء الظن.

فليجتنب المرء ما يجعل بينه وبين الناس عداوة، وليحافظ على ما يزيد الاتحاد بينه وبين الناس ويجعل علاقته بهم ذات أواصر قوية.

فعلينا أيها الأحبة في الله أن نزيل ما في قلوبنا من حسد وبغضاء وشحناء، وحقد وتهاجر، وعلينا أن لا نشمت أعداءنا فينا بالتفرق، وأن نغيظهم بالاجتماع والاتحاد والائتلاف، ولا ننسى أن الشيطان لما آيس أن يعبد في أرض هذه الجزيرة العربية الإسلامية، رضي بأن يُحرش بين المسلمين ويشن عليهم الغارات من جميع الجوانب، فمن اعتصم بالله وجاهد هذا العدو المضل المبين فاز وفلح، ومن اتبع هواه ولم يلتفت إلى ما أمره مولاه كان الهلاك أقرب إليه من حبل الوريد.

وعندما نقول: إن الاتحاد والتعاون ينتج عنهما كل سعادة ونجاح، نستدل لكم على ذلك بما كان للصحابة والتابعين والسلف الصالح من الشرف العظيم والعزة القوية التي قهروا بها الجبابرة، وأسقطوا عروش الظلم والاستعباد، ونشر لواء العدل والمساواة بين الناس في كل مكان.

وأن ذلك لم يكن بسبب كثرة عددهم، ولا قوة عتادهم، ولكنهم نالوا ذلك بتوفيق الله ومنته بفضل الاتحاد والتعاون والصدق والوفاء والإخاء. قال

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٩٨٦ ح (٢٥٦٣).

(٢) رواه مسلم ٣/ ١٩٨٤ (ح٢٥٦٠).

تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أيها المسلمون: إن في حوادث الأيام لعبراً كثيرة، وعظات نافعة، والحوادث ونوائب الدهر تمر بنا في كل يوم فهل من متعظ؟ وهل من معتبر؟ أما آن لنا أن نفيق من سكرتنا؟ وننتبه من غفلتنا؟ ونعلم أن سعادتنا متوقفة على الاتحاد والتعاون، وصفاء قلوبنا، وإخلاص بعضنا لبعض، وامتثالنا حديث النبي ﷺ الذي رواه عنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه والذي يقول فيه الرسول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(١).

أم أننا سنظل في تفريقنا وتخاذلنا وشقاقنا وحسدنا؟ لا ريب أن أقوى عامل على رفع شأن الأمم، وأعظم ساعد على نهوضها، ونيلها منتهى العزة والشرف هو اجتماع القلوب واتحاد الكلمة وحسن العلاقة بالله عز وجل.

فها هو ربعي بن عامر يدخل على رستم أمير الفرس في موقعة القادسية بكل عزة، وفخر، وهو يركب بغلته القصيرة، وسيفه يتدلى من جرابه يقطع السجاد الأعجمي وهو لا يعبأ بذلك، ثم يعبر له عن الفكرة التي يعتنقها والرسالة التي يدعو إليها كل مسلم بعزة قائلاً: «لقد ابتعثنا الله عز وجل لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل وسماحة الإسلام»(٢).

وما تفرقت أمة واختلفت كلمتها، وتنازعت في أمرها إلا اضمحل سلطانها، وزالت دولتها، وتبدل عزها ذلاً، ورفعتها انحطاطاً، وكان نصيبها الخسران المبين، والفشل الذريع.

أيها الإخوة الأحباب: إن العاقل من اتعظ بغيره، وفي الأيام السالفة الماضية لعبرة وعظة، فانظروا إلى ما كان عليه العرب في جاهليتهم كانوا على أسوء حال: حرب مستمرة نزاع دائم، تفرق مستحكم، يعتدي بعضهم على

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٩٨، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٣١٩.

بعض، يبطش القوي بالضعيف، حيث لا دين يزجره، ولا قانون يردعه ولا إنسانية تحجزه، ولا منصف يوقفه عند حده حتى سطع نور الإسلام فأضاء بلاد العرب، وارتجت لأجله بلاد الفرس والروم، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره على يد الصادق الأمين صلوات الله وتسليماته عليه، فانضم إليه العقلاء والتف حوله السعداء فنزع الله من قلوبهم داء العداوة والبغضاء، وطهرها بدواء الإخلاص والمحبة، فصاروا روحاً واحدةً في جسد واحد، ففازوا بخير عميم، وكان لدولة الإسلام على أيديهم العز الذي لا يداني، والسلطان الذي لا يضاهى؛ فقهروا الجبابرة، وانتصروا على الأكاسرة، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها لم تنكس لهم راية، ولم ينهزم لهم جيش، بل انتصروا في كل الوقائع وكان كل منهم يعمل بإخلاص لإعلاء الدين ورفع شأنه، ناسياً حظ نفسه، وناسياً كل مأرب شخصي.

وما حازوا ذلك إلا عندما اتحدت كلمتهم وخلصت نيتهم، وصفت سريرتهم، لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ينامون وقلوبهم نظيفة حتى إن أحدهم ليبشر بأنه من أهل الجنة بسبب ذلك؛ عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطُف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارّ تقلب على فراشه ذكر الله ﷻ وكبر حتى صلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث

مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك فلم أراك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رايت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك. وفي لفظ أحمد: وهي التي لا نطيق[(١)].

فنتمنى أن يكون المسلمون جميعهم كذلك لا يحملون في قلوبهم شيئاً على إخوانهم؛ لما في ذلك من الأثر العظيم على أعمالهم وحياتهم، بل وعلى عباداتهم حتى إن الأمر ربما يتعلق بمغفرة الله لهم ورحمته إياهم بسبب هذا الأمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين: يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا أو اركوا هذين حتى يفيئا**»[(٢)].

فإياكم إياكم والشحناء التي تجعل المرء مذموماً عند الناس بل ينفر منه الناس كل الناس حتى أقربهم إليه، بل ربما ضاع وفقد خير كثير للأمة بخلق ذميم مثل هذا وهم يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**»[(٣)].

فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأصلحوا قلوبكم يصلح الله أعمالكم، وأخلصوا أعمالكم يصلح الله أحوالكم، وارحموا ضعفاءكم يرفع الله

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣/١٦٦، من مسند أنس بن مالك، وأورده المنذري في الترغيب ٣/٥٤٨، ٥٤٩، وقال: رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتج بهم إلا شيخة سويد بن نصر وهو ثقة.

(٢) رواه مسلم ٣/١٩٨٨ ح (٢٥٦٥).

(٣) رواه البخاري ٢/٢٥٥، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر.

درجاتكم، وواسوا فقراءكم يوسع الله في أرزاقكم، وخذوا على أيدي سفهائكم يبارك الله لكم في أعماركم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمنّ علينا جميعاً بالهداية والتوفيق، وأن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وأقوم طريق وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه وشرعه، وأن يحفظ إمامنا وإمام المسلمين ويزيده توفيقاً وصلاحاً وأن يحقق على يديه الخير للبلاد والعباد وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا ومن له حق علينا، وأن يتقبل منّا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني

الحياء

الحمد لله الذي جمل الإنسان بالحياء ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق الذي عدّ الحياء شعبة من الإيمان، أما بعد:

فالحياء من الأخلاق العظيمة التي دعانا إليها الإسلام وحثنا عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

فمن القرآن يقول الله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

أما من السنّة فالأحاديث في ذلك كثيرة منها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك لتستحي حتى كأنه يقول: قد أضرَّبك، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[(١)].

فاعلم أخي المسلم أن هذا الخلق وهو الحياء له أثر عظيم على أخلاق المرء كلها، بل على إيمانه فلنمتثل الأسوة الحسنة والمثل الأعلى لنا في الأخلاق وخاصة في هذا الخلق، في نبينا محمد ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه»[(٢)]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الحياء

---

(١) رواه البخاري ٧/ ١٠٠، كتاب الأدب، باب الحياء.

(٢) رواه مسلم ٢/ ١٨٠٩ ح (٢٣٢٠).

والإيمان في قرن فإذا نزع الحياء تبعه الآخر»[١]، وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[٢].

يدل هذا الحديث على أن هذا الكلام وهو التخلق بخلق الحياء مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن حتى وصل إلى أول هذه الأمة، ومعنى هذا الحديث أن من لم يستح صنع ما شاء؛ فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر.

واعلم أخا الإسلام أن الحياء يقرب العبد من ربه ويجعل العبد دائماً في مراقبة مع الله تعالى في كل أفعاله يستحي أن يفعل المعصية، بل هو يستحي أن يقابل الله عز وجل يوم القيامة، وعليه ذنوب، يستحي في الدنيا من الحفظة أن يعمل شيئاً قبيحاً، إلى حد أنه يستتر في عوراته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً من شدة الحياء فهو يستتر في طعامه، وفي نومه، وفي خلائه، وفي جماعه مع أهله، وما ذلك إلا من الإيمان والورع والخوف من الله تعالى.

يوضح ذلك الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الحياء والعيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»[٣].

والحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٤]؛ فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص١٨٩.
(٢) رواه البخاري ٧/ ١٠٠، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
(٣) رواه الترمذي ٤/ ٣٧٥ ح٢٠٢٧، وقال: حديث حسن غريب.
(٤) رواه مسلم ١/ ٦٤ ح (٣٧).

الإيمان بهذا الاعتبار، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «من استحيا اختفى ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وقي»(١).

الثاني: ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان(٢)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قال: قلنا: يا رسول الله إنّا نستحي والحمد لله. قال: «**ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(٣).

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ونستعيذك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم حسّن أخلاقنا يا كريم وتجاوز عن سيئاتنا يا رحيم.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) جامع العلوم والحكم، ص١٩٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص١٨٨ ـ ١٩١.

(٣) رواه الترمذي ٤/ ٦٣٧ ح (٢٢٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٩٩ برقم (٢٠٠٠).

الدرس الثالث

العدل

الحمد لله الذي أعلى درجة المقسطين ومنحهم حبه ووعدهم بظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جعل العدل والمساواة من ركائز دولة الإسلام حين أنشأها فساد الأمن والطمأنينة بين الناس، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ويقول تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ بعبادة الله...**»[1].

فالله الله إذا قام العدل بين المسلمين، فالسعيد من عدل، والشقي من ظلم، العادل راضية عنه نفسه، محب له ربه، راض عنه قومه، والظالم أحل لنفسه شيئاً حرمه الله على نفسه وهو الظلم، فنفسه به شقية، والبشرية منه في بلية، عقاب الله له بالمرصاد: في الدنيا زوال العز وخراب الديار، وفي الآخرة النار، وبئس القرار، العادل لا يرعى إلا الله في عمله، فلا يحابي أحداً من الخلق؛ فإن دُعي إلى الشهادة أقامها بالقسطاس المستقيم لا يفرق فيها بين العدو والحميم، وإن دُعي إلى منصة القضاء استضعف الظلمة الأقوياء حتى ينتصر منهم للضعفاء، لا يفضل خصماً لماله وجاهه، بل كل الخصوم

(١) رواه مسلم ١/ ٧١٥ ح (١٠٣١).

أمامه سواء حتى يقضي بينهم بالحق، ويعطي كلاً ما استحق، سلطان الله قائم في نفسه، لا يخضع إلا لأمره، يد الله تؤيده، وجند الله يمده، أولئك عباد الله المخلصون، أولئك حزب الله المفلحون، أولئك الذين تقوى بهم الدولة، وتعزّ بهم الأمة، فتعيش عيشة راضية أفرادها وجماعاتها، فقراؤها وأغنياؤها، ضعفاؤها وأقوياؤها يعيشون على أنفسهم مطمئنين، وعلى أموالهم وأعراضهم آمنين[(١)]، وهم الذين قال فيهم الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ومن نماذج العدل الرائعة ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاءه رجل من أهل مصر وكان قبطياً وقال له: يا أمير المؤمنين، سابقت على فرسٍ ابناً لعمرو بن العاص فسبقته، فجعل يقمعني بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ ذلك أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن، فانطلقت منه، فهذا الحين جئتك.

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ـ وهو أمير على مصر ـ: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري: أقم حتى يجيء، فقدم عمرو فشهد الحج، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنة إلى جانبه، قام المصري فرمى إليه عمر بالدرّة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، فقال: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت واشتفيت، قال: ضعها على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع. ثم قال لعمرو: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[(٢)].

اللهم ائذن لشريعتك أن تحكم الأرض وأن تسود، اللهم مكّن لدينك في الأرض وافتح له قلوب الناس، اللهم اجعل العدل يسود بين الناس اللهم وفق

(١) إصلاح الوعظ الديني، ص٩٢.

(٢) منهاج المسلم، ص١٦٤.

ولاة أمور المسلمين للعدل في رعاياهم والرفق بهم والاعتناء بأمور دينهم ودنياهم، اللهم واجز ولاة أمرنا عنا خير الجزاء على ما يقومون به من تحكيم شرع الله، والعناية بالمقدسات ورعاية الحجاج، وزوار بيت الله العتيق ومسجد الرسول الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس الرابع

الرحمة

الحمد لله الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعد جنته للمتقين المؤمنين، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله أرسله رحمة للعالمين، الرحمة المهداة والنعمة المسداة، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء**»[(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[(٢)].

والرحمة وإن كانت رقة القلب، وانعطاف النفس المقتضي للمغفرة والإحسان؛ فإنها لن تكون مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها في الخارج[(٣)]، بل إنها ذات آثار خارجية، ومظاهر حقيقية تتجسم فيها في عالم الرؤية، ومن آثار الرحمة الخارجية؛ العفو عن ذي الزلة، والمغفرة لصاحب الخطيئة، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف وإطعام الجائع، وكسوة العاري، ومداواة المريض، ومواساة الحزين. كل هذه آثار من آثار الرحمة، وغيرها الكثير؛

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/٢٤٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٢) رواه الترمذي ٤/٣٢٣ ح (١٩٢٣)، وقال: حديث حسن.
(٣) منهاج المسلم، ص١٦٦.

لأن المؤمن إذا أراد أن يرحمه الله فليرحم الناس، وإن أراد أن يغفر الله له فليغفر للناس، وإن أراد أن يعفو الله عن زلاته فليعفو عن الناس، عن أبي هريرة ﵁ أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ وهو يُقبل الحسن فقال: إنّ لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال الرسول ﷺ: «**إنه من لا يَرحم لا يُرحم**»(١).

فتراحموا أيها الناس فيما بينكم وواسوا فقراءكم، واعطفوا على صغاركم، وارحموا الضعفاء وكبار السن والمرضى والأرامل والأيتام فبهم ترزقون، وبصلاحهم تنصرون، ومن أجلهم من العذاب ترحمون ألا تسمعون لقول القائل: «لولا شيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع؛ لصب عليكم العذاب صباً».

واعلموا أحبتي في الله أن الرحمة تجعل قلب العبد رقيقاً، ومن لان قلبه ورقّ استطاع أن يخشع في صلاته ويبكي عندما تمّر به آية من آيات العذاب وهو يقرأ القرآن، وإن لم يبك فإنه يستطيع التباكي، على العكس من القاسية قلوبهم اللاهين عن ذكر الله والخوف منه يقرؤون القرآن بألسنتهم، لا يعرف الخوف من الله لقلوبهم طريقاً، يسمعون آيات العذاب تمّر بهم ولا تؤثر فيهم وفهم على حالهم لا يتغيرون، ولا يبكون، لا يتباكون وإن كان عليهم أن يبكوا لفقدهم البكاء، ولكن أنى لهم ذلك؟

والقلوب لها أبواب والأبواب لها أقفال، والأقفال لها مفاتيح وهؤلاء أقفال أبواب قلوبهم قد صدأت، ومفاتيحها قد فقدت من طي النسيان، والبعد عن الله تعالى، فقسمت قلوبهم؛ فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة.

والرحمة إخواني في الله لا تتعلق بالإنسان فقط؛ حيث إنه يستطيع الدفاع عن نفسه ويستطيع الثأر والانتقام، بل الرحمة يجب أن تشمل جميع الكائنات التي خلقها الله ﷿ كالحيوانات والنباتات وغيرها من مخلوقات الله. وقارن أخي المسلم بين من يرحم حيواناً لا يعقل وانظر إلى الثواب الحاصل عن هذه

---

(١) رواه مسلم ٢/١٨٠٨، ١٨٠٩ ح (٢٣١٨).

الرحمة وبين من قسى على حيوان أيضاً والنتيجة الحاصلة من وراء ذلك.

أما عن الثواب الحاصل من الرحمة فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له**. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: **في كل كبد رطبة أجر**»[1].

أما نتيجة القسوة ففيها روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار**، قال: فقال والله أعلم: «**لا أنت أطعمتيها ولا سقيتيها حين حبستيها ولا أنت أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض**»[2].

فتخير لنفسك أخي المؤمن في أي الفريقين تحب أن تكون؟

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله شفيعاً لنا لا علينا، اللهم تغمدنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم املأ قلوب المسلمين بالرحمة والعطف والإخاء وانزع من قلوبهم الغل والحقد والحسد والبغضاء. اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين وضاق النفس، اللهم اجعلنا من عبادك الرحماء.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) رواه البخاري ٣/ ٧٧، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء.

(٢) المصدر السابق.

الدرس الخامس

الحلم

الحمد لله الحليم رب العرش الكريم ذي القوة المتين. وأشهد أن لا إله إلا الله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله ساد الناس بأخلاقه فكان يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ويقول تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢]، ويقول تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذة بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد! مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر بعطاء»(١)، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**(٢).

فكن رفيقاً أخي المسلم حليماً بالناس وليسع صدرك جهل الجاهلين وحقد الحاقدين، وحسد الحاسدين، وما عليك إلا أن تتضرع إلى الله وتطلب

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٤٠، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.

(٢) رواه مسلم ٣/ ٢٠٠٤ ح (٢٥٩٤).

منه الهداية لهم. وكن مخفض الجناح لإخوانك، واصبر على الجاهل وعلمه برفق وحكمة وموعظة حسنة مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ في فعله وخلقه مع الأعرابي الذي بال في المسجد وثار إليه الناس ليقعوا به في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه فقال لهم الرسول ﷺ: «**دعوه وأهريقوا ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[١].

فإذا غضبت أخي المسلم من شيء فتذكر ثواب الله على كظم الغيظ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء**»[٢].

اللهم قنط منا الشيطان كما قنطته من رحمتك، وآيس منا الشيطان كما أيسته من مغفرتك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم ارزقنا الصبر على ما يغضنا، ووفقنا للالتزام بالأخلاق الحسنى.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري ١٠٢/٧، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا**». **وكان يحب التخفيف واليسر على الناس**.

(٢) رواه الترمذي ٦٥٦/٤ ح (٢٤٩٣)، وقال: حديث حسن غريب.

الدرس السادس

العفة

الحمد لله الذي وعد من يستغني بالغنى ومن يستعفف بالعفة ومن طلبهما من غير الله ذل وضل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغني الكريم، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله عفّ نفسه عن الحرام وتورع عن الشبهات؛ فاستحق الفردوس الأعلى في الجنة، أما بعد:

فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، ويقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، ويقول تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أوصني وأوجز فقال النبي ﷺ: «**عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما تعتذر منه**»[١]، وقال الحسن البصري رحمه الله: «لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه»[٢].

من خلال النصوص السابقة ترى أخي المسلم أن العفة خلق له أثر عظيم على منزلة المسلم عند الناس فإن هو يئس فيما في أيديهم أحبوه، وإن هو طمع فيما في أيديهم أبغضوه.

---

(١) رواه الحاكم ٤/٣٢٦، ٣٢٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) هداية المرشدين، ص٩٧.

وترى أيضاً من خلال الأحاديث والآيات السابقة أن العفة لها مظاهر كثيرة فمنها: العفة عما حرم الله بأن يكف عما لا يحل ويبتعد عن كل ما يغضب الله من زنا، وفواحش وغير ذلك، وأن يغض بصره ويستعفف حتى يرزقه الله ﷻ مؤونة الزواج؛ فيتزوج ويحصن نفسه، ومنها العفة عن المال الحرام والتي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

ومنها: العفة عما في أيدي الناس، فكن أخي المسلم عفيفاً مستغنياً عما في أيدي الناس؛ لتبقى عندهم سيداً محبوباً جليلاً مهيباً ينتفع بك، واعلم أنك إذا طمعت فيما في أيدي الناس فقد بعت دينك بدنياك وأصبحت لديهم محتقراً مهيناً، ممقوتاً، ثقيلاً، مرذولاً، وهان عليك كل ما تلاقيه من أنواع الذلة والإهانة في سبيل الحصول على ذلك الحطام الفاني، وهذا يا أخي هو السقوط الذي لا خلاص منه والفقر الذي لا غنى معه.

فكن نزيه النفس عن شبه المكاسب واكتف بالميسور عن ذل المطالب؛ فإن شبه المكتسب إثم، وكدّ الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعزّ أليق به من الذل[1]، وصدق من قال:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإنّ ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ... إلا بإذن الذي سواك من طين
فلا تصاحب غنياً تستعز به ... وكن عفيفاً وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإن رزقك بين الكاف والنون

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ولا تكلنا إلا إليك، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين حتى لا نذل، اللهم ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك يا كريم.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) هداية المرشدين، ص٩٧.

الدرس السابع

القناعة

الحمد لله القائل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ﷻ يعطي ويمنع ويجود ويصفح، خيره إلى العباد نازل فمنهم شقي وسعيد، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله رضي من الدنيا بالقليل فكتب الله له السعادة في الدنيا والآخرة؛ لأنه لم يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة الله ﷻ، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **وارض بما قسم الله تكن أغنى الناس...**»(١).

وعدّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه القناعة من مظاهر التقوى وأساسيتها فقال: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل».

فكن أخي الحبيب راضياً بما قسم الله ولو كان قليلاً يبارك الله لك فيه، واقنع بذلك بقلب راض مطمئن، وإياك والطمع والحرص على الدنيا أو الانهماك في طلبها واحذر ذلك حذراً شديداً؛ لأنه ربما يؤدي بك إلى أن تحصل رزقك مما حرّم الله لتكثر أموالك.

فالمؤمن الواعي الفطن الذي يبتغي مرضاة الله تعالى هو الذي يتحرى الحلال في كل شيء خاصة في رزقه ليكون مجاب الدعوة ويبتعد عن الحرام

(١) رواه الترمذي ٤/٥٥١ ح (٢٣٠٥)، وقال غريب منقطع.

مهما كثر، لقد كانت الصحابيات رضي الله عنهن يُوصين أزواجهن وهم ذاهبون إلى العمل فكانت الواحدة منهن تقول لزوجها: يا عبد الله، أطعمنا من حلال ولو قليل يبارك الله لك، وإياك والحرام وإن كثر فإننا نصبر على جوع الدنيا ولا نصبر على عذاب الآخرة.

واعلم أخا الإسلام أن خزائن الله لا تنفد وأن كل شيء يسير بأمره سبحانه فلا تعبأ بأمور الدنيا وكن قنوعاً بنصيبك في كل شيء، فلقد مرّ أحد الصالحين على رجل مهموم فسأله قائلاً: يا هذا هل ينتقص من عمرك لحظة كتبها الله لك؟ قال: لا، قال: هل ينتقص من رزقك درهماً واحداً كتبه الله لك في رزقك؟ قال: لا، قال: هل يحدث في الكون كله أمر بدون إرادة الله؟ قال: لا، فقال له: علام الهم إذن؟

واعلم أخي في الله أن الحرام لا يبارك الله فيه مهما كثر، وصدق من قال:

جمع الحرام على الحلال ليكثره   جاء الحرام على الحلال فبعثره

والمرء وإن كان يملك أشياء قليلة في قيمتها ومستواها ونوعها إلا أنها ذات قيمة عالية في عين المؤمن الرضي بما قسم الله؛ لأنه ينظر إلى ما يمتلكه نظرة طيبة عظيمة بأن هذا الشيء وإن كان قليلاً فهو يغنيه عن سؤال الناس ويقتنع به ويرضى، بل هو في أشد السعادة بهذا الممتلك القليل، كان محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ، يبل الخبز بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

لذا قال بعض الحكماء: «وجدت أطول الناس همّاً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، . . .»[1].

أيها الناس اقنعوا بما قسم الله لكم ولا تجتهدوا في جمع الدنيا؛ لأنكم لن تأخذوا منها إلا شيئاً من القماش يكون كفناً لكم، واعلموا أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، واسمعوا قول القائل:

---

(١) هداية المرشدين، ص٩٨.

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير الزاد والكفن
خذ القناعة من دنياك وارض بها لو لم يكن لك إلا راحة البدن[١]

اللهم ارزقنا القناعة واجعلها لنا بضاعة، اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) موارد الظمآن ٥/ ١٣٢.

الدرس الثامن

الإحسان

الحمد لله الذي وعد المحسنين بالجنة وتفضل عليهم بأن يروا وجهه الكريم يوم القيامة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله خير من أحسن إلى الناس مع إساءتهم إليه؛ لأنه كان يعمل ما يقربه إلى الله وإلى الجنة، أما بعد:

فقد ذكر الإحسان في القرآن الكريم في مواضع عدة؛ فتارة مقروناً بالإيمان كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣]، وتارة مقروناً بالإسلام كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان: ٢٢]، وتارة مقروناً بالتقوى كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦]، والآيات في الإحسان كثيرة.

أما من السنّة: فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»[(١)]، وكانت إجابة النبي ﷺ على سؤال جبريل عندما سأله ما الإحسان؟ فقال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

فأنت أيها المسلم إذا أمرت بمراقبة الله في العبادة أيّاً كان نوعها،

(١) رواه مسلم ٢/١٥٤٨ ح (١٩٥٥).

واستحضار قربك منه حتى كأنك تراه، فإنه قد يشق عليك ذلك فتستعين على ذلك بإيمانك بأن الله يراك، ويطلع على سرك، وعلانيتك وباطنك وظاهرك ولا يخفى عليه شيء من أمرك[١].

فقد قال بعضهم: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي من الله على قدر قربه منك[٢].

والإحسان في العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك هو استكمال شروطها، وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها.

وأما الإحسان في المعاملات فهو للوالدين ببرهما وطاعتهما، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

والإحسان للأقارب ببرهم ورحمتهم، والعطف عليهم، وترك ما يسيء إليهم، أو يقبح قولهم، أو فعله معهم[٣].

والإحسان لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم، وعدم قهرهم، والهش في وجوههم، والمسح على رؤوسهم.

والإحسان للمساكين بسد جوعتهم، وستر عورتهم، والحث على إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم، فلا يحتقرون، ولا يزدرون.

والإحسان لابن السبيل بقضاء حاجته، ورعاية ماله وإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضل.

والإحسان إلى الخادم بإيتائه أجره قبل أن يجف عرقه، وعدم إلزامه ما لا يلزمه، وتكليفه ما لا يطيق، وأن يطعم مما يطعم منه أهل البيت إن كان خادماً للبيت وكسوته مما يكسبون.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص٣٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) منهاج المسلم، ص١٦٩، ١٧١.

والإحسان إلى الحيوان بإطعامه إن جاع والرفق به إن عمل وإراحته إن تعب ومداواته إن مرض.

اللهم اجعلنا من المحسنين، وشفع المحسنين منا في المسيئين، وتجاوز عن سيئاتنا وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا من الشاكرين لنعمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس التاسع

الصدق

الحمد لله الذي جعل الصديقين في منزلة بين النبيين والشهداء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الودود اللطيف الكريم، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الصادق المصدوق الذي ما جُرب عليه كذب قط حتى قبل بعثته؛ فاستحق أن يطلق عليه الصادق الأمين، أما بعد:

فيقول الله تعالى آمراً بالصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، ويقول تعالى في الثناء على أهل الصدق: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١).

أخي المسلم: إن الاستمساك بالصدق في كل شأن وتحريه في كل قضية والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة وأساسية في خلق المسلم وصبغة ثابتة في سلوكه، أما الكذب أو خلف الوعد، والتدليس، والافتراء فهي أمارات النفاق، وعلامات تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها.

والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به فحسب، بل إنه يذهب إلى أن الصدق من متممات الإيمان، ومكملات الإسلام كما أوضحت النصوص السابقة التي تناولناها.

---

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠١٣ ح (٢٦٠٧).

وإذا كانت هناك أعذار لمن يخاف أو يبخل أو غير ذلك، فلا عذر البتة لمن يتخذ الكذب خلقاً يعيش به على خديعة الناس، عن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**»(١)

واعلم أخي في الله أن للصدق ثمرات يجنيها الصادقون، منها:

١ ـ راحة الضمير وطمأنينة النفس، عن الحسن بن علي ﵁ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «... **الصدق طمأنينة**...»(٢).

٢ ـ البركة في الكسب، وزيادة الخير، عن حكيم بن حزام ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**، أو قال: **حتى يفترقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»(٣).

٣ ـ الفوز بمنزلة الشهداء: عن سهل بن حنيف ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٤).

٤ ـ النجاة من المكروه: يروى أن والياً خطب يوماً فأطال الخطبة فقال أحد الحاضرين: الصلاة! فإن الوقت لا ينتظرك، والربّ لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون فقال الوالي: إن أقر بالجنون خلصته من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لي أن أجحد نعمة الله التي أنعم بها عليّ وأثبت لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها، فلما رأى الوالي صدقة خلى سبيله.

وإن أردت معرفة صدق أحد الناس فلا يمكنك ذلك إلا إذا كان هذا الشخص متصفاً بالصدق في أمور عدة، منها:

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٥٢، وقال الساعاتي في الفتح الرباني ١٩/ ٢٦٤: هو منقطع وله شاهد يؤيده من حديث سعد بن أبي وقاص، رواه البزار وأبو يعلى بسند صحيح.

(٢) رواه الترمذي ٤/ ٦٦٨ ح (٢٥١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٠، كتاب البيوع، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ونصحا.

(٤) رواه مسلم ٢/ ١٥١٧ ح (١٩٠٩)، ولم يذكر أبو طاهر في حديثه لفظ: بصدق.

١ ـ **الصدق في الحديث**: فالمسلم إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع في نفس الأمر، إذ إن كذب الحديث من علامات النفاق كما بينا سابقاً، عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتُمن خان، وإذا وعد أخلف**»[(١)].

٢ ـ **الصدق في المعاملة**: فالمسلم إذا عامل أحداً صدق في معاملته فلا يغش ولا يخدع، ولا يزور، ولا يغرر بحال من الأحوال.

٣ ـ صدق العزم، فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو مبال بآخر حتى ينجز عمله، ودائماً ما يلجأ إلى الله ﷿ قائلاً: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل**» مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح كالحسن البصري، الذي عندما سئل عن أسباب زهده في الدنيا ذكر منها قوله«علمت أن لي شغلاً لن يشغله غيري فعملت به».

٤ ـ **صدق الوعد**: فالمسلم إذا واعد أحداً أنجزله ما وعد به، وقد كان رسول الله ﷺ يثمن الكلمة التي يقول، ويحترم الكلمة التي يسمع، وكان ذلك شارة الرجولة الكاملة فيه حتى قبل أن يرسل إلى الناس، فعن عبد الله بن أبي الحمساء ﵁ قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت، فإذا هو في مكانه فقال: «**يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك**»[(٢)].

٥ ـ **صدق الحال**: فالمسلم لا يظهر في غير مظهره، ولا يظهر خلاف ما يبطن، فلا يلبس ثوب زور، ولا يرائي، ولا يتكلف ما ليس له، عن عائشة ﵂ أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن زوجي أعطاني ما لم يعطني.

(١) رواه البخاري ٣/ ١٦٢، ١٦٣، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد.

(٢) رواه أبو داود ٥/ ٢٦٨، ٢٦٩ ح٤٩٩٦، وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ص٤٩١ برقم (١٠٦٢): ضعيف الإسناد.

فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»[(١)].

فهو بذلك يتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف، فإن توفرت هذه المظاهر في شخص ما فاعلم أنه صادق حقاً.

اللهم احشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم أجري الصدق على ألسنتنا، اللهم اهدنا لصالح الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم اجعلنا من المتقين الصادقين يا رب العالمين.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه مسلم ٢/ ١٦٨١ ح (٢١٢٩).

الدرس العاشر والحادي عشر

الكرم

الحمد لله الكريم رب العرش العظيم وعد المتصدقين بالأجر الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله فاق كرم أخلاقه أن عفا عن أعدائه بعد أن علت كلمة الله وملك الأمر في قريش؛ فإذا به يقول لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» كما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه[1]، أما بعد:

فالسخاء من أخلاق المسلم والكرم من شيمه، والمسلم نفسه طاهرة وقلبه مشرق بإيمانه بالله سبحانه وتعالى وعمله الصالح، وإشراق القلب وطهارة النفس يتنافى معها أن يتصف الإنسان بالشح والبخل.

والشح وإن كان مرضاً قلبياً عاماً لا يسلم منه البشر إلا أن المسلم بإيمانه وعمله الصالح كالزكاة والصلاة يقيه الله تعالى شر هذا الداء الوبيل ليعده للفلاح، ويهيئه للفوز الأخروي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فدعوة الإسلام إلى الجود والإنفاق مستفيضة مطردة، وحربه على البخل موصولة متقدة، ولا يوجد في الدنيا ولن يوجد نظام يستغني فيه البشر عن التعاون والتكافل الاجتماعي والمواساة والرحمة، بل لابد لاستتباب السكينة

---

(١) رواه البيهقي ٩/١١٨، وانظر سيرة ابن هشام ٤/٥٥.

وضمان السعادة من أن يعطف القوي على الضعيف، وأن يرفق المكثر بالمقل، ما دامت طبيعة المجتمع البشري أن تتجاوز فيه القوة والضعف والإكثار والإقلال.

والله ﷻ قد خلط الناس بعضهم ببعض وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختباراً عظيماً يمحص به الإيمان ويوزع به الفضل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وإنه لأمر شاق جداً على النفس أن ترى شخصاً مشقوق الثياب تكاد فتوته تكشف سوءته، أو حافي الأقدام أبلى أديم الأرض كعوبة وأصابعه، أو جوعان يمد عينيه إلى شتى الأطعمة ثم يرده الحرمان وهو حسير.

والذين يرون هذه الصورة المفزعة ثم لا يكترثون بها ليسوا بشراً في قلوبهم رحمة فبين البشر رحم يجب أن توصل ولا تمزقها الفاقة؛ خاصة وأن نبينا ﷺ المبعوث رحمة للعالمين قد دعانا إلى الكرم والجود وحثنا عليه في أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه ابن عباس رضي الله عنهما: «**إن الله تعالى جواد يحب الجود، ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها**»[1]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2]، **وعن عدي بن حاتم** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»[3].

وبما أن الإنسان قد جبل على حب المال والحرص الشديد على اقتنائه؛ لذا تجده يفكر في نفسه كثيراً وفي الآخرين قليلاً، ولو أن بعض الناس أوتي ما في الأرض جميعاً بل لو أنه امتلك خزائن رحمة الله لما طوعت له نفسه

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير، ص٦٩، واللفظ له، ورواه البيهقي في سننه ١٠/ ١٩١ وقال: هذا حديث مرسل.

(٢) رواه البخاري ٧/ ١٩٨، كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب.

(٣) رواه البخاري ٨/ ١٥٠، كتاب الاعتصام بالسنة، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى.

الشحيحة أن ينفق بسعة ولقامت له من طبيعته الضيقة علل شتى وأسباب كثيرة تضع في يديه الأغلال عن الإنفاق، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

إخوتي في الله: اعلموا أن الأموال المستخفية في الخزائن والمختبئ فيها حق المسكين والبائس، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة؛ إنها أشبه شيء بالثعابين الكامنة في جحورها كأنها رصيد الأذى للناس، بل إن الإسلام بيّن أنها تتحول فعلاً إلى حيات قد امرقت واحتدت أنيابها تطارد صاحبها لتقضم يده التي غلها البخل كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة، وإن من العجب أن يشقى امرؤ في جمع ما يتركه لغيره، وبذلك يصدق قول القائل: «البخلاء يبخلون على الناس ببعض أموالهم حتى إذا ماتوا خلفوا لهم جميع أموالهم».

إن كل ما يتعلق به البشر من حطام الدنيا سوف يتركونه لمالك السماوات والأرض وسينقلون إلى ربهم عراة لا مال ولا جاه كما خلقوا أول مرة وسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، فلا غرو إذا توعد الله من ينسى هذه الحقائق وينطلق في ربوع الأرض، لاهم له إلا جمع ما يضره ونسيان ما يفيده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ «عاد بلالاً فأخرج له صبرة من تمر فقال... **أنفق بلالاً ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً**»[2].

---

(١) رواه البخاري ٢/ ١٢٠ كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ...﴾.

(٢) رواه الطبراني ١٠/ ١٩٢، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢٦ وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وإن للكرم مظاهر كثيرة منها:

١ ـ أن يعطي الرجل العطاء في غير منّ ولا أذى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٢ ـ أن يفرح المعطي بالسائل الذي سأله، ويسر لعطائه، وفي هذا المعنى الطيب يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثة لا أعرف كيف أكافئهم، والرابع يكافئه عني ربي، فهو رجل نزلت به نازلة فرآني أهلاً لأن ينزلها بي ففعل».

٣ ـ أن ينفق المنفق في غير إسراف ولا تقتير قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤ ـ أن يعطي المكثر من كثيره والمقل من قليله في رضا نفس وانبساط وجه وطيب قول، قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

٥ ـ أن يكون كريماً ويتصدق عندما ينعم الله عز وجل عليه بالمال بعدما كان فقيراً، خاصة وأنه ذاق الحرمان ويعلم أن الحسنة بعشر أمثالها وأن الله سبحانه وتعالى مجازيه بالخير والرحمة على ما يقدم.

يروى أن الأغنياء ذهبوا يهنئون هارون الرشيد بالعيد فكان الواحد منهم إذا دخل على أمير المؤمنين هارون الرشيد وسلم عليه وهنأه بعيد الفطر أمر له هارون بأن تملأ له جرة ثلثها ذهب وثلثها فضة وثلثها طعام، وبعدما انتهى الأغنياء من تهنئتهم دخل رجل فقير فألقى عليه السلام وهنأه بالعيد، فسأله هارون من أنت أيها الرجل؟ فقال الرجل: أنا من الرعية التي يرعاها أمير المؤمنين. ثم سأله وما الذي جاء بك؟ فقال الرجل: جئت أنهل من بحر جودك يا أمير المؤمنين.

فأمر هارون بأن تملأ له جرة كاملة ذهباً فاعترض الأغنياء، إنه لا يعرف قدر الذهب يا أمير المؤمنين ولا يعرف كيف ينفقه، ولم يعبأ أمير المؤمنين باعتراض الأغنياء وأمر أحد الحراس أن يتبع الرجل ويراقبه من بعيد دون أن

يراه الرجل ليرى ماذا سيصنع الفقير بالذهب، وتبعه الحارس ساعة وعاد مهرولاً يقول: يا أمير المؤمنين لقد ذهب هذا الرجل إلى مكان يكثر فيه الفقراء وأخذ ينادي قائلاً: أيها الناس، أيها الفقراء هلموا إلى رزق الله، هلموا إلى حقوقكم، فاجتمع عليه ناس كثير وأخذ يقسم عليهم الدراهم درهماً درهماً فما أبقى لنفسه درهماً واحداً منها.

فقال هارون: أسرع بإحضاره فأحضره الحارس ومثل الرجل بين يدي أمير المؤمنين فسأله: أين المال؟ فقال الرجل: رجعت به إلى صاحبه يا أمير المؤمنين، فقال هارون: ومن صاحبه؟ قال الرجل: الرزاق ذو القوة المتين الذي رزقك به، فقال هارون: لنعاملنك بمعاملة القرآن حيث يقول الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ثم أمر الحارس أن يملأ له عشر جرات ذهب وأمره أن يتبعه أيضاً فتبعه الحارس وعاد إلى هارون ليقول له: يا أمير المؤمنين لقد عاد الرجل إلى سابقته، فأمره أن يحضره إليه فأحضره فسأله هارون: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فأنشد الرجل يقول:

يجود علينا الخيرون بمالهم ... ونحن بمال الخيرين نجود

وهكذا يجب أن نكون أخي المسلم منفقين في سبيل الله كرماء من أهل الجود، وأن نعمل على تنمية الأخلاق الفاضلة التي نريد أن نتخلق بها بإيراد خاطرنا على ما ورد في الشرع الحكيم من ترغيب في تلك الأخلاق وترهيب من ضدها.

فمن أراد تنمية خلق الكرم في نفسه فليعكف قلبه متأملاً متدبراً في مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

وليعلم المسلم أن بذل القليل اليوم سيرجع غداً أو بعد غد بالكثير، وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى العطاء الجميل قرضاً حسناً، لا يرده لصاحبه مثلاً أو مثلين بل يرده أضعافاً مضاعفة، وبين للعبد أن نفقته على غيره وسيلة لأن يغدق الله

تعالى على هذا العبد من خزائنه التي لا يلحقها نفاد، عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أَنفق أُنفق عليك. وقال: يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع**»(١).

اللهم اجعلنا من الكرماء الأسخياء الذين ينفقون في السراء والضراء، اللهم عاملنا بلطفك وكرمك يا أكرم الأكرمين، اللهم ارزقنا العافية في أبداننا والعصمة في ديننا وأحسن منقلبنا ووفقنا للعمل بطاعتك أبداً ما أبقيتنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) رواه البخاري ٥/٢١٣، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

الدرس الثاني عشر والثالث عشر

الصبر

الحمد لله ولي الصابرين وولي الذين آمنوا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بشر الصابرين بصلاته ورحمته وهداه، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله خير من صبر من عباد الله لإعلاء كلمة الله ونشرها في ربوع المعمورة كلها.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ويقول تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥]، ويقول تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**(١)، وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **والصبر ضياء**...»(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يصب منه»**(٣).

إن من محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها: الصبر واحتمال الأذى في سبيل الله تعالى.

أما الصبر فهو حبس النفس على ما تكره أو احتمال المكروه بنوع من

(١) رواه مسلم ٢/ ٢٢٩٥ ح (٢٩٩٩).
(٢) رواه مسلم ١/ ٢٠٣ ح (٢٢٣).
(٣) رواه البخاري ٧/ ٣، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض.

الرضا والتسليم، فالمسلم يحبس نفسه على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، ويلزمها بذلك إلزاماً ويحبسها دون معاصي الله ﷻ فلا يسمح لها باقترابها، ولا يأذن لها في فعلها مهما تاقت لذلك بطبعها وهشت له؛ فإنه إن فعل ذلك وأصبح أميراً عليها قادها إلى الجنة، أما إن تأمرت هي عليه قادته إلى نار جهنم بسبب كثرة ميلها إلى الشهوات والهوى.

والمؤمن يحبس نفسه على البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع ولا تسخط، وقد قال الحكماء: الجزع على الفائت آفة، وعلى المتوقع سخافة. وهو يستعين في ذلك بذكر الله تعالى، والجزاء الحسن على الطاعات وما أعد لأهلها من جزيل المثوبات والأجر وذكر وعيده تعالى لأهل معصيته من أليم العذاب وشديد العقاب، ويتذكر أن أقدار الله جارية وأن قضاءه تعالى عدل وأن حكمه نافذ صبر العبد أم جزع، غير أنه مع الصبر الأجر ومع الجزع الوزر.

والمسلم عندما يتحلى بهذا الخلق فهو يقتدي بالنبي ﷺ الذي صبر وصابر على أذى قومه في سبيل تبليغ دعوة الله ﷻ حتى إنهم وضعوا سلى الجزور على رأسه الشريفة ووضعوا على رأسه التراب وهو راكع، وضغط عقبة بن أبي معيط على عنق النبي ﷺ وهو ساجد حتى قال الرسول: «**ظننت أني قد قبضت**»، وأخرج الرسول ﷺ من بلده مكة وضيق الخناق على دعوته وأتباعه فذهب إلى الطائف عله يجد من يؤمن برسالته لكن سفهاء الطائف وصبيانها قذفوا الرسول ﷺ بالحجارة بتسليط من كبرائهم حتى سال الدم من عقبه الطاهر، ومع ذلك كله صبر وكان يصبّر أصحابه فيقول لبعضهم: «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**».

وهذا خباب بن الأرت رضي الله عنه يقول: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا فقال: **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى**

حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»(١).

ومع هذا الصبر العظيم تتمثل الأخلاق العالية الحميدة في قولته ﷺ التي رواها عنه ابن مسعود رضي الله عنه قائلاً: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

والصبر يقوم على حقيقتين هامتين:

أما الأولى فتتعلق بطبيعة الحياة فإن الله لم يجعلها دار جزاء وقرار بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر، وقد يكتب الله على البعض صنوفاً من الابتلاء ربما انتهت بمصارعهم، وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء بالصبر والتسليم، وما دامت الحياة امتحاناً فلنكرس جهودنا للنجاح فيها.

والحقيقة الثانية تتعلق بطبيعة الإيمان(٣).

فالإيمان صلة بين الإنسان وبين الله عز وجل وخضوع هذه الصلة للابتلاء ما هو إلا تمحيص لها؛ فإما أن يكشف عن طيبها وإما أن يكشف عن زيفها، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ولكي تبين الحقيقتان يقوم الصبر ومن أجلهما يطالب الدين به بيد أن الإنسان، ومن عادته تجاهل الحقائق، يدهش للصعاب إذا لاقته، ويتبرم بالآلام إذا ما مسته، ويقوم له من طبعه الجزوع ما يبعض له الصبر ويجعله في حلقه كريه المذاق؛ فإذا أحرجه أمر، أو صدمته خيبة أو نزلت به كارثة،

---

(١) رواه البخاري ٨/ ٥٦، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٢) رواه البخاري ٤/ ٥١، كتاب الأنبياء، باب رقم (٥٤).

(٣) خلق المسلم، ص١٥٨.

ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت عليه الأيام مهما امتدت وحاول أن يخرج من حالته بأسرع من لمح البصر، وهي محاولة قلما تنجح؛ لأنها ضد طبيعة الدين والدنيا وأولى بالمسلم أن يدرب نفسه على طول الانتظار، قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧].

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الصادقة؛ فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله لم يستأجر له أطفالاً أو مرضى أو خوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة والمناكب الشداد، كذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة وأبطال صبارون، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أوتوا من مواهب ولما أدوا من أعمال؛ فالأنبياء هم أكثر الناس بلاءً.

عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة**»[1].

فأكثر الناس بلاءً هم الأنبياء بطبيعة مهمتهم في هذه الحياة وهي تبليغ دعوة الله ﷻ وهو طريق شاق حافل بالعقبات والأشواك، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان فحسب بل هي حقيقة كبرى ينبغي أن يعيها السالكون والسائرون على طريق الأنبياء والمرسلين، ولقد بين الله ﷻ أن أكثر الناس صبراً هم الأنبياء بل إن الصبر من أهم عوامل نجاحهم في دعوتهم قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

ونبي الله أيوب عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثلة في الصبر عندما صبر على بلاء الله مدة طويلة ثم رفع أكف الضراعة إلى الله ﷻ يسأله أن يكشف عنه

(١) رواه الترمذي ٤/٦٠١، ٦٠٢ ح (٢٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

هذا الضر والبلاء واستجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه أيوب عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ولنأخذ العبرة والعظة والدرس من نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام وما حدث له عندما ضاق صدراً بالقوم في لحظة من اللحظات وألقى عبء الدعوة وذهب مغاضباً، ضيق الصدر حرج النفس فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين، ولو لا أنه تاب إلى ربه واعترف بظلمه لنفسه ودعوته وواجبه لما فرج الله عنه هذا الضيق، يقول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

والذي ييأس في الضر من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة وكل نسمة رخية وكل رجاء في الفرج، ويستبد به الضيق ويثقل عن صدره الكرب فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء، إلا إنه لا سبيل لاحتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله ولا سبيل إلى الفرج إلا بالتوجه إلى الله ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضر والكفاح للخلاص إلا بالاستعانة بالله، وكل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا زيادة الكرب ومضاعفة الشعور به والعجز عن دفعه بغير عون الله سبحانه وتعالى.

أما الذين صبروا على بلاء الله وعلى فتنة الناس وفتنة النفس وجاهدوا في سبيل الله فأولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع أعمالهم ولن ينسى جهادهم، وسينظر إليهم من علياء سمائه فيرضيهم وسينظر إلى جهادهم في سبيله فيهديهم وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وتتجلى أعلى مراحل الصبر في موقف أم سليم الرميصاء وهي أم أنس بن مالك لما مات لها ابن من أبي طلحة فإذا هي بقوة الإيمان والصبر الراسخ

والثقة في الله التي لا تتزعزع تقوم فتغسّل ابنها وتكفنه وتسجيه بثوب وتضعه في ناحية من نواحي البيت وتهيئ الطعام لزوجها وتستقبله بالبشر ثم تهيئ نفسها لزوجها وعندما أصبحت بعدما قضى زوجها منها وطره تسأله ـ كما تقول رواية مسلم ـ قائلة: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك.

ونص الحديث هو ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «اشتكى ابن لأبي طلحة قال: فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة قال: فبات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره بما كان منها فقال رسول الله ﷺ: **لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما**. قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن»[1].

فعلى ضوء هذه الصور الناطقة والأمثلة الحية من الصبر والتحمل يعيش المسلم صابراً محتسباً متحملاً، لا يشكو ولا يتسخط ولا يدفع المكروه بالمكروه ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو ويصبر ويغفر، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال بعض الصابرين: سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري، وأصبر حتى يأذن الله في أمري، وأصبر حتى يعلم الصبر أني صابر على شيء أمرّ من الصبر.

اللهم اجعلنا من الصابرين، وأجرنا في مصائبنا خيراً وارزقنا الثبات عند البلاء، اللهم إنا نسألك الثبات على الإسلام والسنة وألا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ونعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٨٤، كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة.

الدرس الرابع عشر

الإيثار

الحمد لله الذي أعد الفلاح للمؤثرين الناس على أنفسهم، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي هو أرحم على الوليد من أمه، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله علّم أصحابه الإيثار والأخوة وعدم حب النفس فسادوا الدنيا بأسرهم، أما بعد:

فعن أبي هريرة ﵁ قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله ﷺ: **ألا رجل يضيفه هذه الليلة،** فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله.

فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله، لا تدخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: **لقد عجب الله ﷻ أو ضحك من فلان وفلانة. فأنزل الله ﷻ**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]»[(١)].

فمن أخلاق المسلم التي اكتسبها من تعاليم دينه ومحاسن إسلامه الإيثار على النفس وحب الغير، فالمسلم متى رأى محلاً للإيثار آثر غيره على نفسه وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، بل قد يموت في سبيل حياة آخرين، وما ذلك بغريب ولا جديد على مسلم تشبعت روحه بمعاني الإسلام العظيمة، وانطبعت فيه نفسه بطابع الخير وحب الفضيلة، تلك هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة؟

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٥٩، ٦٠، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

وكما أن الله ﷻ اختار نبيه محمداً ﷺ على سائر الأنبياء، وخصه، بمزايا لم تكن لسواه من الناس حاشا الأنبياء والمرسلين الذين أثنى الله عليهم في غير موضع من القرآن تنبيهاً على علو منزلتهم، وعظيم فضلهم وشرفهم، وأثنى الله ﷻ على صحابة النبي ﷺ فقال تعالى يصفهم بالرحمة ولين الجانب لبعضهم بعضاً وشدتهم على الكفار المعاندين: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

ويبين الله أخلاق الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين بحب وإيثار وتضحية وبذل وفداء بدون أن تتضرم القلوب أو توغل الصدور، فيقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

والمسلم في إيثاره وحبه للخير ناهج نهج الصالحين السابقين وضارب في درب الأولين الفائزين. وأخلاق المسلم الفاضلة كلها بل كل الخصال الحميدة والجميلة إنما هي مستوحاة من الرحمة الإلهية أو مستقاة من الحكمة المحمدية، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه** أو قال: **لجاره ما يحب لنفسه**»[1].

على مثل هذا القول الطيب تزداد أخلاق المسلم علواً وسمواً، وإليك أخي المسلم بعض النماذج الحية والصور العظيمة في الإيثار فلقد وصل الإيثار أعلى مراحله بين المهاجرين والأنصار عندما آخى الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وأخيه سعد بن الربيع فقال سعد لأخيه عبد الرحمٰن: يا عبد الرحمن أنا أكثر أهل المدينة مالاً ولي بستانان، ولي امرأتان، فانظري أي بستاني أحب إليك حتى أخرج لك عنه، وأي امرأتي أرضى عندك حتى أطلقها لك.

ونقول: إن النفس البشرية ربما تسمح بالتنازل عن الماء وغيره إيثاراً لكن

(١) رواه مسلم ١/ ٦٧ ح (٤٥).

أشد ما يكون المرء حريصاً عليه هو عرضه... زوجته لا يسمح لغيره أن يقربها، لكن الإيثار وصل بالصحابة أن يتنازل أحدهم عن زوجته لأخيه المهاجري، لكن عفة المسلم اتضحت جلية في قول عبد الرحمن بن عوف وهو يرد على أخيه سعد ابن الربيع قائلاً: بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق لكي أعمل وأتجر وأربح من عمل يدي[١].

وصورة أخرى تبين المعنى العظيم للتضحية والفداء وهي أنه: في دار الندوة وافق مجلس شيوخ قريش بإجماع الآراء على الاقتراح المقدم من أبي جهل بالقضاء على النبي ﷺ وقتله واغتياله في منزله، وبلغ الرسول ﷺ هذا القرار الغاشم وقد أذنَ له بالهجرة فعزم عليها وبحث عن من ينام على فراشه فوجد ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعرض عليه الأمر فلم يتردد عليٌ في أن يقدم نفسه فداءً للرسول ﷺ ونام وهو لا يدري متى تتخطفه السيوف لترمي به إلى المتعطشين إلى الدماء، وآثر الرسول بالحياة فضرب بذلك مع حداثة سنه وقتئذ أروع مثل في التضحية والفداء والإيثار وهكذا يؤثر المسلم على نفسه ويجود حتى بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الكرم والإيثار.

وصورة ثالثة تبين أن المسلم يمكن أن يؤثر أخاه المسلم على نفسه بشربة ماء ربما كانت سبباً في إنقاذ حياته، يقول حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي[٢] ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجلُ يقول: آه، فأشار ابن عمي إليّ أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه، فأشار هشام أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين، وهكذا يضرب هؤلاء الشهداء الثلاثة الأبرار أعلى مثال في الإيثار، وتفضيل الغير على النفس،

(١) بتصرف يسير صور من حياة الصحابة ٤/ ٤٢.
(٢) ابن عم حذيفة العدوي هو نعيم بن عبد الله النحام العدوي. انظر المستدرك ٣/ ٢٥٩.

وهذا هو شأن المسلم في هذه الحياة[١].

اللهم اجعلنا من المؤثرين على أنفسهم ولو كان بنا خصاصة، اللهم اجمعنا مع الأنبياء والأتقياء والكرماء، اللهم آت أنفسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وأنت رب العرش العظيم، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم حسن أخلاقنا جميعاً، اللهم ارزقنا التحلي بأخلاق القرآن، اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم يوم القيامة، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) منهاج المسلم، ص١٦١.

الدرس الخامس عشر

الحسد

الحمد لله الذي جعل سلامة الصدر سبباً من أسباب دخول الجنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الذي أمره ربه أن يتعوذ من شر الحاسد كما أمره أن يتعوذ من الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٤، ٥]. ، أما بعد:

فالمسلم لا يحسد ولا يكون الحسد خلقاً له ولا وصفاً فيه ما دام يحب الخير للجميع ويؤثر على نفسه فيه، والمسلم يبغض خلق الحسد ويمقت عليه؛ لأن الحسد اعتراض على قسمة الله فضله بين خلقه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

والحسد من الذنوب المهلكات ومعناه: أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقاً وحرجاً وكراهية لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده في دينه أو دنياه حتى أنه ليحب زوالها عنه وربما تمنى ذلك أو سعى في إزالتها، والحسد من مداخل الشيطان إلى القلب فالحسد إذا غطى القلب ـ أعاذنا الله وإياكم ـ ولم يبصر استطاع الشيطان الدخول إليه.

ولذا لما كان الحسد بهذه الدرجة ورد فيه تشديد عظيم حتى قال فيه الرسول ﷺ فيما روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «**الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب...**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه ابن ماجه ٢/١٤٠٨ ح (٤٢١٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ص٣٤٦ برقم (٩٢٢).

«...**ولا يجتمعان في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد**»(١).

والذي يجب أن يفهم من هذا الحديث أن الإيمان الصادق الكامل الذي يستحضر صاحبه أن كل أفعال الله لحكمة لا يجتمع مع الحسد الذي يغضب من فعل الله وقسمته.

عن ضمرة بن ثعلبة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»(٢)، وكأن المراد في حديث النبي ﷺ: أن الخير يرتفع من الناس عندما يتحاسدون وكيف لا يرتفع منهم الخير وكل منهم يتمنى أن يزول الخير الذي عند أخيه، عن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا...**»(٣).

واعلم أخي المسلم أن الحسد قسمان:

أولهما: أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له.

وثانيهما: وهو شرهما أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له ولو لم يظفر بها.

والحسد بقسميه محرم تحريماً قطعياً، والحسد نتيجة من نتائج الحقد وثمرة من ثمراته المترتبة عليه؛ فإن من يحقد على إنسان يتمنى زوال نعمته ويغتابه وينم عليه ويعتدي على عرضه ويشمت فيه لما يصيبه من البلاء، وكثيراً ما ترى الحاسد ينقب عن مساوئ المحسود فيبرزها على صفة الذم فينتبه المحسود لها فيتجنبها كما قيل:

---

(١) رواه النسائي ٦/ ١٢، ١٣، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي ٢/ ٦٥٢ برقم (٢٩١٢): حديث حسن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٨/ ٣٦٩ ح (٨١٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧٨: رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري ٧/ ٨٨، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

عُداتي لهم فضل عليّ ومنّةٌ فلا أذهب الرحمن عنّي الأعاديا
هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ويقول آخر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار في جزل الغضا ما كان يعرف طيب العود

ويقول ثالث:

إني حُسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود(١)

وأما ما لا يعد من الحسد ويقال عنه غبطة: فهو تمني حصول نعمة مثل نعمة غيره من علم أو مال أو إصلاح حال بدون تمني زوالها عن غيره لقوله ﷺ فيما روى عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمه فهو يقضي بها ويعلمها**»(٢).

وعلاج الحسد متى خطر للمسلم خاطر الحسد بحكم بشريته وعدم عصمته مقاومته بدفعه من نفسه، وكراهيته له حتى لا يصير هماً أو عزيمة له فيقول بموجبة أو يعمل فيهلك، وإن أعجبه شيء قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ وبذلك لا يؤثر فيه بإذن الله تعالى، ويسلم.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر وشتات الأمر ووسوسة الصدر، اللهم طهر قلوبنا من الحسد والغل والحقد، اللهم نقنا من خطايانا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنا بالماء والثلج والبرد، اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) موارد الظمآن ٤/ ٥٦٩.

(٢) رواه البخاري ٨/ ١٥٠، كتاب الاعتصام بالسنة، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله.

الدرس السادس عشر

الكسل

الحمد لله الذي جعل السعي والحركة سبباً في الرزق والبركة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الذي كان يتعوذ كثيراً من الهم والحزن والعجز والكسل، أما بعد:

فالمسلم لا يعجز ولا يكسل، بل يحزم وينشط، ويعمل ويحرص؛ لأن العجز والكسل من الأخلاق الذميمة التي استعاذ منها رسول الله ﷺ كثيراً، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم...**»[(١)].

وأوصى ﷺ بالعمل والحرص، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو كان كذا كان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(٢)].

فلهذا لا يرى المسلم عاجزاً ولا كسولاً، وكيف يقعد عن العمل، أو يترك الحرص على ما ينفعه، وهو يؤمن بنظام الأسباب ومجريات السنن في الكون، بل كيف يتكاسل وهو يعلم أن الأخذ بالأسباب من مظاهر الإيمان بالله سبحانه وتعالى؟ وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله أن من أسباب زهده في الدنيا قوله: «علمت أن لي شغلاً لن يشغله غيري فعملت به».

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٠٩، ٢١٠، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن.
(٢) رواه مسلم ٣/ ٢٠٥٢ ح (٢٦٦٤).

وكيف يقعد المسلم عن العمل وهو يسمع هاتف القرآن به[١]: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وإذا تكاسل المسلم فإن ذلك يؤثر على دعوته وأمته، وها هو الشاعر يتعجب من بعض شباب هذا العصر الذين انشغلوا بأمور تافهة وتكاسلوا عن تحصيل العلم الشرعي فيقول:

سلوا الشباب شباب العصر كم حفظوا ... من سورة العصر أو من سورة القلم
وكم حديثاً لخير الخلق قد فهموا ... وهو المصدق بعد الوحي في الكلم
والراشدون نسوا أسماءهم وهموا ... كالشمس في الغيم أو كالبدر في الظلم
إبليس زخرف دنيا اللهو مصيدة ... كالشوك في الورد أو كالسم في الدسم

ونحن نتساءل عمّن سينقذ الأمة إذا تكاسل كل منّا وقعد عن العمل وتوقف الإنتاج ووقفت مسيرة الحياة وانغمس الناس في الملذات والشهوات؟ فعلينا أحبتي في الله أن نجعل النشاط وعلو الهمة والعزيمة شعارنا في هذه الحياة، وألا نؤخر عمل اليوم إلى الغد ونأخذ على أيدي الكسالى ونعلمهم علو الهمة والسعي والاجتهاد في العمل.

وليعلم المرء المسلم أن للكسل مظاهر وما هي إلا تزيين من الشيطان فليستعن بالله ويبتعد عنها ومنها:

١ ـ أن يسمع المرء نداء المؤذن للصلاة ويتشاغل عن الإجابة بنوم أو كلام أو عمل غير ضروري حتى يكاد يخرج وقت الصلاة فيقوم فيصلي منفرداً في آخر وقت الصلاة.

٢ ـ أن يترك العمل النافع كتعلم العلم أو غراسة الأراضي أو عمارة المنازل أو مساعدة أهل حيه في مشروع هام يخص أحد مرافق البيئة بحجة أنه غير أهل لهذا العمل أو أن هذا العمل يتطلب وقتاً واسعاً وزمناً طويلاً، وإذا

(١) منهاج المسلم، ص١٨٩.

به يترك الأيام تمر والأعوام تمضي ولا يعمل عملاً ينتفع به في دنياه أو أخراه وما ذلك من شيم المسلم ولا صفاته خاصة وأنه يعلم يقيناً أن الإسلام يدعو إلى الهمة والنشاط والسعي والحركة وينهي عن التكاسل أو التعاجز كما جاء في الآيات والأحاديث الصحيحة.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم دبر لنا فإنا لا نحسن التدبير، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا ونسألك القصد في الفقر والغنى يا رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس السابع عشر

الغضب

الحمد لله الذي خلق الغضب وجعله ركيزة في المخلوقين وجعل علاجه الصبر والحلم وبذلك يستقر النظام ويقف كل واحد عند الحد الذي قدره الله له في هذه الحياة قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ما غضب إلا لله وما تمعر وجهه إلا للحق، أما بعد:

فلقد ذم الله سبحانه وتعالى الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب والتهور بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة والثبات فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أوصني قال: **لا تغضب** فردد مراراً قال: **لا تغضب**»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٢].

وللغضب أسباب كثيرة منها: الجدال، والمزاح، والسخرية بالناس، والاستهزاء بهم، وإطلاق اللسان في السب واللعن والغيبة والنميمة، وإذا نهي من يفعل ذلك في كثير من الأحيان غضب غضباً شديداً بحماقة ولم يكترث بما يقال له.

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٩٩، ١٠٠، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.
(٢) رواه البخاري ٧/ ٩٩، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.

ومن أسباب الغضب: مصاحبة الأشرار، الذين لا يفرقون بين الممدوح والمذموم من الغضب، فيحسبون التهور والطيش شجاعة، ويعدون طغيان الغضب الموجب للظلم رجولة ويتبجحون بذلك فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على مكروه ولا على مكر ولا أحتمل من أحد أمراً، فإذا سمعه الجاهل رسخ في ذهنه حسن الغضب وأحب التشبه بمثل هؤلاء فيقوى به الغضب.

ومن أسباب الغضب: فوات اللذات والشهوات من مطعم ومشرب ومسكن ونحو ذلك لكن إن كانت هذه الأشياء مملوكة له وحيل بينه وبينهما فإن كان بدون عذر شرعي فله أن يغضب حتى يحصل عليها أو يستردها ويكون غضبه في هذه الحالة ليس مذموماً، ثم إن كان الذي فاته ضرورياً كان الغضب من أجله واجباً، وإن كان كمالياً كان الغضب من أجله جائزاً، وإن كان حراماً عليه أو ليس مملوكاً له كان الغضب مذموماً.

ولما كانت هذه المتطلبات اليومية لها أهميتها في حياة الإنسان جاءت هذه الوصية العظيمة من أمامه بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني وهي تقول لها فيها تجاه زوجها: أي بنيتي أوصيك بالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة[1].

ومن أسباب الغضب الوشايات والنمائم بين الناس؛ فمن الناس من يغضب لمجرد وشاية نقلت إليه عن بعض الناس أو لمجرد نميمة بلغته من نمام بدون أن يتثبت من الأمر فيعتدي على الأبرياء بإزالتهم عن أعمالهم أو نقلهم عنها إلى بلاد بعيدة جداً، أو يتسبب في قطع ما هو لهم من أرزاق أو يؤذيهم في أبدانهم أو يقدح في أعراضهم بدون أن يلتفت إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦].

(١) تحفة العروس، ص٦٩، ٧٠.

علاج الغضب:

الغضب أيها الأخوة المؤمنون: إما أن يكون طبعاً في الإنسان أو مكتسباً، فإن كان طبعاً فيه فليجتنب الأسباب المثيرة له كالتكبر والافتخار والاستهزاء بالآخرين والمزاح والجدل وغيره.

أما إن كان الغضب مكتسباً بالعادة والاختلاط فعلاجه اجتناب مصاحبة الأشرار والابتعاد عنهم واجتناب الأسباب المهيجة للغضب المذكورة آنفاً، وأن يعلم أن ليس للإنسان أن يغضب إلا لدينه أو نفسه أو عرضه أو ماله، وما وراء هذا فالغضب رذيلة يجب الاحتراس منها[١].

ومن العلاجات أيضاً أن يخوف نفسه بعقاب الله فيقول: قدرة الله عليّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو نفذت غضبي عليه، فما آمن أن يمضي الله غضبه عليّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو.

ومن العلاجات أيضاً أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في إيذائه.

ومن العلاج أيضاً: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب فيتمثل صورة غيره وهو غضبان كالكلب الضاري أو السبع العادي، ويتمثل صورة الحليم أنه يتشبه بالأنبياء والعلماء والحكماء والصالحين، ويخير نفسه في أي الصورتين يود أن يكون.

وعلى المسلم دائماً أن يتخلق بأخلاق النبي ﷺ وأخلاق الصحابة والسلف الصالح في مثل هذه المواقف، فهذا نبينا محمد ﷺ يلقى صنوف الأذى من المشركين ولا يزيد على أن يقول فيما روى عنه ابن مسعود رضي الله عنه: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٢].

وإذا اقتفينا آثار الصحابة والسلف الصالح وتتبعنا سيرهم وجدناها مليئة بالصبر عند الغضب وكظم الغيظ ومن ذلك ما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن

---

(١) هداية المرشدين، ص٣٦٧، ٣٦٩.

(٢) رواه البخاري ٤/١٥١، كتاب الأنبياء، باب رقم (٥٤).

عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: أنه كان يسير في المسجد ليلاً ذات مرة فتعثر في رجل نائم في المسجد فاستيقظ الرجل من نومه فزعاً وأمسك بتلابيب ثوب عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال له: أحمار أنت؟ فقال عمر: لا، فأخرج الجندي الذي كان يسير مع أمير المؤمنين سيفه وقال: دعني يا أمير المؤمنين أضرب عنقه، قال عمر: ولم؟ قال: لأنه سبّك وأنت أمير المؤمنين، قال عمر: إن الرجل سألني سؤالاً أحمار أنت؟ فقلت: لا. هكذا أيها الأحبة في الله كانت أخلاق الصحابة والتابعين.

وروي أيضاً أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ قابله أحد الناس حين عودته من صلاة الصبح فقال له: أيها الإمام إنك لفاسق، فقال الشافعي: اللهم إن كان فيّ ما يقول فاغفرلي، وإن لم يكن فيّ ما يقول فاغفر له يارب العالمين.

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: لا جزاء لمن عصى الله فينا بأن سبّنا وشتمنا إلا أن نطيع الله فيه بأن ندعو له قائلين: اللهم اغفر له اللهم ارحمه.

وهكذا يجب أن نكون نحن أيضاً صابرين عند الغضب، نكظم غيظنا ونعفو عمن ظلمنا ونعطي من حرمنا ونصل من قطعنا ونتقصى الحقائق قبل إصدارنا لأي حكم حتى لا نندم مرة ثانية لأن الغضب كثيراً ما يخرج صاحبه عن الحق ويؤدي به الهلكة.

اللهم جنبنا كل خلق رذيل واجعل غضبنا لك ولابتغاء وجهك الكريم، اللهم ارحم ضعفنا، وجد علينا بكرمك وأفض علينا من نعمك وتغمدنا برحمتك وعاملنا برأفتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثامن عشر

الكبر

الحمد لله الذي جعل الكبرياء رداءه والعظمة إزاره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله خير من تواضع لله فرفعه الله إلى أعلى الدرجات، أما بعد:

فيقول تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[(١)]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[(٢)].

إن خلق الكبر من الرذائل التي يتأكد تحريمها ويجب اجتنابها، والكبر يثير الغضب والحقد ويورث العداوة والبغضاء ويورث الاحتقار والازدراء بالناس واغتيابهم، ويجافي بين الصدق وكظم الغيظ وقبول النصح ويعمي المرء عن عيوبه ويحول بينه وبين العلم والانقياد للحق[(٣)].

والكبر داء منشؤه جهل المرء بنفسه وحكمه الله في أمره، والكفر بنعمة ربه، فما عرف فرعون قدر نفسه حينما قال: أنا ربكم الأعلى، وما أدى

---

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠٢٣ ح (٢٦٢٠)، ورواه أبو داود ٤/ ٣٥٠، ٣٥١ ح (٤٠٩٠)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٧٧٠ برقم (٣٤٤٦).

(٢) رواه مسلم ١/ ٩٣ ح (٩١).

(٣) هداية المرشدين، ص٤٦٠، ٤٦١.

قارون شكر النعمة حينما قال: إنما أوتيته على علم عندي.

فيا من يتقلب في ظلماته ويرتع في شهواته، إن الكبرياء لمن فطر السماوات، والسلطان الأعظم لمدبر الكائنات، من شاركه فيه غلبه، ومن نازعه فيه قصمه؛ فإن كنت ملكاً فسلطانك لا يعلو سلطان ربك، وإن كنت ذا مال فإنما هو من مواهب مولاك.

أغرك من ربك أيها المتكبر أن خولك جاهاً تجول فيه؟ أو غرّك منه أن منحك مالاً تصول به، والذي حملك على بغيك هذا نبأ المستكبرين. تالله ما جاء نبؤهم إلا بسلطان الله؛ فطرد إبليس من رحمته، وأهلك فرعون على جرأته، وخسف الأرض بقارون لكفره بنعمته، فباءوا بالنكال وبئس مثوى المتكبرين، يا ابن آدم ما لك والكبر وأنى يكون لك؟ هل أنت في غشيتك وسكرتك لا تفيق؟[(١)].

انظر بقلبك قبل بصرك إذ أنت لم تدرك حكمة خالقك، فهلا أبصرت عيوب نفسك التي بين جنبيك؟ وهلا شممت نتن إبطيك؟ أو لا تزيل بيدك خبث فرجيك؟ فما أجهلك بنفسك وما أظلمك! والله لا يحب كل كفار أثيم، أتضع أيها المتكبر ولا ترتفع فما أنت إلا عبد أخرجك ربك من العدم، ورعاك في ظلمات الارحام وقومك في أحسن الصور، ألم تستمع إلى قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يصفك ويذكرك بأصلك فيقول: إن الإنسان أوله نطفة مذرة وآخر جيفة قذرة، وما بين الاثنين يحمل العذرة. وكأن مقصود علي رضي الله عنه أن الإنسان بين الحياة والموت مورد للأدران، ومجمع للأقذار فسبحان الله، ما أقدر من أحكم هذا الإنسان والله على كل شيء قدير.

فيا من يجر ذيل الكبرياء والخيلاء، ويكفر بنعمة الله، ويزدري الضعفاء قد وضح أمرك وتم نصحك، فما بالك لا تبالي بمهاوي الوبال، ولا ترجع عن سيئات الأعمال وأنت على نفسك بصير، يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

---

(١) موارد الظمآن ٤/ ١٥٢.

والكبر له أسباب كثيرة: فقد يكون عن صفة كمال كالعلم والنسب والجاه والسلطان، وربما نشأ عن غرور ووهم بحيث يعتقد أنه أكمل من غيره خطأ وجهلاً، وهذا برهان على نقصان عقله.

فإذا كان الكبر ناشئاً عن العلم كان صاحبه قدوة رديئة، ومثالاً سيئاً خاصة إذا دفعه الكبر إلى صفة ذميمة كالحسد والحقد وغيره، أما العلم النافع فهو الذي يربي الأنفس ويطهرها من الصفات الرديئة ويعرف العبد ربه ونفسه وخطر أمره؛ وهذا يورث الخشية والتواضع فيكون صاحبه مثالاً حسناً في الناس وقدوة صالحة في الأقوال والأفعال.

وإن كان الكبر ناشئاً عن الجاه والسلطان فإن غالبه يفضي إلى شر أنواع الظلم وانتهاك المحارم من حقوق الله وحقوق العباد، فما ترتب عليه مظلمة أو ضياع حق فهو الكبر الضار، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وقال بعض الحكماء: من برئ من ثلاث نال ثلاثاً: من برئ من السرف نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة التواضع.

لكن المتكبر كالمغرور فكثيراً ما تفوته الحقائق العلمية؛ لأنه تأبى عليه نفسه أن يأخذ الحق حيث وجده لذا قيل: يضيع العلم بين الحياء والكبر، ثم إن كان المتواضع تلميذاً يجد لطفاً وعطفاً من الأستاذ فلا يبخل عليه بمجهوده، ولا يشح عليه بفائدة؛ لأن التواضع يستلزم الأدب. يقول الشاعر[1]:

إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقيّ إلى المعالي يرتقي
ومن العجائب عجب من هو جاهلٌ ... في حاله أهو السعيد أم الشقي
أم كيف يُختم عُمره أو روحه ... يوم النوى مستفل أو مرتقي

وقيل: إن أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر وهو الذي أصار إبليس إلى

(١) موارد الظمآن ٤/ ٥١٤، ٥١٥.

ما أصاره، والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرَّ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد.

اللهم اجعلنا من المتواضعين واحشرنا في زمرة الأنبياء والصديقين، اللهم وفقنا لمصالحنا واعصمنا عن ذنوبنا وقبائحنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس التاسع عشر

الغيبة والنميمة

الحمد لله الذي نهى عباده عن سوء الظن والغيبة وترك التجسس والريبة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الذي ربى أصحابه على الفضائل من الأخلاق، وحذرهم من حصائد ألسنتهم التي تؤدي بالناس إلى نار جهنم، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **ذكرك أخاك بما يكره**»[١].

إذاً فالغيبة هي ذكر الرجل بما فيه من خلفه وهي من الأمور المحرمة قطعاً في الشرع لما رواه يحيى بن أبي كثير عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «**الربا أحد وسبعون أو قال: ثلاثة وسبعون حوباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم**»[٢].

الله أكبر، أين العقول؟ أين الإيمان الذي يعمر النفوس؟ أين الإيمان الذي يمنع حظوظ النفس وشهواتها؟ أين الإيمان الذي يمنع الاستطالة في أعراض المسلمين؟ ما أعظم حرمة الربا وأشدها! لقد بلغ من عظيم أمره أن جعل الله تعالى الإيذان بالحرب على من يتعامل به وإن من أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه، أفلا يتعظ الإنسان أفلا يعقل كلام الله عز وجل؟ أفلا

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠٠١ ح (٢٥٨٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٨/ ٣١٤ ح (٥٣٤٥)، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

يتفكر في ترهيب الرسول من هذا الخلق العضال الذي يهدم بناء الأسر والمجتمعات بل والأمة كلها لما له من آثار ذميمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «. . . يا رسول الله، إن صفية امرأة وقالت بيدها هكذا ـ كأنها تعني قصيرة، فقال: **لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج**»(١).

سبحان الله ألا ترى ما يفعله المغتابون اليوم، وألسنتهم لا تكل ولا تمل مما يفعلون. أي بحار تمزج كلماتهم لو مزجت بها؟ وأي مياه تنتن؟ وأي طيب عيش يفسدون؟

إن على المسلم الحقيقي ألا يجلس مع المغتابين، وأن يعرض عن استماع الغيبة والقول القبيح الذي يقال في المؤمنين وأن يرد غيبة أخيه المسلم؛ فإن ذلك من حقوقه عليه وعلى الذي يغتاب أن يعلم أن الغيبة من الذنوب التي يعذب بها المرء في القبر كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة، من ذلك ما قاله عمرو بن العاص رضي الله عنه حين مرّ على بغل ميت فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم»(٢).

وذكر رجل آخر بسوء أمام صاحبه فقال له: هل غزوت الروم؟ قال: لا، قال: هل غزوت الترك؟ قال: لا، قال: سلم منك الترك، وسلم منك الروم، ولم يسلم منك أخوك المسلم!(٣).

وقيل: إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فأمسك عنهم ضرك، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم، فلا تأكل لحوم الناس.

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٦٦٠ ح (٢٥٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٠٦ برقم (٢٠٣٤).

(٢) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٥٠٩ برقم (١٨)، وقال: رواه أبو الشيخ بن حبان وغيره موقوفاً.

(٣) الغيبة وأثرها السيء في المجتمع لحسين العوايشة، ص٥٣، ٥٤.

وصدق من قال:

المرء إن كان عاقلا ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه
كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه

ما يباح من الغيبة:

ويباح من الغيبة ستة أمور هي:

١ ـ التظلم كالتظلم للسلطان والقاضي، ودليل ذلك ما روته أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن هند قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وأحتاج أن آخذ من ماله فقال ﷺ: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[1].

٢ ـ الاستفتاء؛ كأن يقول للمفتي ظلمني أخي، أو فلان فما طريقي في الخلاص، وغير ذلك.

٣ ـ الاستعانة على تغيير منكر أو رفع بلاء عن مسلم، لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: «... فلما حللت ذكرت للنبي ﷺ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله ﷺ: **أما أبو جهم فلا يضيع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد...**»[2].

٤ ـ تحذير المسلمين ونصحهم من أصحاب الشر، وممن يضر بالمسلمين، ومن ذلك جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك للذبّ عن حديث رسول الله ﷺ، وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في هذه المسألة: «ومما يدل على ذلك دلالة بينة، ما ورد في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم، فإن بيان كذب الكذابين من أعظم النصيحة الواجبة لله ولرسوله ﷺ ولجميع المسلمين»[3].

٥ ـ ذكر المجاهر بما فيه، أو صاحب البدعة ببدعته، عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١١٥، ١١٦، كتاب الأحكام، باب القضاء على الغائب.

(٢) رواه مسلم ٢/ ١١١٤ ح (١٤٨٠).

(٣) رفع الريبة للإمام الشوكاني بتحقيق محمد إبراهيم الشيباني، ص٢٧.

قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: **ائذنوا له، بئس أخو العشيرة...**»[١].

٦ ـ التعريف إن كان الإنسان معروفاً بلقب معين كالأعرج، والأعمى والأصم، ونحو ذلك، ولا يحل إطلاقه على وجه التحقير والتنقيص، وإن أمكن تعريفه بغير ذلك فهو أفضل وأولى.

وقد جاءت هذه الأغراض الستة الشرعية المذكورة آنفاً منظومة في بيتين:

القدح ليس بغيبة في ستة   متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر فسقاً ومستفت ومن   طلب الإعانة في إزالة منكر

أما النميمة فهي نقل الكلام بين الناس على وجهة الإفساد يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين يعذبان فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الأخر فكان يمشي بالنميمة...**»[٣].

واعلم أخي المسلم أن النمام مفش للسر، هاتك للستر، مفرق للأحبة، واعلم أن من نمّ لك نمّ عليك، فلا تصدق النمام؛ لأنه فاسق مردود الشهادة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[٤] ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وعليك أخي المسلم! أن تنهى النمام عن ذلك الخلق الذميم وتنصحه وتبين له أن هذا الفعل من الرذائل قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وعليك ألا تظن بأخيك الغائب سوءاً قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) رواه البخاري ٧/٨٦، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب.
(٢) رواه مسلم ١/١٠١ ح (١٠٥).
(٣) رواه البخاري ٢/٩٨، ٩٩، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر.
(٤) وفي قراءة أخرى فتثبتوا.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]

وعليك أيضاً أخي المسلم ألا تنقل ما قاله لك النمام إلى غيرك، روي أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال عمر: إن شئت نظرنا في أمرك؛ فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فانت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً(١).

وقال رجل لعمرو بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن فلاناً يذكرك بسوء فقال له عمرو يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين(٢).

اللهم جنبنا الأخلاق الذميمة جميعها وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، اللهم يا حي يا قيوم فرّغنا لما خلقتنا له، ولا تشغلنا بما تكلفت لنا به، واجعلنا ممن يؤمن بلقائك ويرضى بقضائك ويقنع بعطائك ويخشاك حق خشيتك، اللهم اجعل رزقنا رغداً، ولا تشمت بنا أحداً، اللهم رغبنا فيما يبقى وزهدنا فيما يفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعوّل في الدين إلا عليه، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حفظ اللسان ـ وحيد بالي، ص٤٥.

(٢) المصدر السابق.

الدرس العشرون

إرشاد الصائمين

الحمد لله الذي أذاق الطائعين حلاوة الطاعة، وعلق قلوب الموفقين بالمساجد والجماعة، وجعل السعادة للصائمين القائمين الخاشعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وفق من شاء للتجارة معه فكانوا هم الرابحين، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله إمام الصائمين والصابرين المتواضعين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين صانوا صيامهم عن اللغو والكذب فكانوا هم الفائزين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

أيها الصائمون: إن التجار ينتظرون المواسم لعظيم الرواج فيها فإذا جاءت تلك المواسم شمروا عن ساعد الجد في أعمال التجارة، واستحضروا من الأصناف أجودها وأعلاها واختاروا من الألوان أجملها وأحسنها، يسوقهم إلى هذا رجاء الربح، وقد تحملهم شدة الحرص عليه إلى التضحية براحتهم، ومفارقة الأهل والأحباب والإخوان والأوطان، ويركبون البحار ويتعرضون للأخطار والمخاوف، ويقطعون الطرق الوعرة، وليس فيها إلا أسد ضار أو قاطع طريق، أو لص محتال.

يركبون ذلك كله غير مبالين بما ينالهم من مشقة وعناء، بل يستسهلون في سبيل الربح العظيم من الصعاب مواصلين في ذلك الأيام والليالي، ولا عجب في تحمل التجار هذه المشاق؛ فإن من ذاق لذة الربح هانت لديه جميع الشدائد، وسهلت عليه كل المتاعب، تلكم حال تجار الدنيا الذين يطلبون

ربحاً غير مضمون؛ فقد يكون وقد لا يكون وعلى فرض أنهم ربحوا الدنيا بأسرها فالفناء مآلهم، والزوال مصير ما يربحون.

وكما أن للدنيا تجاراً مجدين منهمكين، فللآخرة تجارٌ أمناء صادقون، أوفياء رحماء مخلصون، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٧، ٣٨]، فلا هم بتجارة الدنيا يفتنون، ولا هم عليها وحدها يعولون وإنما عولوا على التجارة بخالص الأعمال مع الغني الكريم الجواد الرحيم، الذي لا غش في التجارة معه ولا خسارة ولا كساد، بل هي تجارة مأمونة رابحة رائجة لن تبور.

أحبتي في الله: هل سمعتم أو رأيتم أن المشتري يعطي التاجر أكثر من الثمن؟ لا. ولكن الله الغني الكريم يأخذ عمل العبد ويعطيه على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]

يتضح هذا المعنى العظيم من خلال موقف عثمان بن عفان في غزوة العسرة عندما عرض عليه بعض التجار أن يشتروا منه تجارته مقابل خمسة دنانير في السلعة فرفض عثمان، فقال أحدهم: بسبع دنانير، فرفض، ثم عرض ثالث ثماني دنانير، وأعقب هذا العرض بقوله: ولا أعلم أحداً في المدينة كلها يشتري منك بأكثر من ذلك، فقال عثمان: كلا إنه يوجد من يشتري مني بعشر، فقالوا له: من؟ قال: ربي سبحانه وتعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ثم تصدق عثمان بماله في هذه الغزوة ابتغاء وجه الله تعالى، وقد بلغ مقدار ما تصدق به تسعمائة بعير ومائة فرس سوى النقود[١].

نعم والله إنها لصفقة رابحة تلك التي تمت بين الله عز وجل وعباده المؤمنين

(١) الرحيق المختوم، ص٤٨٦.

وبيّن نصوصها وبنودها جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى نزولاً على قلب محمد ﷺ ووضح معالمها ومظاهر الربح فيها القرآن الكريم في سورة التوبة وكان من أهم البنود الواضحة الصريحة في هذه الصفقة أن المشتري هو المالك للسلعة، ملكها للبائع ثم اشتراها منه وكان الثمن الجنة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

فاتقوا الله أيها الصائمون ولا تنهمكوا في تجارة الدنيا وتقصروا في تجارة الآخرة فما عندكم ينفد وما عند الله باق، فاتقوا الله ولا تضيعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

اعلموا أيها الصائمون أنكم الآن في موسم ربح عظيم، لا يتيسر لتجار الآخرة إلا مرة واحدة كل عام، موسم من اتجر فيه مع مولاة الكريم كان ربحه أن يعتق رقبته من النار، ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، موسم من تقرب فيه من ربه بالبر والطاعات وواظب على الجمعة والجماعة، فاز بعظيم الخير وعميم الرحمة.

اللهم تقبل منّا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا بين يديك إنك جواد كريم، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم اجعل آخر كلامنا لا إله إلا الله، اللهم شفع فينا عبدك ونبيك محمداً يا أكرم الأكرمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الحادي والعشرون

محاسبة النفس

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار العزيز الغفار، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله القائل فيما روى عنه شداد بن أوس رضي الله عنه: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**»(١)، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

وضحت لنا الآية الكريمة السابقة سنة من سنن الله تعالى وهي أن من غفل عن ذكر الله ونسيه وألهته دنياه عن العمل للآخرة أنساه الله نفسه التي بين جنبيه فلا يسعى لما فيه نفعها ولا يأخذ في أسباب سعادتها وإصلاحها، ولا يسعى في إزالة عللها وأمراضها التي تؤول بها إلى الفساد والهلاك وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة.

وإن من العجب الشديد أن العبد يسعى بنفسه في هوان نفسه وهو يزعم أنه لها مكرم، ويجتهد في حرمنها من حظوظها وشرفها وهو يزعم أنه يسعى في حفظها. وكان بعض السلف يقول في خطبته: ألا رُب مهين لنفسه وهو يزعم أنه لها مكرم، ومذل لنفسه وهو يزعم أنه مراع لحقها.

وذكر الإمام أحمد رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم؛ فإنه أهون عليكم في

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٥٧، وقال: صحيح على شرط البخاري.

الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ لا تخفى منكم خافية على الله تعالى».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته.

أيها المسلمون: لقد تراكمت عليكم الذنوب وأنتم في غيّكم ولهوكم في دنياكم، مشتغلون بما سيفنى، منصرفون عمن سيبقى، أحاطت بكم البلايا من كل جانب ولستم لإصلاح أنفسكم تجنحون، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

شعر:

عليك بمنع نفسك عن هواها	فما شيء ألذّ من الصلاح
تأهب للمنية حين تغدوا	كأنك لا تعيش إلى الرواح
فكم من رائح فينا صحيح	نعمته نعاته قبل الصباح
وبادر بالإنابة قبل موت	على ما فيك من عظم الجناح
وليس أخو الرزانة من تجافى	ولكن من تشمر للفلاح

أيها الأخ المؤمن: إذا غلبتك نفسك وقهرتك فصُل عليها بسوط العزيمة فإنها إن عرفت جدك استأسرت لك، وامنعها ملذوذ مباحها ليقع الاصطلاح على ترك الحرام؛ فإذا صبرت على ترك المباح، فإما منّاً بعد وإمّا فداءً.

الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدوٌ مباطن وإن من أدب الجهاد أن تعمل بقول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣] إن مالت نفسك على الشهوات فالجمها بلجام التقوى، وإن تركت الطاعات فسقها بسوط المجاهدة، وإن استحلت شراب التواني، واستحسنت ثوب البطالة فصح عليها بصوت العزم، فإن رمقت بعين العجب، فذكرها خساسة الأصل.

كان أحد السلف إذا قهر نفسه بترك شهوة أقبل يهتز اهتزاز الرامي إذا قرطس، إذا قوي عزم المجاهدة لان له الأعداء بلا حرب، لما قويت مجاهدة نبينا محمد ﷺ تعدت إلى كل من تعدى فأسلم شيطانه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إغاثة اللهفان: على المرء أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض فإن تذكر فيها نقصاً تداركه بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ولقد كان ﷺ يخلو بربه ذكراً وصلاةً وقياماً وتسبيحاً وكذلك كان الصحابة والتابعون لهم وقفات مع أنفسهم يحاسبونها على ما فعلت ويقومونها فيما قصّرت ويتهمونها على ما فعلت، ويقفون بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسألونه العفو والمغفرة والرحمة على ما قصروا وهم يتذللون بين يدي العزيز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محقرين من شأن أنفسهم.

ومن هؤلاء: صلة بن أشيم العدوي الذي روى في شأنه جعفر بن زيد قائلاً: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلّت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبة منه، فدخلت في إثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت إلى شجرة، قال: أفتراه التفت إليه؟ أو وعذ به؟ حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء.

فجلس ثم سلم، فقال: أيها السبع: اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيراً، أقول: تصدعت منه الجبال.

فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار كما أسألك أن ترزقني الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبي من الفترة شيء الله تعالى به عليم[(١)].

هكذا كانوا يتهمون أنفسهم ويسألون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم، يقيمون الليل ويقرؤون القرآن ويتدبرون ما فيه.

شعر:

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٠ بتصرف.

بادر بتقوى الله واسلك سبيلها ... ولا تتبع غي الرجيم المعاند
وإياك دنيا لا يدوم نعيمها ... وإنك صاح لست فيها بخالد
تمسك بشرع الله والزم كتابه ... وبالعلم فاعمل تَحْوِ كل المحامد

اللهم دلنا على قهر أنفسنا التي هي أقرب أعدائنا إلينا وأكثرهم نكاية فينا، اللهم هب لنا ما وهبته لأوليائك وتوفنا وأنت راضٍ عنا يا كريم، اللهم تقبل منا اليسير واجعلنا يا مولانا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني والعشرون

الاستقامة وأثرها في صلاح الفرد والمجتمع

الحمد لله الذي أرشد العباد إلى ما فيه الخير والسعادة وما يضمن لهم الفوز والفلاح في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسر الخير لمن أراد ووفقه في الطاعة والعبادة، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله خير من التزم أمر به واستقام على المنهج القويم حتى أنه كانت تتورم قدماه من إطالة السجود بين يدي ربه، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**شيبتني هود والوقعة...**»[١]، وقد قيل: إن الذي شيب النبي ﷺ في هود قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك «وفي حديث أبي أسامة: غيرك» قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[٢].

قال بعض الحكماء: الاستقامة توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تردد، وتفويض بلا تدبير.

فاعلم أخي المسلم أن أعظم ما في الإسلام الاستقامة على أوامر الله عز وجل واتباع أخلاق النبي ﷺ واقتفاء سنته وعدم الابتداع في الدين وإنه ليسير على من يسره الله عليه، وإن كانت النفس بطبيعتها تركن إلى الكسل والخمول والشهوات والملذات، لكن الإنسان صاحب العزيمة القوية والهمة العالية

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٤٠٢ ح (٣٢٩٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١١٣ برقم (٢٦٢٧).

(٢) رواه مسلم ١/ ٦٥ ح (٣٨).

والإيمان الصحيح والعقيدة الراسخة يستطيع بفضل الله تعالى أن ينتصر على هذه النفس ويلزمها مداومة الطاعة، ويبعدها عن المعصية.

والمستقيم هو الذي يتميز في الناس عن غيره فهو كالجبل لا يذيبه الحر ولا يضره البرد، ولا يحركه الريح ولا يذهب به السيل العظيم، إذا أسيء إليه قابل الإساءة بالإحسان يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

والمستقيم لا يشغله متاع الحياة الدنيا وزخرفها الزائل عن عبادة ربه سبحانه وتعالى وتجده صبوراً في الشدائد، ثابتاً عند البلايا، والمرء إذا عود نفسه أن يراقب الله تعالى عند كل عمل عمله موقناً أن الله تعالى مطلع على جميع أعمال العباد ومعتقداً أنه تعالى يجازي من أطاعه برضوانه وإحسانه، وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه؛ فإذا عود نفسه ذلك سهل عليه أن يفعل ما أمره الله به، ويجتنب ما نهاه الله عنه ويترك المنكرات، ويسارع إلى الخيرات، صارت الاستقامة له عادة ينتقل بها من وهدة الشقاء إلى ذروة العز والسعادة والهناء، يخرج بها من الظلمات إلى النور لأن الاستقامة هي امتثال كل مأمور واجتناب كل منهي.

أيها المؤمنون: اعلموا أن منزلة المستقيمين عند الله عز وجل منزلة عظيمة رفيعة فهم الآمنون حيث يفزع الناس، وهم في الدرجات العلى في الجنة بل ويخلدون فيها وهذا جزاء ما قدموا من صنوف البر وأنواع الحسنات العلمية والعملية والمآثر النافعة لهم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

أما أثر الاستقامة في صلاح الفرد والمجتمع فهو كالآتي:

المستقيم إذا كان حاكماً صلحت رعيته، وإذا كان مدرساً فلح على يديه تلاميذه، وإذا كان صانعاً تقدمت صناعته ونجحت، وإذا كان تاجراً ربحت تجارته وبارك الله له فيها، وإذا كان زارعاً كثر خيره، ونما زرعه، وبورك له في عمل يده، وإذا كان رب أسرة استقام أهله وصلحت ذريته ولا ريب أنه

متى استقام الأفراد وصلح حالهم استقامت الأسر، ومتى استقامت الأسر استقامت الأمة بأسرها وغنيٌ عن البيان أن كل أمة يكون حظها من الرقي والسعادة على قدر حظ أفرادها من الاستقامة وسلوك المنهج القويم والسير على الصراط المستقيم.

اللهم ثبت قلوبنا على دينك، وصرف قلوبنا إلى طاعتك وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واغفر لنا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثالث والعشرون

الأخوة في الله وحقوقها

الحمد لله الذي ألف بين قلوب أوليائه، فأصبحوا بنعمته إخواناً ونزع الغل من صدورهم فصاروا في الدنيا أخداناً وفي الآخرة خلاناً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه قولاً وفعلا وعدلاً وإحساناً، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم: ٩٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[(٢)].

ويقول ابن رجب رحمه الله: ومن تمام محبة الله محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه فمن أحب شيئاً مما كرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل

(١) رواه مسلم ٣/١٩٨٨ ح (٢٥٦٦).
(٢) رواه مسلم ٣/١٩٨٨ ح (٢٥٦٧).

توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما أحبه الله أو أحبه مما كرهه الله[١].

وقال بعضهم:

وأحبب لحب الله من كان مؤمناً ... وأبغض لبغض الله أهل التمرد

وما الدين إلا الحب والبغض والولا ... كذاك البرا من كل غاوٍ ومعتدي

فما أعظم هذه الفضيلة وهي فضيلة الأخوة في الله، التي تصل أحياناً إلى أن يشعر طرفاها أنهما شخص واحد بوجدان واحد، ويتضح هذا المعنى العظيم في مقولة أبي بكر رضي الله عنه في أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة مع رسول الله ﷺ حين قدم للرسول اللبن ليشرب اللبن يقول أبو بكر: فشرب رسول الله حتى رضيت[٢].

وضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أروع الأمثلة في التضحية والفداء والأخوة في الله حين نام مكان الرسول ﷺ أثناء الهجرة ليفديه بنفسه، وقدم الكفار ليقتلوا الرسول ﷺ ودخلوا على عليّ لكي يمزقوه بسيوفهم ظانين أنه الرسول ﷺ لكن خاب أملهم ولم يجدوا الرسول ﷺ فكان قد خرج متجهاً إلى غار ثور.

وفي هذا المعنى العظيم وهذه التضحية الكبيرة يقول أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله المفسر: رأيت في بعض الكتب أن رسول الله ﷺ لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه وقال له: **اتشح ببردي الأخضر الحضرمي؛ فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى**، ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة.

فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين

---

(١) موارد الظمآن ١/ ٧١٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩١، ٤٩٢.

نبيي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثر بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبريل عند رأس علي، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ! من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله ﷻ بك الملائكة، فأنزل الله ﷻ على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي[1] قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]، هكذا أخي المسلم يجب أن تكون الأخوة في الله يعلوها الإيثار والتضحية والبذل والعطاء وقضاء الحوائج.

وإن من حقوق الأخوة في الله إجمالاً: إفشاء السلام، ورد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، والاهتمام بالمنصوح له، والتنفيس عن المكروب، والتيسير على المعسر، والإغضاء عن العيوب، والابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم والتحقير وغيره، وتحريم الهجر أكثر من ثلاثة أيام إذا كان الهجر لأسباب شخصية، والتفاعل مع الأخوة كل الأمور والأحوال والتغاضي عن الأخطاء، وستر العيوب، وحفظ الغيبة، وجواز الأكل من بيت الصديق بدون إذنه إلخ.

هذه الحقوق التي تحدثنا عن أهمها في حديثنا عن خلق الإيثار ضمن الأخلاق الفاضلة مستدلين على ذلك بالأدلة من القرآن والسنة، وذكرنا بعض النماذج الحية تبين هذه الحقوق من خلال واقع الصحابة رضوان الله عليهم فمن شاء فليرجع إليها في مكانها.

اللهم اجعلنا من المتحابين بجلالك، المستظلين تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم اجعلنا لكتابك الكريم من التالين، ولقضاء حوائج المسلمين ساعين ولإصلاح ذات البين مشمرين، وبذلك على الله متوكلين، ولأكف الدعاء رافعين، اللهم اجمع شمل المسلمين المخلصين من عبادك الموحدين على طاعتك واجعلهم من الفائزين بجنتك يا كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أسد الغابة ٤/ ١٠٣، ١٠٤ رقم الترجمة (٣٧٨٣)، والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٥/ ٢٠٤ تفسير سورة البقرة.

الدرس الرابع والعشرون

آداب الاستئذان والزيارة

الحمد لله الذي جعل لنا من بيوتنا سكناً نفيء إليها فتسكن أرواحنا وتطمئن نفوسنا ونأمن على عوراتنا وحرماتنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حبيبنا وشفيعنا وقائدنا ورائدنا والقدوة الحسنة إلى يوم الدين، خير من التزم بآداب الاستئذان على الغير وخير من اتبع الصراط المستقيم صراط الله رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٩].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأته لم يكن عليك جناح**»[١].

من خلال النصوص السابقة يتبين لنا أن المسلم عليه أن يلتزم بآداب الاستئذان قبل أن يدخل بيت غيره، لأن البيوت لها حرمة لا يجوز المساس بها فلا يفاجأ الناس بدخول الغرباء عليهم في بيوتهم إلا بعد استئذانهم وسماحهم لهم بالدخول خيفة أن تطلع الأعين على خفايا البيوت وعلى عورات أهلها وهم غافلون؛ لأنه إذا التقت عيون الداخلين بمفاتن تثير

(١) رواه البخاري ٨/ ٤٥ كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له.

الشهوات تهيأت فرصة الغواية وتحولت هذه النظرات إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات أو إلى شهوات محرمة، ولقد كان الناس في الجاهلية يهجمون هجوماً على البيوت فيدخل الزائر البيت ثم يقول لقد دخلت، وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراهما عليهما أحد.

فلما جاء الإسلام وجاء نبينا محمد ﷺ بالقرآن أنزل الله ﷻ في كتابه العزيز آيات تبين آداب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم، وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول، **ومن هذه الآداب:**

١ ـ على المؤمن أن يستأذن عند دخول بيت غيره، وقد أجاز بعض أهل العلم دخول البيت بدون إذن في حالات الضرورة كوجود حريق أو طلب النجدة من داخل البيت أو خوف هلاك معصوم من الصغار أو من في حكمهم أو غير هذه الأمور مما يأخذ حكمها.

٢ ـ ينبغي للمؤمن أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع والرجوع هنا للوجوب، قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٨]، فعن قيس بن سعد رضي الله عنه هو ابن عبادة قال: زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله**، فرد سعد رداً خفياً قال قيس: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: ذره يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: **السلام عليكم ورحمة الله**، فرد سعد رداً خفياً، ثم قال رسول الله ﷺ: **السلام عليكم ورحمة الله**»، ثم رجع رسول الله ﷺ وأتبعه سعد فقال: يا رسول الله، إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام، فقال: فانصرف معه رسول الله ﷺ فأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها، ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «**اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة...**»[(١)].

---

(١) رواه أبو داود ٥/ ٣٧٢، ٣٧٣ ح (٥١٨٥)، وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ص٥١١، ٥١٢ برقم ١١١١: ضعيف الإسناد.

هكذا يعلمنا الصادق الأمين وهو المثل الأعلى لنا في الأخلاق أن المسلم إذا استأذن فله أن يستأذن ثلاثاً، فإن أذن له وإلا رجع.

٣ ـ من مظاهر الاستئذان إلقاء السلام كما اتضح من هديه ﷺ في الحديث السابق وفعله صلاة الله وسلامه عليه مع سعد بن عبادة رضي الله عنه.

٤ ـ ألا يقف الزائر تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليجعل الباب عن يمينه أو عن يساره، عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، فيقول: **السلام عليكم، السلام عليكم**»(١)، وذلك أن الدور لم يكن يومئذ عليها ستور.

٥ ـ على الزائر أن يفصح عن اسمه أو كنيته المشهور بها ولا يقل «أنا» ليطمئن أهل البيت وينزع الوجس من نفوسهم، عن محمد بن المنكدر رحمه الله قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: «أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال: **من ذا؟** فقلت: أنا، فقال: **أنا أنا كأنه كرهها**»(٢).

وقال بعضهم: ما قال أنا إلا اثنين: فرعون عندما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وإبليس أعاذنا الله منه عندما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص: ٧٦]، فأما الأول فأغرق هو وجنوده ونُجي بدنه ليكون عبرة لمن يخشى، والثاني طرد من رحمة الله وأصبح مكانه الحمام.

٦ ـ على المؤمن أن يستأذن على أمه أو أخته، روى عطاء بن رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت: أأستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال: تحب أن تراها عريانة، قلت: لا، قال: فاستأذن، قال: فراجعته أيضاً فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قال: قلت: نعم، قال: فاستأذن(٣).

---

(١) رواه أبو داود ٥/ ٣٧٤ ح (٥١٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٧٤ برقم (٤٣١٨).

(٢) رواه البخاري ٧/ ١٣١، كتاب الاستئذان، باب إذا قال: من ذا؟ قال: أنا.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٠.

٧ ـ حرمة الدخول إذا لم يكن في البيت أحد: يقول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ [النور: ٢٨]

٨ ـ البيوت غير المسكونة لا حرج من دخولها: مثل الفنادق والخانات وبيوت التجار وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩].

اللهم أدبنا بأدب الإسلام، اللهم احمنا عن أسباب الشر والفساد، ويسرنا للعمل بالباقيات الصالحات بالجد والاجتهاد، اللهم كلل أعمالنا بالنجاح والسداد، وأدخلنا الجنة مع أوليائك خير العباد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار الأمجاد.



الدرس الخامس والعشرون

أسباب المغفرة وأسباب العذاب

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسعت رحمته كل شيء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، والله ﷻ يغفر للعبد جميع الذنوب ما عدا الشرك بالله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

ولكي يغفر الله ﷻ لعبده فلذلك أسباب منها:

١ ـ التوبة النصوح في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]؛ فإذا تبتم أفلحتم ونجحتم وسعدتم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

٢ ـ الإيمان الصادق بالله تعالى، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، والإيمان بالملائكة، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والإيمان بالكتب المنزلة وأن أفضلها هو القرآن الكريم الدستور الخالد إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

والإيمان بالرسل جميعاً وفي مقدمتهم وخاتمهم محمد ﷺ خير الخلق

وخير الرسل أجمعين أرسله الله رحمة للعالمين، والإيمان باليوم الآخر وبالبعث والنشر والجزاء والحساب، والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... **فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه...**»[1].

٣ ـ العمل الصالح الخالص: فالعمل لا يكون مقبولاً لدى رب العالمين حتى يكون موافقاً للكتاب والسنة ويكون خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى.

٤ ـ الثبات والاستقامة على هذا الإيمان وهذا العمل الصالح، عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك «وفي حديث أبي أسامة: غيرك» قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[2]، فهلا استقمنا أحبتي في الله على الإيمان بالله تعالى وعملنا بهذه الأسباب علنا نفوز برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وننال مغفرته ورضوانه.

أسباب العذاب:

لنزول عذاب الله على العبد أسباب كثيرة لكننا نذكر منها هنا الأهم والأخطر:

١ ـ تكذيب القلب لخبر الله وخبر رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤ ـ ١٦]؛ فيا سبحان الله يوجد نفر من المسلمين لم يكتمل إيمانهم بعد لا يصدقون بخبر الله وخبر رسوله ﷺ ولا يثقون في قدرة الله تعالى ولا يحسنون الظن بالله! عن

---

(١) رواه مسلم ٢/ ١٤٧٢، ١٤٧٣ ح (١٨٤٤).

(٢) رواه مسلم ١/ ٦٥ ح (٣٨).

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(١).

وهنا نجد أن اليهود عليهم لعائن الله قد صدقوا خبر الرسول وقاموا بزرع ستة ملايين شجرة من شجر الغرقد، على صعيد آخر نرى بعضاً من المسلمين لا يصدقون أنه سيأتي اليوم الذي ينتصر فيه المسلمون على اليهود وتعلو كلمة الله، وذلك ما هو إلا تكذيب لخبر الله وخبر رسوله ﷺ الذي يمكن أن ينتج عنه نزول عذاب الله عليهم.

٢ ـ إعراض جسد العبد عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار، ربنا كفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار برحمتك يا عزيز يا غفار.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه مسلم ٣/ ٢٢٣٩ ح (٢٩٢٢).

الدرس السادس والعشرون

أسباب النجاة وأسباب الرزق

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الصادق الأمين، أما بعد:

فيقول الشاعر:

بأربعة أرجو نجاتي وإنها … لآكد مذخور لدي وأعظم

شهادة إخلاص وحبي محمداً … وحسن ظنوني ثم إني مسلم

ذكر الشاعر في البيتين السابقين أربعة أسباب للنجاة وهي:

١ ـ شهادة أن لا إله إلا الله عن علم ويقين وصدق ومحبة وانقياد وقبول لما دلت عليه من الأمور والنواهي، عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»(١).

٢ ـ حب رسول الله محمد ﷺ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٢).

ولا شك أن محبة الله ومحبة رسوله ﷺ تقتضي الانقياد والمتابعة والطاعة في كل شيء قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(٣)، وصدق من تحدث عن صدق حب العبد لله تعالى وعلامة ذلك حيث قال:

---

(١) رواه مسلم ١/٥٣ ح (٢٣).

(٢) رواه البخاري ١/٩، كتاب الإيمان باب حب الرسول من الإيمان.

(٣) أخرجه النووي في الأربعين ح (٤١)، وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣/٢٨٩: رجاله ثقات.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حقاً ما تقول أطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

٣ ـ حسن الظن بالله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي...**»[(١)]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** عز وجل»[(٢)]؛ لأن ذلك من متممات الإيمان الأساسية والتي لا بد منها.

٤ ـ الاستسلام لله والانقياد له بالقول والعمل: فالمسلم في إسلامه يرتكز على ثلاثة ركائز مهمة:

ـ اللسان ينطق بالشهادتين.

ـ القلب يصدق ذلك ويوقن به ويعتقده.

ـ الجوارح تعمل بمقتضى ذلك في مرضاة الله عز وجل.

فعلى المسلم الحقيقي ألا يأتي بواحدة ويترك أخرى وإلا احتاج إسلامه إلى نظر؛ فإذا نطق لسانه بالإسلام وصدق ذلك قلبه فعليه أن يتقي الله ويصرف أفعال جوارحه فيما يرضي الله؛ فالعين لا تنظر إلا إلى ما أحل الله، واللسان لا يتكلم إلا في ذكر الله وما والاه، والأذان لا تسمع إلا ما يرضي الله، واليد والقدم لا يتحركان إلا فيما يرضي الله، والقلب لا يسع إلا الخير والحب والتعاون والمودة والإخاء والمواساة والمساعدة للمسلمين، بل الجسد كله لا ينصرف إلا لخدمة دين الله عز وجل.

أسباب الرزق:

للحصول على الرزق أسباب لا بد على العبد أن يتبعها ومنها:

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٧١، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾.

(٢) رواه مسلم ٣/ ٢٢٠٦ ح (٢٨٧٧).

١ ـ السعي في تحصيله: يقول تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

٢ ـ تقوى الله ﷻ: التي أجمل ابن مسعود رضي الله عنه تعريفها فقال: «تقوى الله أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر»، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٣ ـ الاستغفار: والاستغفار جعله الله سبحانه وتعالى سبباً في نزول المطر، وجعله سبباً في الحصول على الرزق، وسبباً في أن يرزق الله العبد بنعمة الأولاد وهي من أجل نعم الله ﷻ على العبد يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، ويقول ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب**»[(١)].

٤ ـ التوكل على الله والاعتماد عليه والاستعانة به سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وصدق من قال: «من اعتمد على الناس مل، ومن اعتمد على ماله قل، ومن اعتمد على عقله ضل، ومن اعتمد على سلطانه ذل، ومن اعتمد على الله فلا مل، ولا قل، ولا ضل، ولا ذل».

٥ ـ الدعاء بحصول الرزق: فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين فمن دعا الله بإخلاص استجاب الله منه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والله سبحانه وتعالى قد تكفل بأمر الرزق وأقسم ربنا ﷻ على ذلك فقال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، حتى أن أعرابياً لما سمع هذه الآية قال: من أغضب الحليم حتى يقسم!! يارب إنا لموقنون بذلك، والله سبحانه وتعالى الذي أمر بالدعاء هو الذي تكفل بالإجابة.

(١) رواه أبو داود ١٧٨/٢، ١٧٩ ح (١٥١٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٦ ـ شكر الله على نعمه: فكفى بنعمة الخلق نعمة، وما أعظم نعمة الهداية على الإسلام، بل ما أعظم نعمة الالتزام بالإسلام، والشكر أحبتي في الله قرن بالزيادة قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، اللهم ارزقنا رزقاً واسعاً حلالاً طيباً كثيراً مباركاً فيه، اللهم طهر أرزاقنا من الحرام، اللهم اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً وارزقنا من حيث لا نحتسب، اللهم ارزقنا القناعة والحفاظ على صلاة الجماعة، اللهم وفقنا إلى طاعتك وباعد بيننا وبين معاصيك، وارحم أمة محمد رحمة عامة يا كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس السابع والعشرون

موجبات الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، والحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أسبغ نعمه على العباد ظاهراً وباطناً، وأشهد أن محمداً رسول الله خير من شكر الله على نعمته حتى إنه تورمت قدماه من إطالة الوقوف بين يدي ربه في الصلاة مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليضرب لنا أروع الأمثلة في شكر الله على نعمه والتي من أعظمها التوفيق في الطاعة، أما بعد:

فعن عبد الله بن محصن الحظمي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**»[(١)].

وقال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى ... وكان صحيحاً جسمه وهو في أمن

فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها ... وحق عليه الشكر لله ذي المن

فيا سبحان الله من يمتلك هذه الأشياء فقط فكأنما حيزت له الدنيا!! فما بال من ملك أضعاف ذلك مئات المرات ما كان يجب عليه من شكر لله تعالى؟ فالمسلم إذا أراد أن تستقر عليه هذه النعم فليحمد الله ﷻ ويشكره بقلبه ولسانه وعمله؛ بمحبته وطاعته لله تعالى، وليمتثل أوامر الله ويجتنب

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٥٧٤ ح (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب.

نواهيه، وليفعل ما أوجب وليترك ما حرم، وليكثر من ذكر الله تعالى، وليكثر من شكره سبحانه، وليحافظ على أحسن العبادة وليدعُ الله ليل نهار أن يوفقه في ذلك.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فعلى العبد أن ينتبه لهذا الأمر العظيم وهو الدعاء فالله ﷻ هو الذي رزقنا بنعمه العظيمة وأسبغها علينا ظاهرة وباطنة وهو الذي علمنا ﷻ الدعاء وآدابه ثم بعد ذلك يستجيب منا هذا الدعاء ويعتبر أن كلمة «الحمد لله» من أساليب شكره على هذه النعم العظيمة؛ فيا لكرم الله تعالى الكريم اللطيف بعباده، ويا لعظمة الإسلام ويسره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا...**»[(١)].

وليحافظ العبد على نعم الله عليه ولا يصرفها إلا في الوجه الذي يرضي الله؛ لأنه مسؤول عن ذلك يوم القيامة، وليعلم العبد أن المعاصي سبب من أسباب زوال النعمة فليتق الله وليكن في طاعته دائماً وليتذكر حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «**الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً**»[(٢)].

وليتذكر قول القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ على شكر الإله دائماً ... فإن الإله سريع النقم

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٥، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ١٣٧٧ ح (٤١١٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٥ برقم (٣٣٢٠).

اللهم اقض عنا الدين واغننا من الفقر برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم وفقنا لشكرك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب لها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس الثامن والعشرون

من هو الفائز في رمضان

الحمد لله أعظم المنة على عباده بما دفع عنهم من غوائل النفس والشيطان، جعل الصيام حصناً للمخلصين وجنّة، وفتح للمتواضعين فيه أبواب الجنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عرف الطائعين أن الشهوات وسيلة الشيطان إلى القلوب، وبقمعها تطمئن النفس وتقوى على قهر الشيطان الرجيم، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله قائد الخلق إلى الحق، الهادي إلى طريق السعادة، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ذوي البصائر الثاقبة والعقول الراجحة، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

نعم والله لقد فاز في رمضان من أنفق في سبيل الله ابتغاء وجهه الكريم، من أقرض الله قرضاً حسناً، لقد فاز في رمضان من صان عن اللغو والفحش صيامه وكف عن الحرام عينيه وأذنيه ولسانه، وتهذبت بالصيام نفسه فكان صابراً متواضعاً تقياً، صادقاً أميناً وفياً، على البؤساء عطوفاً، وبالضعفاء رحيماً.

لقد فاز في رمضان من شمر عن ساعد الجد وجعل صالح الأعمال بضاعته، والتواضع شعاره، والحلم واللين شيمته، والرأفة والرحمة حليته، لقد فاز في رمضان من أجاب نداء حي على الفلاح وحي على الصلاة؛ فأدى الفرائض كلها في المسجد في جماعة، وصام نهار رمضان وقام ليله بين يدي ربه وأخرج صدقة الفطر، وساعد المحتاجين، وجعل نهاره كله في ذكر الله وداوم على قراءة كتاب الله العزيز وتدارس ما فيه.

لقد فاز في رمضان من وصل رحمه وحافظ على حقوق جاره، لقد فاز في رمضان من جعل رمضان بداية عهد جديد وتجديد بيعة مع الله ﷻ، جعل رمضان بداية الانطلاقة المتواصلة نحو عبادة صحيحة لينجو من عذاب الله يوم القيامة، لقد فاز في رمضان من كان حاله بعد رمضان أفضل من سابقه، وحافظ على الصيام والقيام تطوعاً بعد رمضان، ولم يهجر القرآن بل جعل لنفسه ورداً يقرؤه كل يوم بعد رمضان.

دخل رجل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم العيد فوجده يأكل خبزاً جافاً وزيتاً فقال: أمير المؤمنين وخبز جاف يوم العيد؟ فردّ عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلاً له: يا هذا ليس العيد لمن لبس الجديد وأكل الثريد ولكن العيد لمن قبل منه بالأمس صيامه وقبل منه قيامه وغفر له ذنبه وشكر له سعيه فهذا هو العيد واليوم لنا عيد وغداً لنا عيد وكل يوم لا نعصي الله ﷻ فيه فهو عيد.

ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليس العيد من لبس الجديد ولكن العيد من خاف يوم الوعيد.

فاتقوا الله عباد الله واغتنموا هذه الفرصة لتفلحوا وتسعدوا في دنياكم وأخراكم.

اللهم اسلك بنا مسلك الصادقين الأبرار، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وثبت قلوبنا على دينك وانصرنا على أنفسنا وعلى أعدائنا وعلى القوم الكافرين، إنك نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس التاسع والعشرون

وداع رمضان

الحمد لله الدائم فلا يزول، الباقي فلا يتغير، وأشهد أن لا إله إلا الله أجزل الخير للطائعين، وأشهد أن محمداً رسول الله أفضل الصائمين الراكعين الساجدين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين المخلصين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، الذين اتقوا هم الذين عظموا أمر الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، والذين هم محسنون هم أهل الشفقة على خلق الله باحترام الحقوق وحسن المعاملة.

أيها الصائم: ها هو رمضان قد مضى ولم يبق منه إلا القليل، فهلا اتقيت الله فيه؟ وقمت بحقوقه، وحافظت على آدابه، هل أحسنت فيه المعاملة مع خلق الله؟ واحترمت حقوقهم؟

الصيام ينور القلب ويهذب النفس، ويقوي العزيمة، ويعرف العبد مقدار النعمة، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء، فهل استنار قلبك في رمضان بعد ظلمة العصيان؟ هل تهذبت بالصيام نفسك وقويت عزيمتك؟ هل عرفت مقدار النعمة بفقدها فشكرت عليها ربك؟ هل امتلأ قلبك رحمة فعطفت على الأرامل واليتامى؟

أيها الصائم: اتق الله وتدارك ما فرط منك بالتوبة والعمل الصالح.

أيها الصائم: صل الأرحام وواس الأرامل والأيتام، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

أحي ليلة القدر بالطاعة والعطف على الضعفاء والمحرومين، وأخرج

صدقة الفطر فإن الله شرعها جبراً لخاطر الفقراء والأيتام وكفاً لهم عن السؤال في هذه الأيام، بل وسيلة لقبول الصيام، ولتسع في إصلاح ذات البين، ولتحلل نفسك ممن ظلمته، ولتعطف على من أسأت إليه[1].

أيها الصائم: طهر قلبك من الحقد والغل والحسد، وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

أيها الإخوة الصائمون: اعلموا أن عزة الأمم وسعادتها منوطاً بأخلاقها وآدابها، واعتناقها للفضيلة، وابتعادها عن الرذيلة، فالأخلاق الفاضلة روح الأمم والشعوب لا حياة لها إلا بها، ولا رقي لها إلا معها، وعلى مقدار اعتناء الأمة بالتربية الصحيحة وتمسكها بالأدب والفضيلة يكون رقيها، وفلاحها وهناؤها، وصفاء عيشها. يقول الله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

شعراً:

دع البكاء على الأطلال والدار ... واذكر لمن بان من خل ومن جار
وأذر الدموع نحيباً وابك من أسفٍ ... على فراق ليال ذات أنوار
على ليال لشهر الصوم ما جعلت ... إلا لتمحيص آثام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفاً ... واسمع غريب أحاديث وأخباري
ما كان أحسننا والشمل مجتمع ... منّا المصلي ومنّا القانت القاري
وفي التراويح للراحات جامعة ... فيها المصابيح تزهو مثل أزهاري
في ليله ليلة القدر التي شرفت ... حقاً على كل شهر ذات أسرار
تتنزل الروح والأملاك قاطبة ... بإذن رب غفور خالق باري

إنه شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار إذا لم يتب فيه الإنسان فمتى

(١) هداية المرشدين، ص٤٨٣.

يتوب؟ وإذا لم يفز ويربح في مثل هذا الموسم العظيم فمتى سيفوز؟

سلام من الرحمن كل أوان ... على خير شهر قد مضى وزمان

سلام على شهر الصيام فإنه ... أمان من الرحمن كل أمان

لئن كنت يا شهر الصيام منوراً ... لكل فؤاد مظلم وجنان

ترحلت يا شهر الصيام بصومنا ... وقد كنت أنواراً بكل مكان

لئن فنيت أيامك الزهر بغتة ... فما الحزن من قلبي عليك بفان

عليك سلام اللَّه كن شاهداً لنا ... بخير رعاك اللَّه من رمضان

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في مثله فبارك لنا فيه، وإن قضيت بقطع آجالنا فأحسن الخلافة على باقينا، وأوسع الرحمة على ماضينا، وعمنا جميعاً برحمتك وغفرانك، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثلاثون

التحذير من العودة إلى المعاصي بعد رمضان

الحمد لله الدائم الباقي فلا يزول ولا يتغير، الحكيم الذي جعل في انقضاء الأيام والليالي عبرة لمن تفكر، لا إله إلا هو جعل الفلاح لمن عمل بأحكام الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فتح أبواب رحمته لمن داوم على طاعته، وحجب أنوار هدايته عمن انقاد لشهوته وانغمس في حمأة رذيلته، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

أيها الإخوة الأحبة في الله: إن كان رمضان قد مضى طيف خيال وعزمتم على العود إلى التفريط والتقصير في شوال فالله حيٌّ أبديٌّ لا يدركه زوال ولا يفنيه تداول الأوقات وتعاقب الأهلة هلال بعد هلال، فلا تقولوا: الآن ذهب رمضان وتستهلوا شوالاً بالفسوق والعصيان؛ فإن الله تعالى يرضى عمن أطاعه في أي شهر كان، ويغضب على من عصاه في كل وقت وأوان.

أيها الأخ المسلم: عهدناك في رمضان منيباً إلى ربك، تائباً من ذنبك، راغباً في رحمة الله وثوابه، خائفاً من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظاً على أداء الصلوات في الأوقات، حريصاً على شهود الجمعة والجماعات، مقبلاً على مجالس العلم ومستعداً لقبول النصائح والعظات، عهدناك في رمضان مهذباً نقياً، متواضعاً تقياً، فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر الصيام؟

أتراك بعدما ذقت حلاوة الطاعة تعود إلى مرارة العصيان؟ أتراك بعدما صرت من حزب الرحمن تنقلب على عقبيك فتنضم إلى حزب الشيطان؟ أتراك بعدما حسبت في عداد المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين؟ وهل يليق بك بعدما كتبت في جملة الطائعين أن تصير في زمرة العاصين؟ أيليق بك بعدما كنت في رمضان براً تقياً أن تصير في الإفطار جباراً شقياً؟ ما هكذا يكون المؤمن بل ما هكذا يكون العاقل المتبصر.

اعلم أخا الإسلام أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الدنيا عمل ولا حساب، وأن الآخرة حساب ولا عمل، فاتق الله وخذ من دنياك لآخرتك، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، ومن غناك لفقرك، ومن شبابك لهرمك، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب عسير، وهول عظيم، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، يوم يعض الظالم على يديه نادماً على ما جناه.

فحافظ أخي في الله على العبادات التي كنت تقوم بها في رمضان، وابتعد عن المعاصي التي هجرتها في رمضان لأن رب رمضان هو رب شوال ورب الشهور كلها، حتى لاتقع في نطاق قول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

اللهم اجعلنا في شهرنا هذا في يومنا هذا في ليلتنا هذه في ساعتنا هذه من عتقائك من النار ومن المقبولين، اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا معنا ولا منا شقياً ولا محروماً، اللهم اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدروس الخاصة

بصلاة التهجد آخر الليل

الدرس الأول

فضل مجالس العلم

الحمد لله الذي علم القرآن وخلق الإنسان علمه البيان، وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم الحكيم أنزل أول ما أنزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله النبي العربي الأمي أعجز أهل اللغة بفصاحته وعلمه وبيانه مع أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب، فصدق فيه قول القائل؛ حيث أوتي جوامع الكلم:

يا فقيراً وبين جنبيك كنز ... قد تخطى الثراء والأثرياء

يا عليماً وما خططت حروفاً ... أنت أعجزت في الورى العلماء

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾ [الحديد: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) رواه البخاري ٨/١٤٩، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول الرسول ﷺ: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون**» وهم أهل العلم.

رسول الله ﷺ: «... **ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...**»(١).

من خلال النصوص السابقة يتبين لنا أيها الإخوة المؤمنون فضل العلم وفضل من يسعى إليه؛ فالعلم صفة يميز المتصف بها تميزاً جازماً مطابقاً، وقيل: هو إدراك الشيء بحقيقته، والعلم فضله يفوق فضل كل ما اكتسبه الإنسان فهو أشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى، به يتوصل إلى الحقائق، وبه يعرف الحلال والحرام وإذا عمل به الإنسان على وفق الشريعة أدرك رضا الخالق.

والعلم هو وسيلة للفضائل، وهو نور زاهر لمن استضاء به، وقوت هنيء لمن تقوت به، ترتاح به الأنفس إذ هو غذاؤها، وتفرح به الأفئدة إذ هو قواها، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذكراته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير تقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل وتابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء**»(٢).

---

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠٧٤ ح (٢٦٩٩).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٤، ٩٥، وقال: هكذا حدثنيه أبو عبد الله مرفوعاً وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً وهو حديث حسن جداً.

والله جل وعلا لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء من هذه الدنيا إلا من العلم فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

والناس على حق وفي خير وهدى ما دام العلم باقياً في الأرض فإن ذهب العلم بذهاب أهله وقع الناس في الضلال، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[١].

والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٢].

ولقد قسم شيخ الإسلام رحمه الله هذا العلم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ علم بالله وأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك.

٢ ـ علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية وما يكون من الأمور المستقبلة وما هو كائن من الأمور الحاضرة.

٣ ـ العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالجوارح والقلوب من الإيمان بالله ومعرفة القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها وهذا يندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم، بأحكام الأفعال الظاهرة؛ فإن ذلك جزءٌ من جزءٍ من علم الدين[٣].

أما بالنسبة للعلماء فمنزلتهم عند الله عظيمة ودرجتهم عند الله رفيعة، فلقد رفع الله شأنهم، وأعلى منزلتهم، وأجل قدرهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ

---

(١) رواه البخاري ١/ ٣٣، ٣٤، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم.

(٢) رواه أبو داود ٤/ ٥٧، ٥٨، ح (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦٩٤ برقم (٣٠٩٦).

(٣) بتصرف يسير من مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٩٦، ٣٩٧.

ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚﵞ [المجادلة: ١١]، ولم لا؟ وقد شهد الله جل وعلا لهم بهذه الشهادة الزكية في قوله تعالى: ﵟإِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗﵞ [فاطر: ٢٨]؛ أي: إنما يخاف الله ﻷ ويقدره حق قدره من عرفه، وعلم عظيم قدرته وسلطانه على خلقه نتيجة التأمل في أسرار الكون والشرع وهم العلماء وهذه الخشية إنما تحفز على عمل الصالحات، واجتناب السيئات.

ويقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: «إن أدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ من النفاق والرياء»[(١)].

والعلم لا يعطاه إلا من رضي الله عنه لذا تجده محبوباً بين الناس، كلمته لها وزن، يرجع إليه في كثير من الأمور، رأيه سديد؛ لأنه يستمد ما يقول من القرآن والسنة، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فضل العلماء:

الناس في جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة ... وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يك لهم من أصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... وللرجال على الأفعال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعداء[(٢)]

ولتحصيل العلم أسباب وطرق موصلة إليه على طالب العلم أن ينتبه إليها ومنها:

١ ـ اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وهو العليم الخبير الذي علّم داود وفهّم سليمان ولنا في نبينا محمد ﷺ الأسوة الحسنة فلقد كان الرسول يلجأ إلى الله تعالى مستعيناً به سبحانه أن يعلمه وأن ينفعه بما علمه، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥.

(٢) رواه الترمذي ٥/ ٥٧٨ ح (٣٥٩٩)، وقال: حسن غريب.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً...**»(١).

٢ ـ بذل أقصى ما يمكن من جهد ووقت ومال لطلب العلم والصبر على ذلك والحرص على أخذ العلم من أهله المتحققين به، وقديماً قال بعضهم: لقد كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى بطون الكتب وصارت مفاتحه بأيد الرجال، ولما سئل أحدهم بما ينال العلم؟ قال: بالحرص يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع، ورحم الله الشافعي حيث قال:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذٍ وطول زمان(٢)

٣ ـ ترك الذنوب والمعاصي: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله»(٣)، ولما جلس الشافعي بين يدي مالك رحمهما الله وأعجب مالك بذكاء الشافعي وحفظه قال له: يا شافعي: «إني أرى الله قد جعل في قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية»(٤)، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي(٥)

٤ ـ عدم الكبر والحياء: فالحياء يمنع من السؤال والتفقه في أمور الدين وهو مذموم في هذه الحالة لأن أصل الحياء أنه خير كله؛ لهذا تقول أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٦).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله١/٤٨.
(٢) ديوان الإمام الشافعي، ص٨١.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/١٩٦.
(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٠٤، لابن القيم.
(٥) ديوان الإمام الشافعي، ص٥٤.
(٦) انظر صحيح البخاري ١/٤١، ط الكتب الستة.

٥ ـ الإخلاص: والمرء لكي يكون عمله مقبولاً لدى رب العالمين لا بد أن يكون هذا العمل موافقاً للكتاب والسنة، ولا بد أن يبتغى به وجه الله ﷻ، فكل عمل لا يكون لله هو مردود على صاحبه؛ لأنه لم تتوفر فيه شروط قبول العمل الصالح، فقد قال ﷺ: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»(١).

ما يجب على العلماء:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «نِعْمَ المجلس مجلس تنتشر فيه الحكمة وتنشر فيه الرحمة، يعني مجلس العلم»(٢).

ويقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم. أي أنهم بالعلم يخرجون الناس من حد البهائمية إلى حد الإنسانية.

ويقول يحيى بن معاذ رحمه الله: العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة.

وأرقى طائفة في العلماء هم العلماء العاملون بما يعلمون ويتقون الله في علمهم فيبلغونه للناس ولا يكتمونه. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فالعالم الذي لا يعمل بما يعلم شره عظيم على الأمة ووباله وخيم، والله سبحانه وتعالى قد بين لنا خطورة وعظم إثم الذي لا يعمل بما يعلم يقول تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣].

فعلم لا يدفع صاحبه إلى العمل والقرب من الله سبحانه وتعالى والبعد عن معصيته علم لا خير فيه ولا بركة، بل قد يكون وبالاً على صاحبه، فالعلم لا قيمة له بدون عمل، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقياً حتى تكون عالماً ولا

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٣٢ ح (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٣٧ برقم (٢١٣٨).
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٦٠.

تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً»[(١)].

وما أحوجنا حقاً أيها الأحبة في الله إلى وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: «يا حملة العلم اعلموا به، فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل»[(٢)].

فيا سبحان الله، كم من مذكر بالله وهو ناس لله! وكم من مخوف بالله وهو جريء على الله! وكم من مقرب إلى الله وهو بعيد عن الله! وكم من داع إلى الله وهو فارٌّ من الله، وكم من تالٍ لكتاب الله وهو منسلخ من آيات الله! فهلا انزجر وارتدع من أنعم الله عليه بالعلم وبادر بالعمل حتى لا يكون هذا العلم وبالاً عليه يوم القيامة، وصدق من قال:

إذا العلم لم تعمل به كان حجة ... عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما ... يصدق قول المرء ما هو فاعله

وإليكم أيها الإخوة المسلمون: هذا الحديث الذي يخلع القلب ويبكي العين، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان: ما شأنك؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[(٣)] ورحم الله من قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام من الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٧.

(٣) رواه البخاري ٤/ ٩٠، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

ومن أهم صفات هؤلاء العلماء العاملين بما يعلمون:

أنهم يبذلون علمهم ولا يكتمونه عن الناس فهم يقتدون بنبيهم محمد ﷺ ويعلمون أنهم ورثة الأنبياء وأنهم لا بد قائمون بمهمة الرسول ﷺ وهي تبليغ دعوة الله ﷻ وذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأن كتمان العلم والبعد عن هذا الطريق وقد أنعم الله على المرء بالعلم لمن الإثم العظيم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الناس أمر الدين ألجمة الله يوم القيامة بلجام من نار**»(١).

ومن صفاتهم أيضاً أنهم يبينون للناس الحق ولا يخشون في الله لومة لائم، يتصدون للباطل ويدافعون عن الحق ويهاجمون الجهل وأهله، ويبينون للناس التحريف والتأويل والزيغ ليبتعد عنه الناس، ثم ينصحونهم بالحق متمثلين قول النبي ﷺ في الحديث التالي: عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين**»(٢).

ومن صفاتهم أيضاً: أنهم يتورعون في الفتوى: فقد قال الشعبي رحمه الله: لا أدري نصف العلم، وسئل الإمام مالك رحمه الله عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها: لا أدري، وجاء في الأثر: «**أجرؤكم على الفتوى أسرعكم إلى نار جهنم**».

فاتقوا الله أيها العلماء فيما وهبكم الله من علم وتحروا الأمانة فيه

---

(١) رواه ابن ماجه ١/ ٩٧/ ٢٦٥، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ص٢٢ برقم (٥٦).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠، وقال: رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي كذبه ابن معين وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع.

وإياكم أن تفتوا بما هو باطل، فإن أشكل عليكم شيء فارجعوا إلى كبار العلماء والمحققين منهم، وإن روجع أحدكم في فتواه ورأى أن ما أفتى به ليس صحيحاً فليتق الله وليتواضع وليخفض جناحه وليخضع للحق فها هم كبار علمائنا يتورعون عن الإجابة قائلين: هذه المسألة تحتاج إلى بحث، وكم قال سماحة مفتي عام المملكة وعالم الأمة في زمانه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أنظرُ في هذه المسألة أو راجعني بعد مدة وهذا منه حفظه الله ورع وتعليم لطلابه، وما أبلغ أثر الدرس العلمي وأنفعه.

وإن أهم ما يجب على طالب العلم كما ذكرنا آنفاً أن يحصله هو العلم الشرعي الذي به يتفقه في دينه ويفقه الناس ليعبدوا الله على بصيرة فينجوا من عذاب الله يوم القيامة.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً، اللهم اجعلنا من العلماء العاملين بما يعلمون، اللهم اجعل العلم حجة لنا لا علينا، اللهم فقهنا في ديننا، اللهم ارزقنا حب الخير وأهله وبغض الشر وأهله، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني

آفات اللسان

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله، وعلمه البيان فقدمه به وفضله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه ستراً من رحمته وأسبله، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي أرسله، وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصّله ونطق سهله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله الذي أكرمه، ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله، أما بعد:

فاللسان من نعم الله العظيمة على الإنسان ومن لطائف صنع الخالق الغريبة فهو صغير في حجمه عظيم في جرمه، فلا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، وما من شيء موجود أو معدود متخيل أو معلوم، مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، بل كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناول له.

وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء حيث إن اللسان له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجون من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وقد سبق أن تحدثنا عن بعض آفات اللسان من خلال حديثنا عن

الأخلاق الذميمة؛ لذا سنتناول هنا أهم الآفات خاصة المشتهر منها في واقع المسلمين وكثيرة الحدوث ومنها على سبيل المثال:

١ ـ الكذب:

يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠]، ويقول تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٥].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[(١)]، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»[(٢)].

وقد عد النبي ﷺ الكذب من صفات المنافقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمن خان**»[(٣)].

فالكذب صفة ذميمة لا ينبغي أن تكون بمسلم؛ لأن من يتخذ الكذب سجية له يؤدي به إلى ذنوب كثيرة وعاقبة وخيمة وغضب الله إلى يوم القيامة، وإن من أعظمهم وأكبرهم جرماً أولئك الذين يكذبون على الله ورسوله ﷺ، فالكذب على الله كتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

---

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠١٣ ح (٢٦٠٧).

(٢) رواه الترمذي ٤/ ٦٦٨ ح (٢٥١٨)، قال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٦٢، ١٦٣، كتاب الشهادات، باب من أمر بنجاز الوعد.

أما الكذب على الرسول ﷺ فقد ورد في تغليظه أحاديث كثيرة منها: ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... **ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

أمّا ما يجوز من الكذب: فقد قال ابن شهاب رحمه الله: لم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إلى امرأته، وحديث المرأة زوجها، عن أم كلثوم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**»(٢).

٢ ـ إفشاء السر:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

فالمؤمن الكريم يحضر في نفسه محاسن أخيه المؤمن لينبعث من قلبه الود والاحترام والتوقير له، أما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوئ والعيوب، والمؤمن يلتمس لأخيه الأعذار، أما المنافق فهو يطلب العثرات ومن علامات الطبع اللئيم إفشاء السر عند الغضب، لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها(٣)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق**»(٤).

---

(١) رواه البخاري ٣٦/١، كتاب العلم، باب إثم من كذب على الرسول.

(٢) رواه البخاري ١٦٦/٣، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

(٣) آفات اللسان لإبراهيم المشوخي.

(٤) رواه أبو داود ١٨٩/٥ ح (٤٨٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ص٤٨٠ رقم (١٠٣٧).

وإفشاء السر ينقسم إلى قسمين:

١ ـ **إفشاء الإنسان سر نفسه**: وقد يكون ذلك بسبب فشل الإنسان، وربما كان هذا الإفشاء سبباً في ذُل الإنسان لمن أفشى إليه السر، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره، وقال أحدهم:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

٢ ـ **إفشاء سر الغير**: وهذا أخطر وأشد لأنه أمانة وإفشاؤه خيانة والخيانة من علامات النفاق، وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمساً: لا تفشين له سراً، ولا تغتبن عنده أحداً، ولا تجرين عليه كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة. فما ينبغي للمؤمن أن يفشي السر؛ لأن ذلك ليس من صفات المؤمنين كما أوضحنا سابقاً.

٣ ـ اللعن:

فاللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ولذلك كان أمراً عظيماً، لا يجوز لأحد أن يحكم على أحد بالطرد من رحمة الله إلا من حكم الله عليه بذلك، فلا يجوز لمسلم أن يلعن حيواناً أو جماداً، ومن باب أولى الإنسان، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار**»(١)، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**»، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس وما يعرض لها أحد(٢).

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٣٥٠ ح (١٩٧٦)، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم ١٣/ ٢٠٠٤ ح (٢٥٩٥).

أما لعن الآدمي ففيه تفصيل:

يجوز اللعن بالوصف العام كأن تقول: لعنة الله على الكافرين والظالمين والفاسقين.

ـ يجوز اللعن بوصف خاص كأن تقول: لعنة الله على اليهود، والنصارى، والمجوس والخوارج والرافضة، وآكلي الربا وغيرهم.

لا يجوز لعن شخص بعينه إلا من ثبتت لعنته شرعاً كأن تقول: فرعون لعنه الله، وأبو لهب لعنه الله.

فعلى المسلم أن يتحفظ من ذلك وأن ينتبه، لأنه ربما قال كلمة واحدة أودت به إلى قعر نار جهنم وذلك إذا قالها في سخط من الله ولم يلق لها بالاً.

٤ ـ السخرية والاستهزاء:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[١].

فربما كان من يحقره الناس ويسخرون منه ويستهزئون به أعظم قدراً عند الله تعالى ممن له قدر في الدنيا فالناس يتفاوتون بحسب التقوى يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وحينئذ فقد يكون كثير ممن له صورة حسنة أو مال أو جاه أو رياسة في الدنيا قلبه خراب من التقوى، ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوء

(١) رواه أبو داود ٥/ ١٩٥، ١٩٦ ح (٤٨٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٢٤ برقم (٤٠٨٥).

بالتقوى فيكون أكرم عند الله تعالى وأعظم حظاً، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: **ما رأيك في هذا؟** فقال: رجل من أشراف الناس. هذا والله حريٌ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ: **ما رأيك في هذا؟** فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: **هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا**»(١).

فاتقوا الله عباد الله وابتعدوا عن هذه الآفة لأن الباعث عليها هوالكبر والكبر صفة ذميمة لا ينبغي أن توجد في إنسان مؤمن يتحلى باخلاق النبي ﷺ ويعلم يقيناً أنه موقوف بين يدي الجبار المتكبر سبحانه وتعالى ومسؤول عما قدم في دنياه، فلنحفظ ألسنتنا مما يغضب الله، ولنجعلها دائماً رطبة بذكر الله حتى نفوز بسعادة الدارين ونفوز بشفاعة النبي محمد ﷺ.

اللهم طهر ألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة وقلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، اللهم احمنا عن الميل والركون الى الباطل أو الخوض فيه، اللهم حبب إلينا الحق وأهله، اللهم إنا نسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك ان تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.



(١) رواه البخاري ١٧٨/٧، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر.

الدرس الثالث

الدعاء وآدابه

الحمد لله الرحمن الرحيم، مجيب دعاء المضطربين، وكاشف هم المهمومين ومنفس كرب المكروبين، تسير أمور الكون كله بأمره ﷻ بين حرفين: الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القادر على كل شيء، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله كان إذا حزبه أمر هرع إلى مصلاه لجأ إلى ربه ودعاه، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(١).

فالدعاء أخي المسلم هو تلك العبادة الروحية العظيمة، التي يحس فيها المخلوق بعظمة الخالق، حيث يلجأ العبد إلى ربه، بعد أن تنقطع عنه الأسباب، وتعجز عنه الحيل، وتتخلى عنه الماديات؛ فيتوجه تلقائياً إلى خالقه وبارئه لينال عنده الشعور بالطمأنينة، والراحة والسكن والأمن، وليجد ما لم يجده عند البشر من عطاء، كيف لا وهو قد لجأ إلى رب الأرباب، وملك الملوك الغني الحميد القادر على كل شيء والقادر على أن يحقق للعبد ما يريده.

وصدق من قال: من أنزل همه بالناس زاد ومن أنزل همه بالله زال؛ لأنه عندما ينزل همه بالناس يزيدونه همّاً على هم لكنه إذا أنزله بالقادر ﷻ فهو

---

(١) رواه مسلم ١/ ٣٥٠ ح (٤٨٢).

يزول؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا قال للهمِّ زُل سيزول بإذنه وقدرته سبحانه؛ لأنه على كل شيء قدير.

ولنا في نبينا الأسوة الحسنة فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، فلقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمن عندما تضيق به الأمور وتكثر عليه الأحزان فعليه أن يلجأ إلى الله عز وجل فهو وحده سبحانه الكاشف لها، ويتضح ذلك جلياً عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف سنة عشر من البعثة ليدعو أهلها إلى الإسلام لكنه لم يؤمن به أحد بل أغروا سفهاءهم وعبيدهم ليرموه بالحجارة ووقفوا له صفين وهم يرجمون عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثه يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه لحائط عتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاث أميال من الطائف فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى الرسول حبلة من عنب فجلس تحت ظلها.

وهنا يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية اللجوء إلى الله عز وجل أن يكشف ما بنا من ضر فهو سبحانه أرحم الراحمين في هذه اللحظات يرفع الرسول يديه إلى السماء ويدعو بهذا الدعاء الجامع الذي يقول فيه: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(١)].

رب ضائقة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

وصدق من قال:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٤٢، ١٤٣، بتصرف.

فعلى المؤمن أن يلجأ دائماً إلى الله تعالى بالدعاء، ويعلم أنه لا يرد القضاء إلا الدعاء، فليكثر من الدعاء في كل أحواله أن يصلحها الله ﷻ له، يدع الله أن ينصره على نفسه؛ لأنه إذا انتصر عليها كان على غيرها أقدر، ويدع الله أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، وأن يخذل الشرك والمشركين ويدمر أعداء الدين، ولكن عليه أن يدعو وهو موقن بالإجابة.

فلو انتبه المسلمون لوجدوا بين أيديهم سلاحاً يعجز أي مصنع حربي في العالم كله أن يصنعه وهو الدعاء، ولكن هذا السلاح لا يؤدي المفعول ولا النتيجة المرجوة منه إلا إذا أخرج من قلب خالص موقن بقدرة الله ﷻ؛ فاستخدموا هذا السلاح أيها المسلمون ولا تغفلوا عنه حتى لا يصدأ في أيديكم وينتصر عليكم الأعداء بسبب نسيانكم لهذا السلاح وتعليقكم بالدنيا وكراهيتكم للموت.

أيها الأحبة في الله:

اعلموا أن للدعاء وللذكر آداباً كثيرة يجب أن يتحلى بها الداعي وأن ينتبه إليها، ومن هذه الآداب:

١ ـ **الدعاء بباطن الكف**: لما صح عن مالك بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سألتم الله فاسألوه بباطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها**»(١).

٢ ـ **إذا دعا فليعزم** المسألة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لايقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له**»(٢).

٣ ـ **حسن الظن بالله تعالى**: يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) رواه البخاري ٧/ ١٥٣، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له.

(٢) رواه أبو داود ٢/ ١٦٤، ١٦٥ ح١٤٨٦، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٢٧٨ برقم ١٣١٨: حسن صحيح.

٤ ـ **الاعتراف بالذنب**: فعلى العبد أن يعترف بالذنب ويقر بالخطيئة وفي هذا العمل كمال العبودية لله ﷻ، عن أبي بكر الصديق ﵁ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاءً أدعوا به في صلاتي قال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[1].

٥ ـ **للداعي أن يبدأ بنفسه في الدعاء**: يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

٦ ـ **خفض الصوت**: بحيث يكون بين مرتبتي السكوت والجهر لقول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وغير ذلك من الآداب الكثيرة التي يستحب أن يقوم بها الداعي أثناء الدعاء حتى يكون دعاؤه موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، وبعيداً عن البدع، ومقبولاً إن شاء الله لدى رب العالمين.

وعلى المسلم أن يحافظ على الأوراد المشروعة في حله وترحاله حيث إنها تكون له بمثابة الحصن الحصين من الشياطين وتحفظه من كل سوء إذ إنه في قيامه بها يذكر ربه ﷻ، ويقتفي أثر النبي ﷺ ويحفظ نفسه من كل سوء؛ فليحافظ على أذكار الصباح والمساء وعلى الدعاء الوارد قبل الطعام وبعده وعند النوم وعند الاستيقاظ وعند الوضوء، وعند دخول الخلاء وعند الخروج منه، وعند إتيانه أهله، وعند السفر، وعند العودة منه، وعند دخول قرية جديدة نزل بها وفي كل أحواله يحافظ على هذه الأدعية المأثور عن النبي ﷺ ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وعلى المؤمن أن يدعو الله ﷻ ويداوم على ذكرالله في جميع أحواله في السراء والضراء في المكره والمنشط في العسر واليسر ممتثلاً نصيحة النبي ﷺ لابن عباس ﵄ حين قال له: «**يا غلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟**

---

(١) رواه البخاري ١/٢٠٣، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام.

فقلت: بلى، فقال: **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة...**»[١].

ولينتبه المسلم إلى أوقات قبول الدعاء فيبادر بالدعاء فيها ومنها: جوف الليل، والثلث الأخير من الليل، والسدس الأخير من الليل، ويوم الجمعة، ويوم عرفات، ودبر الصلوات المكتوبات، وأثناء السجود، وفي حال صيامه، وفي حال سفره.

اللهم لا تجعل ذنوبنا سبباً لرد دعائنا، اللهم اجعلنا عندك من المقبولين، اللهم شفع فينا عبدك ونبيك محمداً ﷺ، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ونستعيذك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم إنا قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رواه أحمد ٣٠٧/١، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له، ورواه الترمذي ٦٦٧/٤ ح (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

الدرس الرابع

النهي عن الانهماك في طلب الدنيا والعمل للآخرة

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، يعطي ويمنح، ويجود ويصفح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﷻ، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وأشهد أن محمداً رسول الله خير من عمل للآخرة وزهد في الدنيا واستعد للموت خير استعداد فكانت حركاته وسكناته كلها لله ﷻ وبلغ الرسالة وأدى الأمانة فاستحق الفردوس الأعلى، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

إن من ينظر إلى الدنيا ببصيرة نافذة يوقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، من استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، من أحبها أذلته، ومن أبصر إليها أعمته، والناس فيها طائفتان طائفة فطناء أتقياء علموا أن الدنيا ظل زائل، ونعيم حائل، وكأنها أضغاث أحلام، وعرفوا أن هذه الحياة الفانية إنما هي طريق إلى الحياة الباقية؛ فرضوا منها باليسير، وقنعوا فيها بالقليل؛ فاستراحت قلوبهم وأبدانهم وكانوا عند الله تعالى هم المحمودين لم تشغلهم دنياهم عن ذكر ربهم ﷻ، وتدبروا ماذا سيكون مصيرهم، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وما الذي سيبقى معهم منها في قبورهم، أدركوا كل هذا

فتأهبوا للسفر وأعدوا الجواب للحساب فطوبى لهم خافوا فأمنوا وأحسنوا ففازوا.

وطائفة أخرى جهلاء، عمي البصائر، لم ينظروا في الدنيا ولم يتكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا، وبها رضوا، ولها اطمأنوا حتى ألهتهم عن الله تعالى وشغلتهم عن ذكره وطاعته وحق عليهم قول الله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، جعلهم بسبب ذلك ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها، ولم يفعلوا ما يخلصها، وسيرون يوم القيامة من الأهوال ما ينسيهم أرواحهم ويجعلهم حيارى ذاهلين، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢]، خدعتهم الدنيا ولم ينتبهوا لها على الرغم من أنها حذرتهم من نفسها قبل ذلك وبينت لهم عاقبة من يركن إليها بقولها:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذاري حذاري من بطشي وفتكي

فلا يغرركموا مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكِ

وصدق من قال: اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك.

فهؤلاء الطائفة من الناس أقاموا الدنيا فهدمتهم، واغتروا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها من الآمال، وأحبوا طويل الآجال، ونسوا الموت وما وراءه من أهوال ومخاوف فخاب أملهم وضل سعيهم وخسروا الدنيا وما أدركوا الآخرة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[(١)].

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٦٤٢ ح (٢٤٦٥)، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٠٠ برقم (٢٠٠٥).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فاعلموا أيها المسلمون أن الدنيا حقيرة زائلة فانية فعليكم أن لا تتعلقوا بها أو تنهمكوا في طلبها؛ لأن الآخرة فيها عذاب شديد لمن عصى الله وانهمك في الدنيا ولم يعمل للآخرة، أما مغفرة الله ورضوانه سبحانه وتعالى فستكون لمن أطاع الله، واعلموا أن زينة الدنيا العاجلة ما هي إلا متاع الغرور والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مزرعة للآخرة ومطية لنعيمها.

وقد نظر الأنصار ذات مرة إلى بهجة الحياة الدنيا وزخرفها الزائل فلقنهم النبي صلى الله عليه وسلم درساً لا ينسونه وذلك عندما قالوا: «لقي الرسول صلى الله عليه وسلم قومه وقسم عليهم الغنائم ولم يصبنا منها شيء وكان ذلك في غزوة حنين فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة أن يجمع له قومه فجمعهم فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«**يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟** قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: **ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟** قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل، قال: **أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.**

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً

وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا»[١].

ولما دخل أبو الدرداء رضي الله عنه الشام قال: يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح فاجتمعوا إليه فقال: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون، إن الذين كانوا من قبلكم بنوا مشيداً وأملوا بعيداً وجمعوا عتيداً فأصبح أملهم غروراً ومساكنهم قبوراً.

أخي المسلم لن ينفعك إلا عملك الصالح وما قدمته يداك من خير في الدنيا فيوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من سلم قلبه، واعلم أنك لن تجد من يدافع عنك في قبرك، والسفر يا أخي طويل فتزود له، والله عز وجل الجبار المتكبر هو القاضي فاعمل ما ينفعك ويخلصك من المنكر والنكير وأنت بصير على نفسك.

شعر:

وأنزلوني في قبري على مهل	وأنزلوا واحداً منهم يلحدني
وكشف الثوب عن وجهي لينظرني	وأسبل الدمع من عينيه أغرقني
فقام محتزماً بالعزم مشتملاً	وصفف اللبن من فوقي وفارقني
وقال هلوا عليه التراب واغتنموا	حسن الثوب من الرحمن ذي المنن
في ظلمة القبر لا أم هناك ولا	أب شفيق ولا أخ يؤنسني
وأودعوني ولجوا في سؤالهموا	ما لي سواك إلهي من يخلصني
وهالني صورة في العين إذ نظرت	من هو مطلع ما قد كان أدهشني
من منكر ونكير ما أقول لهم	إذ هالني منهما ما كان أفزعني
فامنن عليّ بعفوك منك يا أملي	فإنني موثق بالذنب مرتهن
تقاسم الأهل مالي بعدما انصرفوا	وصار وزري على ظهري فأثقلني
فلا تغرنك الدنيا وزينتها	وانظر إلى فعلها في الأهل والوطن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها	هل راح منها بغير الزاد والكفن
خذ القناعة من دنياك وارض بها	لو لم يكن لك إلا راحة البدن

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٩، ٥٠٠.

يا نفس كفي عن العصيان واكتسبي   فعلاً جميلاً لعل الله يرحمني

اللهم أيقظنا من غفلتنا بفضلك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وألحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك، اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا، اللهم اجعلنا من الزاهدين في الدنيا المقبلين على الآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار برحمتك يا عزيز يا غفار.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس الخامس

حقوق الآباء على الأبناء وحقوق الأبناء على الآباء

الحمد لله الخالق لكل مخلوق، جعل الطين يرى ويسمع ويشم ويذوق، وهب له العقل وبين له طريق الطاعة وطريق الفسوق، هيأ له الرزق وترك له الخيار في البر بالوالدين أو العقوق، فمن شكر الله على نعمته فقد نجا ومن كفر فبالنار محروق، أحمده تبارك وتعالى حمداً يكافئ الفضل المسوق، وأعوذ بنور وجهه الكريم من ظلم الحقوق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة التوكل والوثوق، شهادة الأمن إذا خسف القمر ولحق بالبصر البروق، سبحانه المدبر للأمور من الأزل فالحق يعلو وكل باطل مزهوق، قدر الأقوات لمن أطاع ولمن عصى والكل بفضله ومن فضله مرزوق، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الله الصادق المصدوق، ما نطق عن الهوى بل وحي على قلبه وباللسان منطوق، وفيٌّ في تعاهده، كريم في تعاقده، عظيم في تواضعه ليس في مثل أخلاقه مخلوق، أما بعد:

فنتحدث أولاً عن: «حقوق الآباء على الأبناء».

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ أي الأعمال أحب

إلى الله؟ قال: **الصلاة على وقتها**، قلت: ثم أي: قال: **بر الوالدين**، قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله...**»[(١)].

وإن من أهم حقوق الوالدين على أولادهما ما يلي:

١ ـ البر والإحسان إليهما: وذلك بألا يتعرض الولد بالسب أو العقوق إلى والديه؛ فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**»[(٢)].

٢ ـ طاعتهما وعدم معصيتهما إلا فيما يغضب الله عز وجل: فطاعة الوالدين واجبة على أبنائهما إلا أن يأمرا بمعصية فلا يطاعان لكن مع ذلك يحسن إليهما، قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥].

إن خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم كان يدعو أباه إلى التوحيد الخالص لكن أباه كان يدعوه إلى الشرك ويحذره أنه إذا لم يكف عما هو فيه من دعوة إلى الملة الحنيفية ليعاقبنه عقاباً شديداً ومع ذلك كان رد خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٧].

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً وقال: «... **لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**»[(٣)]، فيطيعهما في كل ما يرضي الله عز وجل ولا طاعة لهما في كل ما يغضب الله عز وجل لكن مع ذلك يحسن إليهما.

٣ ـ ألا ينغص ولا يكدر عليهما بكلام يزجرهما به: وفي هذا منع من

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٣٤، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها.
(٢) رواه البخاري ٧/ ٦٩، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه.
(٣) رواه مسلم ٢/ ١٤٦٩ ح (١٨٤٠).

إظهار المخالفة لهما بالقول على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما وقد نهانا الله ﷻ عن ذلك في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٤ ـ **أن يقول لهما قولاً كريماً**: يكون هذا القول مقروناً بالاحترام والتعظيم مما يقتضيه حسن الأدب وترشد إليه المروءة، وألا يدخل عليهما الحزن وألا يتسبب في بكائهما، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان قال: «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**»[(١)].

٥ ـ **الإنفاق عليهما عند كبر سنهما**: لأن الوالد وما ملكت يداه ملك لأبويه، روي أن ولداً اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه، وأنه يأخذ ماله، فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو ويبخل عليّ بماله فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك**»[(٢)].

ويقوي هذا ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ لي مالاً ووالداً وإن والدي يحتاج مالي قال: «**أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم**»[(٣)].

هذه الحقوق السابقة كانت في حال حياتهما أما بعد موتهما فلهما حقوق أخرى: من هذه الحقوق:

١ ـ **الدعاء والاستغفار لهما**: قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، ص٢١ ح (١٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص٣٦، ٣٧ برقم (١٠).

(٢) هداية المرشدين، ص٤٧٤.

(٣) رواه أبو داود ٣/ ٨٠١، ٨٠٢ ح (٣٥٣٠)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦٧٤ برقم ٣٠١٥: حسن صحيح.

ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

٢ ـ إكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما: عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقال ابن دينار فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**»[2].

٣ ـ الحج عنهما وقضاء الصوم وغير ذلك: عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت فقال: «**وجب أجرك وردها عليك الميراث**»، قالت: يا رسول الله، إنها كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: «**صومي عنها**»، قالت: إنها لم يحج قط أفأحج عهنا؟ قال: «**حجي عنها**»[3].

وقد قيل: إن بر الأم مقدم على بر الأب؛ لأنها تنفرد عن الأب بأشياء منها مشقة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع، وكثرة الشفقة والخدمة والحنو.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **أمك**، قال: ثم من؟ قال: **ثم أمك**، قال: ثم من؟ قال: **ثم أمك**، قال: ثم من؟ قال: **ثم أبوك**»[4].

وبالجملة نقول: إن بر الوالدين شرط أساسي في قبول الأعمال الصالحة

---

(١) رواه مسلم ٢/ ١٢٥٥ ح (١٦٣١).
(٢) رواه مسلم ٣/ ١٩٧٩ ح (٢٥٥٢).
(٣) رواه مسلم ١/ ٨٠٥ ح (١١٤٩).
(٤) رواه مسلم ٣/ ١٩٧٤ ح (٢٥٤٨).

فإذا كان المرء باراً بوالديه قبلت منه أعماله أمّا إذا كان عاقاً لهما فلا ترفع أعماله حتى يبرهما ويحسن إليهما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر...**»[1].

فاتقوا الله أيها الأبناء وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم، واعلموا أن بر الوالدين كما هو من أحب الأعمال إلى الله ﷻ فكذلك عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، جعلنا الله وإياكم من البارين بآبائهم.

قال بعضهم:

لأمك حق لو علمت كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لو تدري عليك مشقة ... فكم غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... ومن ثديها شرب لديك نمير

وكم مرة جاعت وأعطيتك قوتها ... حُنواً وإشفاقاً وأنت صغير

فضيعتها لما أسنَّت جهالة ... وطال عليك الأمر وهو قصير

فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى ... وواهاً لأعمى القلب وهو بصير

وقال آخر:

قضى الله أن تعبدوا غيره حتما ... فيا ويح شخص غير خالقه أمّا

وأوصاكمو بالوالدين فبالغوا ... ببرهما فالأجر في ذاك والرّحما

فكم بذلا من رأفة ولطافة ... وكم منحا وقت احتياجك من نعما

ثانياً: حقوق الأبناء على الآباء:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضره عمر وسأله لما تعق والدك؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (أي: القرآن).

---

(١) رواه أحمد ٢/٣٠٢، وقال في مجمع الزوائد ٦/٢٥٧: رواه أحمد والطبراني وفيه جابان وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

فقال الولد: يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً؟ فالتفت إليه أمير المؤمنين وقال له: أيها الرجل، أجئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

فنستطيع أخي المسلم من خلال النص السابق أن نحدد حقوق الأبناء على الآباء وهي:

١ ـ أن يحسن اختيار أمه: عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

فالمرأة الصالحة هي خير متاع الحياة الدنيا، وهي التي يسر زوجها إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسها وماله إذا غاب عنها، وترعى أولاده وخدمه وحشمه وتحافظ عليهم.

المرأة الصالحة التي تعين زوجها على طاعة الله ﷻ وتكون خير عون له على أمر دينه ودنياه، المرأة الصالحة التي إذا غضبت من زوجها أو غضب منها زوجها قالت له: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى وهي التي أخبر عنها الرسول أنها من أهل الجنة.

المرأة الصالحة هي التي تربي أولادها على الصدق والأمانة والعفة والعزة كأسماء بنت أبي بكر الصديق ﵄ وهي تعلم ولدها عبد الله بن الزبير ﵁ العزة في دين الله ﷻ وتقول له: يابني لضربة بسيف في عز أعظم وأكرم وأشرف عند الله ﷻ من ضربة بسوط في ذل.

المرأة الصالحة التي تعرف واجبها تجاه ربها، وواجباتها تجاه زوجها، وواجبها تجاه أولادها وبيتها، وواجبها تجاه دينها ودعوتها، وواجبها مجتمعها الذي تعيش فيه وأنها لا بد أن تكون نافعة له، فتؤدي كل ما عليها من هذه

---

(١) رواه البخاري ٦/١٢٣، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.

الواجبات بانضباط وانتظام وبدون إفراط أو تفريط، فإذا فعلت ذلك كانت عاقبتها عند الله طيبة عظيمة.

عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»(١).

٢ ـ **أن يحسن اختيار اسمه**: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبّ أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**»(٢).

فعلى الأب أن يختار لابنه اسماً حسناً حيث إنه سيدعى به يوم القيامة ومن ذلك أسماء الأنبياء والصحابة وغيرهما مما يحمل معنىً عظيماً يسر به الولد إذا كبر، وعلى الأب أن يبتعد عن تلك الأسماء التي يمكن أن تكون سبباً في ضحك الناس على الابن والاستهتار به مثل: شحات، وفلفل، وفجله، وخيشة، وجحش، وجَدي، وبغل، وثور، وحلبسه، وسجلابي، وجعران، وزويل.

وأن يبتعد الأب أيضاً عن الأسماء المستوردة التي ربما تكون سبباً في أن ينظر العقلاء من الناس إلى الابن أو الابنة على أنهما من المدللين الذين لا يعتد بهم ولا يعتمد عليهم في أي شيء مثل: ميمي، ميرٌ، شوشو، سوسو، فيفي، هايدي، وشادي وغيها من هذه الأسماء.

٣ ـ **أن يعلمه شيئاً من القرآن**: قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، فهو نور يهتدي به الحائر»، ويقول القابسي: فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة أعين، لم يبخل على ولده بما ينفقه عليه في تعليمه القرآن، فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه في تعليمه القرآن أن يكون من السابقين بالخيرات بإذن الله، والذي يعلم ولده فيحسن تعليمه

---

(١) رواه أحمد ١/ ١٩١، وقال في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٩/ ٤٧١ برقم (٤١٦٣): حديث صحيح.
(٢) رواه مسلم ٢/ ١٦٨٢ ح (٢١٣٢).

ويؤدبه فيحسن تأديبه قد عمل عملاً يرجى له من تضعيف الأجر فيه[١].

والأب عندما يفعل ذلك إنما يخدم به نفسه؛ لأن النبي ﷺ يقول فيما يروي عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله عنه إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢]؛ فالأب إذا ربى ولده على أخلاق الإسلام وحفظ القرآن، وألزمه بأخلاق النبي محمد ﷺ نشأ الولد نشأة صالحة وكان دائماً في طاعة الله عز وجل، ومن ثم إذا مات الأب نفعه هذا الابن الصالح بالدعاء حيث إن النبي ﷺ قد وضح لنا بأن الدعاء المقبول مقصور على الولد الصالح.

اللهم اجعلنا من البارين بآبائهم، واجعلنا خير أبناء لخير آباء، وبارك لنا في آبائنا وأمهاتنا، اللهم ارحمهما كما ربياني صغيراً، واغفر لهما وأدخلهما الجنة، واجزهما عنا خير الجزاء واجمعنا بهما في الجنة واغفر لموتانا وموتى المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التربية الإسلامية د. الأهواني، ص١٢٩.
(٢) رواه مسلم ٢/ ١٢٥٥ ح (١٦٣١).

الدرس السادس

حقوق الزوجين

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أمر بالزواج للحفاظ على النوع البشري، وجعل الزواج حصناً لعباده من الغوية والضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أما بعد.

فيقول الله تعالى آمراً الشباب الذين تموج بهم الشهوة موجاً ولا يجدون ما يتزوجون به: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

ويقول ﷺ في نفس المقام: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(١).

معاشر الشباب ممن أنعم الله عليهم بالزواج، معاشر النساء المسلمات ممن أنعم الله عليهن بنعمة الزواج: فاتقوا الله في الصلة التي بينكم وحافظوا على العلاقة التي نظمها الله ﷻ لكم في كتابه الكريم مبيناً أن أساس هذه العلاقة وهي علاقة الزوجية المودة والرحمة كما قال الله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

اعلموا وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أنه يلزم كل واحد من الزوجين معاشرة الآخر بالمعروف من الصحبة الجميلة وكف الأذى، وألا يمطله حقه

---

(١) رواه مسلم ٢/١٠١٨، ١٠١٩ ح (١٤٠٠).

مع قدرته، ولا يظهر الكراهة لبذله بل ببشر وطلاقة وطيب نفس ولا يتبعه منّه ولا أذى، لأن هذا من المعروف المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إني أحب أن أتزين كما أحب أن تتزين لي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وحق الزوج على الزوجة أعظم من حقها هي عليه لقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[1].

أولاً: حقوق الزوج على زوجته:

١ ـ القوامة:

يقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وهذا الحق تنازل عنه الكثير من الناس بمحض اختيارهم مما كان له أثر سيء على استقرار الحياة الزوجية، فعلى الرجل أن يكون حازماً في لين، عطوفاً في غير رخاوة، فالمرء إذا كان صلباً كُسر ليناً طوي، ولكن الأفضل أن يكون وسطاً في كل شيء لتستمر الحياة الزوجية في خير سعادة وهناء.

٢ ـ الطاعة بالمعروف:

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

عن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: «أتيت النبي ﷺ في بعض الحاجة فقال: **أي هذه، أذات بعل أنت؟** قلت: نعم، قال: **كيف أنت**

---

(١) رواه الترمذي ٣/٤٥٦ ح (١١٥٩)، وقال: حسن غريب.

له؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: **فأين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك**»[(١)].

٣ ـ ألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه...**»[(٢)].

قال النووي رحمه الله: في هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج إلا بإذنه في بيته، وهو محمول على ألا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك، فلا تحرج عليها[(٣)].

٤ ـ خدمتها له:

فخدمة الزوجة لزوجها من الأمور الواجبة عليها له، وهذا الأمر يختلف من بيت لآخر، ومن زوج لزوج، ومع ذلك نجد من النساء من ترهق زوجها فتطالبه بخادمة مع قدرتها على القيام بشؤون البيت، واستغنائها عمن يخدمها، وهذا الأمر يكون فيه ثقل على كاهل الزوج، ويحدث بسببه مشاكل جمّة تنتج عن انفراد بعض أبناء البيت من الشباب بهذه الخادمة، وعلى الزوج أن لا يكلف زوجته ما لا تطيق ويقتدي بالنبي محمد ﷺ الذي كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويعلف الناضح ويقم البيت إلى آخر ذلك من الأمور التي تدل على عظيم تواضعه ﷺ.

٥ ـ ألا تصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل للمراة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه...**»[(٤)]، وذلك لأن صيام التطوع قد يفوت على الزوج

---

(١) رواه أحمد ٤/٣٤١، من حديث حصين بن محصن، والحاكم ٢/١٨٩، واللفظ له وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري ٦/١٥٠، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه.

(٣) شرح مسلم للنووي ٧/١٥.

(٤) رواه البخاري ٦/١٥٠، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه.

كمال الاستمتاع بزوجته ويحرمه منها أثناء صيامها، فإن رضي به فقد أسقط حقه باختياره ولا حرج هنا عليها، وإذا لم يرض به فالأوجب عليها أن تتركه وذلك فيما يخص الصيام في النافلة الذي يكون تطوعاً أما صيام الواجب كصيام رمضان وغيره فليس للزوج أن يمنع زوجته منه.

٦ ـ أن تحافظ على نفسها وماله وأولاده:

إن أنفس ما في بيت الرجل زوجته وماله وأولاده وهي أمانة بيد المرأة يجب عليها تمام حفظها ورعايتها لأنها مسترعاة على ما في البيت ومسؤولة عنه يوم القيامة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته... والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها...**»(١).

ونجمل أخي المسلم حقوق الزوج على زوجته بحديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه قال: شهدت حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال: «... **ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**»(٢).

ثانياً: حق الزوجة على الزوج:

وقد أجمله الحديث الذي رواه حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: «قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: **أن تطعمها إذا طعمت،**

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٨٧، ٨٨، كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه.

(٢) رواه الترمذي ٣/ ٤٦٧ ح (١١٦٣)، وقال: حسن صحيح.

وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»(١).

وإليك أخي المسلم حقوق الزوجة على الزوج تفصيلاً:

١ ـ المهر:

لقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، على أن يكون هذا الأمر بدون إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير، على أن نأخذ في اعتبارنا أيضاً حديث النبي ﷺ فيما روته عنه عائشة رضي الله عنها أنه قال: «**إن من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً**»(٢).

٢ ـ النفقة والسكن:

يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقول تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

وما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أتت هند إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح وأحتاج أن آخذ من ماله فقال ﷺ: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»(٣).

٣ ـ المعاشرة بالمعروف:

يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي...**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود ٢/ ٦٠٦ ح (٢١٤٢)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٠٢ برقم (١٨٧٥): حسن صحيح.

(٢) رواه الحاكم ٢/ ١٧٨، وقال الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٣٤٨ برقم (١٩٢٨): حديث ضعيف.

(٣) رواه البخاري ٨/ ١١٥، ١١٦، كتاب الأحكام، باب القضاء على الغائب.

(٤) رواه الترمذي ٥/ ٧٠٩ ح (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٤٥ برقم (٣٠٥٧).

فعلى المزوج أن يمتثل أخلاق النبي ﷺ في معاملته مع زوجاته ويلتزم المنهج الشرعي في معاملتها بالمعروف والحسنى، فلنعامل قوارير البيوت وشقائق الرجال معاملة طيبة على أن لا تكون هذه المعاملة بها تكلف وغير طبيعية بل يجب أن يكون الصدق أساسها والرحمة والمودة من ظواهرها.

٤ ـ المبيت والمعاشرة:

فعلى الزوج أن يراعي هذا الحق حتى لا يضطر حليلته إلى الخروج عن حيائها فعليه أن يكون عطوفاً حنوناً عليها، يداعبها، ويحن إليها، ويشبع غريزتها، عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل أقسمت عليك، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[(١)].

٥ ـ تعليمها أمور دينها:

وهذا الحق أهم الحقوق كلها خاصة إذا كانت المرأة لم تأخذ من التعليم الشرعي ما يكفيها في أمور دينها ودنياها، فالمرأة إذا فقهت أمور دينها وعلمت ما عليها من واجبات تجاه ربها، وتجاه زوجها وبيتها وأولادها، وتجاه دينها وتجاه دعوتها، وتجاه المجتمع الذي تعيش فيه استطاعت أن تخطو خطوات راسية نحو إنشاء جيل مسلم يتربى على الطهر والعفة والصدق ليس هذا فحسب، بل إنها بذلك تستطيع أن تعبد ربها على بصيرة، وتؤدي

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٢٤٣، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

العبادات على الوجه الصحيح لها، ومن ثم تنجو من عذاب الله يوم القيامة، وما أحوجنا هذه الأيام إلى أمهات صالحات ينشئن أجيالاً نقية طاهرة تدافع عن الدين وتحمي الأوطان.

٦ ـ الغيرة عليها:

على الزوج أن لا يطلق العنان لزوجته تختلط مع الرجال وتحادثهم، وتذهب للأسواق وحدها، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الحمو[١] هو الموت فكيف بغيره.

فعلى الزوج أن يصون كرامة زوجته ويحفظ عرضها ويغار عليها، وعلى الزوجة أن تحتجب ولا تظهر شيئاً من مفاتنها أمام الأجانب.

والمرأة المسلمة يجب أن تكون كذلك حتى لا تعدو عليها الذئاب البشرية، وعلى الزوج أن يكون غيوراً على زوجته مقتدياً بالنبي ﷺ وأصحابه الأطهار، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «...قال ﷺ: **أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني...**»[٢].

فعليكم أيها الأزواج أن تغيروا على زوجاتكم وتحافظوا عليهن؛ لأن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية.

ثالثاً: الحقوق المشتركة بين الزوجين:

هناك حقوق مشتركة بين الزوجين على كل منهما أدؤها على الوجه الذي يرضي الله عز وجل ومن هذه الحقوق:

١ ـ عدم إفشاء السر:

إن هذا الحق أيها الأحبة من الآداب العامة التي حث عليها الإسلام، فعلى كل منهما أن يكتم ما يراه من صاحبه أو يسمعه منه خاصة فيما يقع بينهما، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر**

(١) الحمو: أخو الزوج.
(٢) رواه مسلم ٢/١١٣٦ ح (١٤٩٩).

الناس عند الله منزلة يوم القيامة؛ فالرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(١).

٢ ـ المناصحة بينهما:

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**. قلنا: لمن؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

فالتناصح بين الزوجين له دور كبير وعظيم في الارتقاء بمستوى الأسرة، ورتق الفتوق الواقعة فيها، وإنارة درب السلامة من التردي في خطأ، بيد أن كثيراً من الأزواج يرى من غير الطبيعي أن تؤدي المرأة دورها في نصيحة زوجها، وأن من السائغ والمعتاد لدى الرجال أن تكون النصيحة من جانب الزوج دون زوجته ويصل الظن ببعض الرجال على أن قيام الزوجة بالنصيحة نوع من التطاول والعجرفة وخدش لكرامة الرجل، وقوامته.

وهذا فهم خاطئ لا يتوافق وخلق التواضع، بل لا يتوافق وفهم صحابة النبي ﷺ في هذا الأمر؛ حيث يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي»، وكذلك قال بعض التابعين: «إن المسلم الناصح لأخيه المسلم كمن يقول لشخص ما: اهرب فإن قمة هذا الجبل ستقع فوقك فتودي بحياتك، أو استيقظ مسرعاً فإن هذه الحية ستلدغك».

وعدم قبول النصح بين الزوجين ربما كان سبباً في هدم الأسرة وعدم سعادتها، فاتقوا الله أيها الأزواج وقبلوا النصح من زوجاتكم، واتقين الله إماء الله واقبلن النصح من أزواجكن بصدر رحب لتحافظوا على كيان الأسر، ولتهنأوا بسعادة عظيمة.

٣ ـ الشورى:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) رواه مسلم ٢/ ١٠٦٠ ح (١٤٣٧).

(٢) رواه مسلم ١/ ٧٤ ح (٥٥).

والشورى مبدأ عظيم وأساسي بل ركيزة هامة من ركائز ديننا الحنيف فإذا وجد هذا المبدأ بين الزوجين كان له الأثر الأكبر في سعادة كل منهما واستقرار الحياة بينهما بل وشعور جميع أعضاء الأسرة بالأمن والطمأنينة؛ لأن الرجل عندما يستشير زوجته هو يشعرها بكيانها وبدورها في هذا البيت التي هي ركن أساسي من أركانه بعيداً كل البعد عن هذه المفاهيم السقيمة التي يظن مدعيها أن مشورة المرأة تقدح في قوامة الرجل عليها.

والله ﷻ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فلقد دخل نبينا محمد ﷺ على أمنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها غاضباً مما فعل أصحابه يوم الحديبية حيث أمرهم بالحلق والتحلل فكأنهم تحرجوا وتباطئوا فأشارت عليه أم سلمة رضي الله عنها أن يحلق هو حتى يحلقوا؛ فأخذ ﷺ بمشورتها فما كان من الصحابة إلا أن بادروا إلى امتثال أمره عليه الصلاة والسلام.

وهكذا يجب أن يسود التعاون والمودة والرحمة والحب والعطف الحياة الزوجية ليهنأ كل منهما بهذه الحياة وينشأ ذرية صالحة تخدم دين الله ﷻ، وتدافع عن البلاد والأوطان.

اللهم بارك لنا في زوجاتنا وبارك لزوجاتنا فينا، اللهم ارزقنا ذرية طيبة صالحة تعبدك من بعدنا يا كريم، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم اجعل في زوجاتنا نوراً، وفي أبنائنا نوراً، وفي بناتنا نوراً، وفي آبائنا نوراً، وفي أمهاتنا نوراً، اللهم أعظم لنا نوراً، يا نور السماوات والأرض.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس السابع

حق الجار

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟** فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيده وعد خمساً وقال: **اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك؛ فإنه كثرة الضحك تميت القلب**»[(١)]، وعن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...**»[(٢)].

واعلم أخي المسلم أن الجار أحد ثلاثة: إما أن يكون جاراً غير مسلم؛ فهذا حقه الجوار فقط، وإما أن يكون جاراً مسلماً؛ فهذا له حق الجوار وحق الأخوة في الإسلام، وإما أن يكون جاراً مسلماً قريباً، فهذا له حق الجوار، وحق أخوة الإسلام وحق صلة الرحم؛ فليراعَ ذلك بارك الله فيكم.

وعلى المسلم أن يتجنب أذى جاره أو النظر إلى محارمه، فقد ورد في ذلك نهي شديد فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ

(١) رواه الترمذي ٤/ ٥٥١ ح (٢٣٠٥)، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان.
(٢) رواه مسلم ١/ ٦٩ ح (٤٨) برقم (٧٧) في الكتاب.

أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**، قال قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: **ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**، قال: قلت: ثم أي؟ قال: **ثم أن تزاني حليلة جارك**(١)؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨].

وما أجمل قول الشاعر:

أغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

واعلم أخي المسلم أن حقوق الجار على الجار كثيرة منها:

١ ـ إذا استعانك أعنته:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: . . . قال رسول الله ﷺ: «... **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»(٢)؛ فخير الناس أنفعهم للناس وخير الناس من كان في عون الناس لأن الناس لا يستغني بعضهم عن بعض كما قال أحدهم:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

يقول علقمة بن لبيد يوصي ولده: «يابني إن احتجت إلى صحبة الرجال فاصحب: من إن صحبته زانك، وإن أصابتك خصاصة أعانك، وإن قلت سدد قولك، وإن صلت قوى صولتك، وإن بدت منك ثلمة(٣) سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن نزلت بك إحدى المهمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق»(٤).

ولا سيما إذا كان هذا الصديق جاراً وفياً يعرف حقوق جاره عليه، فإنه لا شك سيكون نعم الجار وينطبق عليه كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سلوك الجار مع الجار وهو يقول: إن الجار يغفر لجاره زلته، ويرحم عبرته

(١) رواه مسلم ١/ ٩٠ ح (٨٦).
(٢) رواه مسلم٢/ ١٧٢٦، ١٧٢٧ ح (٢١٩٩).
(٣) الخلل في الحائط وغيره.
(٤) حق الجار: طه عبد الله العفيفي، ص٣١، وما بعدها.

ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويلتمس عذره، ويرد غيبته، ويديم صحبته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد جنازته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حرمته، ويقضي حاجته، ويقبل شفاعته، ولا يخيب طلبته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويستحسن كلامه، ويبر أقسامه، ويصدق أحلامه، وينصره ظالماً؛ برده عن ظلمه، ومظلوماً بإعانته على أخذ حقه، ويواليه ولا يعاديه، ولا يخذله، ولا يشتمه، ويحب له الخير كما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه(١).

٢ ـ إذا استقرضك أقرضته:

أخرج ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة**»(٢).

والقرض الحسن أخي المسلم هو الذي لا يكون فيه منٌ ولا أذى وبعيداً عن شبهة الحرام كالربا وغيره، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا الموبقات السبع**، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا...**»(٣).

---

(١) حق الجار: طه العفيفي، ص٣٢.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ٨١٢ ح (٢٤٣١)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ص١٨٨ برقم (٥٢٨).

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٩٥، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾.

وقد قيل: إن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يجلس في ظل دار جاره الذي أقرضه مالاً، لأنه يعتبر هذا من الربا حسب القاعدة عنده ـ كل قرض جر نفعاً فهو ربا ـ ولذا على المسلم التقي النقي إذا أقرض إنساناً مبلغاً من المال فلا يدخل بيته كثيراً بصورة لم يكن معتاداً عليها لكي يأكل أو يشرب أو غير ذلك.

وعلى المسلم أن يتورع أيضاً عن تكلفة مدينه بقضاء بعض المصالح فيكون بذلك قد ألحق به الضرر حيث إنه يستحي من دائنه بسبب هذا القرض، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار...**»(١).

٣ ـ إذا افتقر عدت عليه:

أي: أحسنت إليه وتعاونت معه تأكيداً للمعنى الكبير الذي يشير إليه حديث النبي ﷺ؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عَزَّ وَجَلَّ خلقاً خلقهم لحوائج الناس: يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله**»(٣).

ومن أجل ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ الفضلاء عليهم رضوان الله أجمعين يتسابقون ويتنافسون في فعل الخير والتعاون والتراحم لأنهم يعلمون أن الجائزة جنة عرضها السماوات والأرض فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستعمل رجلاً على حمص يقال له: عمير بن سعد، فلما مضت السنة كتب إليه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٧، ٥٨، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم.

(٢) رواه مسلم ٣/ ١٩٩٩، ٢٠٠٠ ح (٢٥٨٦).

(٣) رواه الطبراني ١٢/ ٣٥٨ ح (١٣٣٣٤)، وقال في مجمع الزوائد ٨/ ١٩٢: ضعفه وحسن حديثه ابن عدي وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

أن أقدم علينا، فلم يشعر عمر إلا وقدم عمير ماشياً حافياً، عكازته بيده، وإداوته ومزوده وقصعته على ظهره، فلما نظر عمر إليه قال: يا عمير، أجبتنا أم البلاد بلاد سوء؟ فقال يا أمير المؤمنين: أما نهاك الله أن تجهر بالسوء؟ وتنأى عن سوء الظن؟ وقد جئت إليك بالدنيا أجرها بقرابها، فقال له: وما معك من الدنيا؟ فقال: عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدواً إن لقيته، ومزوداً أحمل فيه طعامي، وإداوة أحمل فيها ماءً لشربي وطهوري، وقصعة أتوضأ فيها، وأغسل فيها رأسي، وآكل فيها طعامي، فوالله يا أمير المؤمنين، ما الدنيا بعد إلا تبع لما معي.

فقام عمر فبكى بكاءً شديداً ثم قال: اللهم ألحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل، ثم عاد إلى مجلسه فقال: ما صنعت في عملك يا عمير؟ قال: أخذت الإبل من أهل الإبل، والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون، ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به، فقال عمر: عد إلى عملك يا عمير، فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي، فأذن له، فأتى أهله.

فبعث عمر رجلاً يقال له حبيب بمائة دينار وقال: اختبر لي عميراً، وانزل عليه ثلاث أيام حتى ترى حاله هل هو في سعة أو ضيق؟ فإن كان في ضيق فادفع إليه الدنانير، فأتاه حبيب فنزل به ثلاثاً، فلم ير له عيشاً إلا الشعير والزيت فلما مضت الثلاثة أيام، قال عمير: يا حبيب إن أردت أن تتحول إلى جيراننا فافعل لعلهم يكونون أوسع عيشاً منا فإنا والله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك، فدفع إليه حبيب بالدنانير وقال له: قد بعث بها أمير المؤمنين إليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة الدنانير والستة والسبعة ويبعث بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفذها.

فقدم حبيب على عمر، وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس، وما عنده قليل ولا كثير، فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال: يا أمير المؤمنين: أما الثوبان فاقبلهما، وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما، عند

أهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع إليهم[١].

هكذا أخي المسلم يجب أن يكون الجار مع الجار.

٤ ـ إذا مرض عدته:

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة**»[٢].

وإن زيارة المرضى تقرب الناس من بعضهم البعض وترفع معنويات المريض وتجعل بينهم صلات قوية ليس هذا فحسب بل هي موعظة بليغة للزائر أنه يرى أن الإنسان مهما تكبر وتعنت فيمكن لقليل من المرض أن يرقد في السرير ومن ثم يبتعد عن المعاصي حتى لا يناله انتقام الجبار المتكبر الذي ربما يبتليه بمرض يودي بحياته.

ومن السُّنة أن يقول الزائر للمريض، لا بأس عليك طهور إن شاء الله، شفاك الله وعافاك، وأن يطعمه في الحياة وقرب الشفاء، إلى غير ذلك من الكلمات الطيبة التي يكون لها أثر عظيم في نفس المريض.

٥ ـ إذا أصابه خير هنأه:

فعلى الجار أن يظهر الفرحة بخير أصاب جاره حتى يشعر بحبه له وسعادته بما هو سعيد به؛ فإذا رأيت جارك أو صاحبك قد لبس ثوباً جديداً فقل له قولة النبي ﷺ في ذلك المقام: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى على عمر قميصاً أبيض فقال: «**ثوبك هذا غسيل أم جديد؟** قال: لا، بل غسيل، قال: **البس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً**»[٣].

---

(١) أسد الغابة ٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم الترجمة (٤٠٧٠).

(٢) رواه الترمذي ٣/ ٣٠٠، ٣٠١ ح (٩٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١/ ٢٨٦ برقم (٧٧٥).

(٣) رواه ابن ماجه٢/ ١١٧٨ ح٣٥٥٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٢٧٥ برقم (٢٨٦٣).

وإذا قدم جارك من سفر فقل له: «الحمد لله الذي سلمك، والحمد لله الذي جمع الشمل بك»(١).

وإذا رجع من غزو فقل له: «الحمد لله الذي نصرك وأعزك وأكرمك»(٢).

وإذا أراد أن يحج فقل له مودعاً كما قال تلرسزل ﷺ للغلام الذي أراد الحج، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد هذه الناحية للحج، قال: فمشى معه وقال: **يا غلام، زودك الله التقوى، ووجهك في الخير وكفاك الهم**، فلما رجع سلم على النبي ﷺ فرفع رأسه إليه فقال: **يا غلام، قبل الله حجك وكفر ذنبك وأخلف نفقتك**»(٣).

وإذا أراد الزواج فقل له بعد عقد النكاح ما كان يقوله ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان، إذا تزوج قال له: «**بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في الخير**»(٤).

وإذا رزق بمولود فيستحب أن يهنأ بما جاء عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه علّم إنساناً التهنئة فقال له: إن أردت أن تهنئ من رزقه الله بمولود فقل له: «بارك الله لك في الموهوب لك وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره» ويستحب أن يرد عليك المهنئ فيقول لك: «بارك الله لك، وبارك عليك وجزاك الله خيراً، ورزقك الله مثله، أو أجزل الله ثوابك»(٥).

٦ ـ إذا أصابته مصيبة عزيته:

أيها الأخ المسلم: اعلم أن التعزية فيها كثير من التعاطف والتحاب

---

(١) الأذكار النووية، ص٢٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه الطبراني في الكبير١٢/ ٢٩٢ ح (١٣١٥١)، وقال في مجمع الزوائد ٣/ ٢١١: رواه الطبراني في الأوسط وفي الصحيح طرف من أوله وفيه مسلمة بن سالم الجهني ضعفه الدارقطني.

(٤) رواه الترمذي ٣/ ٤٠٠ ح (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.

(٥) الأذكار النووية، ص٢٥٦.

والتعاون على البر والتقوى والحمل على الصبر والرضا بالقضاء والقدر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على الرجوع إلى الله تعالى، وفيها تسلية المصاب والتخفيف عنه لتقل عليه المصيبة شيئاً ما، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من عزى مصاباً فله مثل أجره**»[(١)].

على أن يكون لفظ التعزية لفظاً شرعياً كما ورد في السنة، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قُبض فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب...**»[(٢)].

٧ ـ إذا مات اتبعت جنازته:

لأن ذلك من حقوق المسلم على المسلم وهي إلى الجار أقرب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى يقضى دفنها فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أُحد**»[(٣)].

فلتعتبر نفسك مسؤولاً عن أسرة جارك منذ لحظة وفاته وافعل معهم حسبما يقتضي الشرع الحكيم من قرآن وسنة ما كنت تتمنى أن يفعله جارك مع أهلك وأولادك لو كنت أنت الميت ملتزماً بأخلاق النبي ﷺ في كل أفعالك متورعاً عن الحرام مهما صغر.

٨ ـ لا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه:

وفي هذا الحق يعلمنا النبي ﷺ ان يكون هناك احترام متبادل بين الجيران بحيث يحافظ كل منهما على مصلحة الآخر، وبحيث لا يكون سبباً في منع الخير عنه، أو منع الهواء عنه، فإذا أراد الجار أن يبني جداراً يفصل

---

(١) رواه الترمذي ٣/ ٣٨٥ ح (١٠٧٣)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن عاصم.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٧٩، ٨٠، كتاب الجنائز، باب (يعذب الميت ببعض بكاء أهله).

(٣) رواه الترمذي ٣/ ٣٥٨ ح (١٠٤٠)، وقال: حسن صحيح.

بينه وبين جاره لا بد وأن يلاحظ عدم استطالة هذا الجدار حتى لا يحجب الهواء عن جاره، وإذا رأى ضرورة لذلك فيجب أن يستأذنه أولاً ويستمع إلى رأي جاره حتى لا يحدث ضرر ولا ضرار وحتى لا يكون هناك تعد على مصلحة هذا الجار الملاصق.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ضننت أنه ليورثه**»(١).

٩ ـ ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها:

فعلى المسلم تجاه هذا الحق أن يكون سخياً لا سيما بالنسبة لجاره الفقير الذي يؤلمه ويؤلم أولاده مطالبتهم إياه أن يحضر لهم لحماً وهو لا يستطيع فهذا واجب عليك حتى لا تكون سبباً في تورطه مع أولاده وحتى تكون من المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**»(٢).

١٠ ـ وإن اشتريت فاكهة فأهد له:

فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، فخروج أولادك بالفاكهة ليغيظوا بها أولاده يحزنه ويغضبه لأنه عاجز عن شراء مثلها ليرضي أولاده، فلا حفظ هذا أخي المسلم حتى لا تقع الضغينة بينك وبين جارك.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه**»(٣).

---

(١) رواه مسلم ٣/ ٢٠٢٥ ح (٢٦٢٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، ص٥٤، ح (١١٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص٦٧ برقم (٨٢).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، ص٥٤، ح (١١١)، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص٦٧ برقم (٨١): حسن لغيره.

فعليك أخي المسلم أن تؤدي هذه الحقوق مع غيرها من الحقوق الأخرى التي أشار إليها الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه في صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه...»[١].

اللهم اجعلنا من المؤدين لحقوق الجار، ومن الملتزمين بأخلاق نبيك المختار، وأعتق رقابنا يا كريم من النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار برحمتك يا عزيز يا غفار، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وتلاوة كتابك الكريم آنا الليل وأطراف النهار.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٩٠.

الدرس الثامن

صلة الرحم

الحمد لله الرحمن الرحيم، وسعت رحمته كل شيء، سبحانه وتعالى جعل صلة الرحم سبباً في زيادة الرزق، وسبباً للحصول على البركة في العمر، وأشهد أن نبيناله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله خير من وصل رحمه وخير من أحسن إليهم وخير من تقرب إليهم، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَبِذِي ٱلْقُـرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُـرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**»[(١)]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

والرحم هي القرابة، وسميت بذلك لأنها داعية التراحم بين الأقرباء، وصلة الرحم موجبة لرضا الرب عن العبد وموجبة لثواب الله للعبد في الآخرة، والرحم سبب لبسط الرزق وتوسيعه وسبب لطول العمر، وهذه الأشياء من الأمور المحبوبة إلى العبد.

وإنما رتبت البركة في العمر على صلة الرحم؛ لأن المرء إذا وصل رحمه أرضى ربه فأجله أقرباؤه واحترموه، فامتلأ نفسه سروراً وشعر بمكانة عالية من أجل ما وفقه الله له من صنيعه الذي صنع، والسرور منشط، كما أن

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٧٢، ٧٣، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله.

الحزن مثبط والشعور بالتعظيم عن الأعمال الطيبة داع للإكثار منها، وبذل الجهد في سبيلها.

والمراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم؛ لأجل قرابتهم وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر قلوبهم مع التعطف والتلطف بهم وتقديمهم في إجابة دعوتهم والتواضع معهم، ونصحهم في كل شؤونهم والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الإحسان والصدقة والهدية على من سواهم؛ لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة؛ وذلك في حالة إذا كانوا مسلمين وأهل استقامة.

أما إن كانوا كفاراً فجاراً؛ فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم وإعلامهم ـ إذا أصروا ـ بان ذلك بسبب بعدهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يهديهم اله ﷻ، وأن يعودوا على صراط الله المستقيم.

وإنه لن يحدث جرم أو ذنب مثل الذي حدث من مسطح بن أثاثة الذي اشترك مع عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في المدينة، وحمنة بنت جحش في حادثة الإفك يوم أن اتهموا أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفوان بن المعطل في غزوة بني المصطلق، ولاقى أربعة أشخاص هم من خيرة الناس على وجه الأرض أشد ما لاقوا من العناء والتعب النفسي والحزن والهم شهراً كاملاً انقطع فيه الوحي عن الرسول ﷺ وهم أشرف الخلق: محمد ﷺ ورفيق حياته وأول من آمن به من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وابنته أطيب الطيبات وأعف العفيفات ومن أطهر النساء عائشة رضي الله عنها وإنها والله لو لم تكن من أطيب الطيبات لما أصبحت زوجة لأطيب الطيبين، والرابع هو أحد صحابة النبي ﷺ الذي قال الرسول في حقه: «**والله ما رأيت منه إلا خيراً**»(١).

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣١٢ـ ٣١٥.

ولما جاء الوحي ببراءة أم المؤمنين عائشة ﵂ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]، قطع أبو بكر الصديق العطايا التي كان يعطيها لمسطح بن أثاثة بعدما خاض في عرض ابنته لكن الله ﷻ عاتب أبا بكر الصديق على ذلك في نفس السورة التي نزلت فيها براءة ابنته، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن تاب مسطح بن أثاثة توبة نصوحاً[(١)] حتى أن أبا بكر الصديق ﵁ قال: والله لأرجع إلى مسطح النفقة التي كنت أعطيه إياها ولا أنزعها منه ابداً لأني أحب أن يغفر الله لي.

ولذلك لما كتب ابن المقري رسالة لوالده حين امتنع عن النفقة عليه يقول له فيها:

لاتقطعن عادة برّ ولا ... تجعل عتاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح ... يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى الذي قد جرى منه ... وعوتب الصديق في حقه

فإذا بوالده يجيبه ويوضح له السبب في ذلك المنع قائلاً:

قد يمنع المضطر من ميتة ... إذا عصى في السير في طرقه
لأنه يقوى على توبة ... توجب إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب من ذنبه مسطح ... ما عوتب الصديق في حقه

وإنه مما يؤكد هذا المعنى العظيم وهو الحلم عن الأقارب إذا أساءوا إلى الإنسان ومعاملتهم معاملة طيبة رغم المعاداة التي يقومون بها تجاه هذا الشخص، ما رواه أبو هريرة ﵁: أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٧٢٦، ط الحلبي، القاهرة.

فقال: «**لئن كنت كما تقول فكأنما تسفهم الملل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»(١).

وفي حديث أبي سفيان في قصة هرقل أنه قال لأبي سفيان: «... بم يأمركم؟ ـ يعني النبي ﷺ ـ فقال أبو سفيان: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف...»(٢).

فعليك أخي المسلم بصلة الرحم لما لذلك من ثواب عظيم وفضل كبير من الله ﷻ على من يصل رحمه، وعليك أن تعلم أن الذي يقطع رحمه يناله عقاب وخيم من الله ﷻ بل يفقد البركة في كل شيء وتكثر مشاغله وهمومه وأحزانه ومن ثم يجد نفسه غير موفق في طاعة الله وهذا من أعظم البلاء ومن أشد أنواع غضب الرب سبحانه وتعالى على عبده.

أخرج أبو يعلى بإسناد جيد عن رجل من خثعم قال: «أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: نعم، قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: **إيمان بالله،** قال: قلت: يا رسول الله: ثم مه؟ قال: **ثم صلة الرحم،** قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: **الإشراك بالله،** قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **ثم قطيعة الرحم،** قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»(٣).

شعر:

وكن واصل الأرحام حتى لكاشح ... توفر في عمر ورزقٍ وتسعد

ولا تقطع الأرحام إنّ قطيعة ... لذي الرحم كبرى من الله تُبعِد

فلا تغشى قوماً رحمة الله فيهم ... ثوى قاطع قد جاء ذا بتوعد

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٩٨٢ ح (٢٥٥٨).

(٢) رواه مسلم ٢/ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ ح (١٧٧٣).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٥١، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

هكذا يجب علينا أيها المسلمون أن نعلم أن صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله ﷻ وأن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

اللهم اجعلنا من الواصلين لأرحامهم، اللهم وفقنا إلى طاعتك وباعد بيننا وبين معاصيك، اللهم اجمع شملنا بأقاربنا وأهلينا وذوينا واجمع قلوبنا وإياهم على التقوى واملأ قلوبنا جميعاً بالرحمة والود ونقها من الغل والحسد والحقد والبغضاء والعداوة، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الدرس التاسع

حكمة الابتلاء وأخطاء في فهم القدر

الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوت جلاله، وأنار قلوبهم بمشاهدة صفات كماله، وتعرف إليهم بما أسداه من إنعامه وإفضاله، فعلموا أنه الواحد الأحد الفرد الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله القائم له بحقه وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله الله رحمة للعالمين وإماماً للمتقين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد أجمعين.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢].

عن أبي يحيى صهيب بن سنان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[(١)].

كان النبي ﷺ هو الأعلى في مكة وقد كان مستضعفاً محارباً، وكان ﷺ الأعز في مكة وقد كان مطارداً مرصوداً، وصدق الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

نقول: إن النبي ﷺ كان في تلك المكانة مع أنه المحارب المستضعف لأن الإيمان هو المرتبة الأعلى، والشرك والنفاق هما المرتبة الأدنى، والمؤمن من أكثر الناس بلاءً ولكنه أعظمهم قدراً.

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٢٢٩٥ ح (٢٩٩٩).

والمؤمن أكثر الناس محاربة ولكنه أملكهم لحريته، وحرية المؤمن في كونه غير أسير لشهواته، ولا مستضعف لنزواته، فهو عبد الله ﷻ وحده، أما غير المؤمنين فهم عباد توزعت قلوبهم بين آلهة شتى.

ولذلك فإن ما ينتاب المؤمن ويحل عليه من مصائب لا ينزع منه العلو والعزة ما دام مؤمناً وما المصائب والفتن إلا اختبارات تبين مدى ما يمتلك العبد من الإيمان، وقد اقتضت حكمة الله في خلقه أن يعرضهم للاختبار حبّاً ورعاية لهم، فالعباد ليسوا بعيدين عن هذه الاختبارات الإلهية التي تهدي الضال وتنبه الغافل وتقيم الحجة على الكافر، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢].

فالاختبارات الإلهية للمؤمنين تزيدهم إيماناً وقوة وصلابة في عقيدتهم، وللكاذبين تعيدهم إلى الإيمان تائبين متذكرين نادمين، فإن لم يتوبوا ويتذكروا فضحهم الابتلاء وعراهم أمام الناس وخلص صفوف المؤمنين منهم.

إن من أهم فوائد حكمة الابتلاء أنه بمثابة فرصة لمراجعة حسابات مضت، ووقفة أمام مستقبل آت يؤمل فيه الخير والسعادة، والابتلاء يزيد الرجال نضوجاً وصلابة، والدعاة الصادقين بصفة خاصة ثباتاً ويقيناً.

ولن يكون الابتلاء شراً بالمؤمنين أبداً، فهو خير يسوقه الله لعباده ليعودوا إليه وقد علتهم عزة الإيمان التي يمتلكونها ولو كانت السياط اللاهية تأكل من أجسادهم لأن طالب الحق لن يسلمه أهل الباطل، وأمام المؤمنين أقسى دروس الابتلاء وأشد امتحان شهدته الدعوة الإسلامية على مدى تاريخها الطويل ألا وهو حادث الإفك ومع ذلك فقد كانت خيراً ولم تكن شراً، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١]؛ لذا كان الابتلاء وسيلة من وسائل الانتقاء والتصفية، يقول الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧].

وإن من حكم الابتلاء استخراج عبودية المؤمنين وذلهم لله وانكسارهم

له ﷻ وافتقارهم إليه، وأن يسألوه سبحانه النصر على عدوهم ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة ولا كانت للحق دولة، فاقتضت حكمة الله أن صرفهم بين غلبهم تارة وكونهم مغلوبين تارة أخرى، فإذا غلبوا تضرعوا إلى ربهم، وأنابوا إليه وخضعوا له، وانكسروا له وتابوا إليه، وإذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وجاهدوا عدوه، ونصروا أولياءه.

ومن حكم الابتلاء أنه ﷻ يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حالة العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فالله ﷻ على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى تلك الحال التي لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها[(١)]، فهذه المحن والبلايا شرط في حصول الاستقامة المطلوبة من العبد.

ومن حكم الابتلاء: أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم ويخلصهم ويهذبهم كما حكى الله ﷻ في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أُحد يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤٤].

---

(١) حكمة الابتلاء لابن القيم، إعداد مروان كجك، ص٤٣.

أخطاء في فهم القدر:

الله ﷻ عليم بما هو كائن وبما كان وبما سيكون حتى ما سيفعله الناس مختارين بدون جبر، والإنسان المدرك البالغ مكلف من ربه ضمن دائرة اختباره، التي منحها الله ﷻ له، أن يعمل أعمالاً ويترك أخرى، وجعله الله مسؤولاً مسؤولية تامة عن أعمال ضمن دائرة اختياره، ورتب له الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية[١].

ومما أمره الله به اتخاذ الأسباب لتحقيق مطالبه وحاجاته من الحياة الدنيا ولتحقيق ما يرجو من الثواب العظيم يوم الجزاء الأكبر، ومما نهاه الله عنه التهور، والإسراف المضر، وتناول كل ما يضره في الحياة الدنيا، وكل ما فيه شر يجلب له المؤاخذة والعقاب يوم الدين ومن اتخذ من الناس سبباً حقق الله نتائجه بقضائه وقدره خيراً كان أو شراً، إلا أن يكون لله حكمة خاصة في خرق سنته في حادثة من الحوادث، فمن ذبح نفسه، أو وجأ نفسه بحديدة أو تحسى سُماً قتله الله حسب سنن الله الثابتة التي نظم بها الأسباب والمسببات، ومن زرع زرعاً وتعهده أنبت الله زرعه وأعطاه ثمراته، ولو كان كافراً بربه.

وإن ما لم يمنح الله لمخلوقاته فيه أسباباً، فإنه يخضع لسلطان القضاء والقدر مباشرة، دون أن تتخذ هذه المخلوقات المريدة له أسباباً، والناس يدركون من هذه الحقائق السابقة شيئاً وينحرف إدراكهم عن الجزء الأكبر منها.

ويرتكب كثير من الناس الكبائر والمعاصي بإرادتهم الحرة ويعرضون أنفسهم بذلك لعقاب الله ﷻ وعذابه في الدنيا والآخرة، ثم يعتذرون قائلين بأن ذلك قضاء وقدر جبري قضاه الله عليهم وقدره، بل إن بعض الأنفس تتجرأ على الله ﷻ بقولها: إن الله هو الذي أراد لهم طريق المعصية ولم يهدهم أو ييسر لهم الهدى وهم كاذبون فيما قالوا عن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد حكى الله ﷻ ذلك في كتابه الكريم، يقول تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ

---

(١) بصائر للمسلم المعاصر، عبد الرحمن حبنكه الميداني، ص٦٩، بتصرف يسير.

أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٧ ـ ٥٩].

وإن مما يفهمه الناس أيضاً خطأ في القدر أنهم يظنون أن ابتلاء الله ﷻ عبداً من عباده بالفقر دليل على غضب الله ﷻ على هذا العبد، ويظنون أن الله تعالى راض عن عبده فلان بسبب أن الله وسع عليه الرزق وهذا فهم خاطئ؛ فهذا الأمر ليس له صلة بذلك؛ فرضى الله سبحانه وتعالى على عبده قائم على قيام هذا العبد بأوامر الله وتقواه وورعه، وغضب الله على العبد قائم على معصية هذا العبد وبعده عن أوامر الله تعالى.

وربما رأى الله سبحانه وتعالى أن صلاح عبد من عباده سيكون سببه الفقر وأن فساد عبد من عباده سيكون سببه الغنى لذلك يبتليهم بهذه الأمور، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧]، ويقول الله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

ومن ظن أن الابتلاء يكون بالخوف والجوع ونقص من المال والأنفس والثمرات وغير ذلك من أنواع المصائب فهو مخطئ، بل ربما كان الابتلاء بالخير والنعمة وهنا تكون الصعوبة على العبد في مثل هذا البلاء حيث إن نزول النعمة من المنعم سبحانه وتعالى لا بد وأن يقارنها الشكر من العبد عليها، وفي الابتلاء بالخير يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

اللهم ارزقنا الصبر على البلاء وأجرنا في مصائبنا خيراً، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وإن أردت بالعباد فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولا مبدلين، اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرج الموحدين من بينهم سالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر

الغش

الحمد لله الذي جعل الصدق سبباً في بركة الرزق، وأشهد أن نبينا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله نهى عن الغش وذمه فقال فيما روى عنه أبو هريرة ﷺ: «... **من غشنا فليس منا**»[1]، أما بعد:

فالمسلم يدين الله ﷻ بالنصيحة لكل مسلم، ويعيش عليها، فليس له أن يغش أحداً، أو يغدر، أو يخون؛ لأن هذه صفات ذميمة قبيحة في المرء والقبح لا يكون خلقاً للمسلم ولا وصفاً له بحال من الأحوال؛ لأن طهارة نفسه التي يكتسبها من الإيمان بالله والعمل الصالح تتنافى مع هذه الأخلاق الذميمة والتي هي شر محض لا خير فيها، والمسلم بطبعه قريب من الخير بعيد من الشر.

والله سبحانه وتعالى قد نهانا عن هذا الخلق الذميم وهو الغش فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٩٩ ح (١٠١).

وبيّن لنا النبي ﷺ عاقبة الغش في أحاديث كثيرة منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟** قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: **أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش فليس مني**»(١).

ومنها ما يبين أن البركة تمحق بسبب الغش وعدم الصدق في البيع، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا** ـ أو قال: ـ **حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»(٢).

وعلى صعيد آخر، لما ترك الإنسان الغش ونهى عنه غيره وخاف من الله واتقاه كان ذلك سبباً في حصول الخير الكثير له وشمول الرحمن الرحيم له برحمته يتضح هذا جلياً في موقف الفتاة التي مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يتفقد الرعية ببيتهم وسمع أمها وهي تقول لها: هيا يا بنيتي أعدي اللبن واخلطيه بالماء ليصبح كثيراً، ثم نذهب إلى السوق ونبيعه فنربح كثيراً، فقالت لها ابنتها: لو علم أمير المؤمنين عمر بذلك لغضب، فقالت الأم: وأين عمر حتى يرانا؟ قالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا.

فرجع عمر إلى بيته وأشار على أحد أبنائه وهو عاصم ودله على بيت الفتاة وأمره أن يذهب ليخطبها ويتزوجها إن كان له رغبة فيها فقيل: إن الله عز وجل بارك لهما ورزقهما أحد عشر ولداً كلهم قد قرأ القرآن.

واعلم أخي المؤمن أن للغش مظاهر منها:

---

(١) رواه مسلم ١/٩٩ ح (١٠٢).

(٢) رواه البخاري ٣/١٠، كتاب البيوع، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ونصحا.

١ ـ أن يزين المرء لأخيه القبيح أو الشر أو الفساد ليقع فيه؛ فإذا لم يفعل اشتكاه لمن يلي أمره نكاية به متهماً إياه بهذا القبيح.

فيروى أن أحد الملوك خاف على ثروته فأتى بشاب صالح يتيم كان يدعى أحمد وكتب له كل ثروته وجعله مسؤولاً عن ماله وقصره وخدمه وحشمه وجواريه وحرسه، وذات يوم كان أحمد هذا يتمشى في حديقة القصر إذ رأته إحدى الجواري فدعته إلى الزنا فأبى وقال: إن الله قد حرمه على المؤمنين، ولما لم يجبها أحمد اليتيم إلى طلبها نفذت رغبتها مع أحد عبيد القصر، لكن قدر الله ﷻ أن يراها أحمد اليتيم وهي تزني؛ فخافت أن يذهب إلى الملك ويخبره فأسرعت هي وبادرت بإخبار الملك كذباً وبهتاناً وادعت على أحمد أنه راودها عن نفسها فأبت فأرغمها وزنى بها جبراً.

فبحث الملك عن أحمد ليعاقبه وطلب منه أن يذهب إلى الطاهي ليحضر غداء الملك بنفسه، وكان الملك قد اتفق مع الطاهي وقال له: إن جاءك من يطلب منك غدائي فاقطع رقبته بالسيف وأتني به، وبينما أحمد يسير على مطبخ القصر إذ رآه جماعة من الناس يتشاحنون في وسط القصر في قضية ما، وقالوا: لنجعل أحمد اليتيم حكماً بيننا فهو ذو رأي سديد وحكمة عظيمة فطلبوا منه أن يحكم بينهم، فقال لهم: لكن الملك طلب مني أن أحضر له غداءه بنفسي، فقالوا له: لنرسل أحد العبيد يحضر غداء الملك واحكم أنت بيننا فيما نحن فيه.

فجلس أحمد ليحكم بينهم وذهب أحد العبيد لإحضار غداء الملك ولما وصل العبد إلى الطاهي وطلب منه طعام الملك ضرب الطاهي عنقه وأخذ رقبته وذهب بها إلى الملك، فلما كشفها الملك أمر الحراس بإحضار أحمد اليتيم فوراً، فحضر فأمره الملك أن ينظر إلى الرقبة المقطوعة قائلاً له: هل تذكر ذنباً لصاحب هذه الرقبة، قال: نعم أيها الملك رأيته ذات مرة يزني بإحدى جواري قصرك، فما كان من الملك إلا أن قال: صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

وارتفع شأن أحمد اليتيم عند الملك وعظم قدره، وقام الملك بمعاقبة الجارية[١].

٢ ـ أن يريه ظاهر الشيء الطيب الصالح، ويخفي عليه باطنه الخبيث الفاسد ومن ثم يترتب على ذلك مفاسد لا يحمد عقباها، وهذا المظهر بصفة خاصة قد اشتهر كثيراً في أمر البيع وفي أمر الزواج.

فتجد بعض البائعين مثلاً يضع في نهاية القفص وهو يبيع أي سلعة أوراقاً كثيرة ثم يضع افضل هذه السلع أعلى القفص وبذلك يكون قد خدع المشتري من جهتين: الأولى: أن يظن المشتري أن القفص مليء عن آخره بينما هو لا يتعدى الثلث، والثلثان ورق وغيره، والثانية أن المشتري يظن أن القفص كله بنفس درجة الجودة التي رآها في أعلاه.

وبعضهم يأتي بزيت الطعام ويخلطه ببعض العطور على أن تكون كمية الزيت هي الغالبة ويضعها في عبوات زجاجية ويخرج منها ريح العطر ويبيعه بثمن قليل.

وغير ذلك من الغش في المعاملات والبيع والشراء وما أكثرها في أسواق المسلمين وكأن البائع الذي يغش لن يحاسب عن ذلك ولو استحضر المسكين يقيناً أنه موقوف بين يدي الله جل وعلا ومسؤول عن غشه على رؤوس الملأ لما أقدم على هذه الفعلة الشنعاء ولكن الطمع والجشع وحب المال يغري بمثل هذه المعاصي والعياذ بالله.

وكثيراً ما يكون الغش في الزواج فتجد من الآباء من يخدع الشاب المتقدم لإحدى بناته فيقدم له ابنته الصغيرة البكر ويوم البناء يجدها الكبيرة الثيب فيجد بعضهم أنه لا مناص ولا هروب من هذا الزواج فيوافق وهو يتقطع

---

(١) وصايا الرسول ﷺ، د. طه عبد الله العفيفي المجلد الثاني، الجزء من ١١ـ ٢٠.

حسرة وندامة، أو يريه الجميلة ويوم البناء يرى أنها الدميمة القبيحة فيضطر للقبول حياءً، أو يزوجوه إياها وهي بها عيب ما أو مرض ما.

وهذا تغرير بالزوج وهو من أشد أنواع الغش؛ لأنه ينتج عنه مفاسد عظيمة كالطلاق وضياع الشباب وشتات الأسر وكان من الأحرى بالمسلمين في هذا المجال أن يقتدوا بنبيهم الصادق الأمين محمد ﷺ وبأصحابه الأطهار الذين جعلوا الصدق سمتهم الظاهر وابتعدوا عن الغش والتغرير والخداع.

فهذا بلال بن رباح رضي الله عنه يذهب مع أخيه أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي وهو الذي آخى الرسول بينه وبين بلال كانا قد ذهبا إلى داريا[١] في خولان لكي يخطب بلال لأخيه أبو رويحة من هذه القبيلة، فلما قدما عليهم قال بلال: متحدثاً بكل صدق وأمانة بعيداً عن الغش والخداع والتعزير مبيناً العيوب والمساوئ تاركاً الحديث عن المزايا والمحامد كما هو حاصل اليوم في معظم الزيجات إلا ما رحم ربي.

قال لهم: أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقال لهم القوم: إنه لشرف لنا أن نزوج ابنتنا لأخي مؤذن رسول الله ﷺ فلما خرجا من عند القوم قال أبو رويحة لأخيه بلال: ألا تذكرني بخير؟ فقال بلال: صهٍ يا أخي والله لم يزوجك إلا الصدق[٢].

هكذا يجب أن نكون وهكذا يجب أن تكون أخلاقنا ومعاملاتنا يعلوها الطهر.

---

(١) قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة، وخولان قبيلة عربية نزلت بمصر والشام فخملت أنسابهم، انظر: الجمهرة، ص٣٩٣.
(٢) أسد الغابة ١/٢٤٣ ـ ٢٤٥ برقم (٤٩٣)، بتصريف يسير.

والعفاف والصدق والنور والوضوح ليس فيها زيف ولا زيغ ولا غش ولا خداع ولا تغرير.

٣ ـ أن يظهر له خلاف ما يضمره، ويسره تغريراً به، وخديعة له غشاً، وإن ذلك لمن صفات المنافقين الذين يأتون هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه يظهرون الإيمان ويبطنون النفاق والحقد على الإسلام والمسلمين ويخادعون المسلمين ويغررون بهم حتى يوقعوا بهم في المهالك.

وسبحان الله العظيم نرى في بداية سورة البقرة أن الله ﷻ تحدث عن المتقين في أربع آيات، وعن الكافرين في آيتين، بينما الحديث عن المنافقين جاء في ثلاث عشرة آية، ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤﴾ [البقرة: ١٤].

ثم بيّن الله ﷻ في إحدى نعوته لهم أنهم هم الخاسرون وأنهم بعيدون عن طريق الهداية؛ لأنهم اتخذوا الغش لهم طريقاً في حياتهم، يقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ١٦].

٤ ـ أن يعمد إلى إفساد ماله عليه، أو زوجه، أو ولده أو خادمه، أو صديقه بالوقيعة فيه والنميمة، وقد بين لنا النبي ﷺ أن من يفعل واحدة من المظاهر السابقة فليس من المسلمين في أخلاقهم والتزامهم بأمر ربهم واقتدائهم بأخلاق نبيهم ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا»**[1].

(١) رواه أبو داود ٥/ ٣٦٥، ٣٦٦ ح (٥١٧٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٧١ برقم (٤٣٠٧).

فعلى المسلم أن يتقي الله ولا يعمد لمثل هذه الأمور التي ينتج عنها الشحناء والبغضاء والعداوة والتي ربما تكون سبباً في ظلم الآخرين كأن يطلق الرجل زوجته أو يعاقب خادمه ثم يكون الغشاش الذي نمّ وأوقع بين الرجل وأهله وغيرهم هو المحتمل للإثم الناجم عن الظلم الذي حدث لهم.

٥ ـ أن يعاهد على حفظ نفس أو مال أو كتمان سر ثم يخونه ويغدر: والمسلم عندما يجتنب هؤلاء الثلاثة الغش والغدر والخيانة يكون مطيعاً لله ولرسوله، إذ هذه الثلاثة محرمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد بينا ذلك سابقاً في أحاديث كثيرة.

وإن من الآيات القرآنية التي تؤيد ما نقول قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣].

وإن المسلم باجتناب تلك الصفات يكون مقتدياً بالنبي محمد ﷺ فهذا هو الرسول صلوات الله وتسليماته عليه يلقى من المشركين إيذاءً عظيماً وعنتاً وتضييقاً على دعوته وتعذيباً لأصحابه ومع ذلك يوم أن أمره الله ﷻ بالهجرة من مكة إلى المدينة فكر أول ما فكر وهو مصدر الأخلاق الطيبة في أن يرد أمانات أهل مكة إلى أصحابها التي كانوا استودعوها إياه، ولم يتخذ إيذاءهم له ومحاربتهم لأصحاب ذريعة في أن يغرر بهم أو يخونهم في أماناتهم، حاشاه ﷺ فهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وإنه لمن الأحرى بنا أن نكون كذلك ونجعل أخلاق الرسول ﷺ دستوراً لنا وأن نبتعد عن هذه الأخلاق الذميمة كالغش والخداع والتغرير والتزييف؛ لأنه لا ينبغي لمسلم أن يتصف بواحدة منها.

اللهم جنبنا كل خلق ذميم، اللهم جنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلنا وأموالنا، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الخاتمة

توجيه ودعاء

في ختام هذه الدروس التي بينت فيها كيف يسير المسلم على الدرب القويم، والصراط المستقيم، وذلك من منطلق اقتدائه بصاحب الأخلاق ومصدرها نبينا محمد ﷺ والتي أوضحت فيها كيف ساد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الدنيا بأسرهم وأصبحت لهم منازل رفيعة لدى رب العالمين ﷻ حتى إن بعضهم ليبشر بأنه من أهل الجنة وهو مازال حياً على ظهر الأرض يمارس جميع مظاهر حياته، أقول ما بلغوا تلك المنزلة إلا حين ارتقوا بأخلاقهم وسلوكياتهم وإيثارهم الآخرة على الدنيا.

وأوصي إخواني القراء أن يحولوا هذه الأخلاق والسلوكيات التي تحدثت عنها إلى واقع يعيشونه ويطبقون هذه الأخلاق والسلوكيات على حياتهم ويعتبرون هذه الدروس الوعظية بمثابة الزاد الإيماني الذي به أولاً يروحون عن أنفسهم، وثانياً ينهلون منه المعرفة الصحيحة والواضحة المبينة بالقرآن والسنة الصحيحة؛ فيعيش المجتمع عيشة الصدق والعدل والرحمة والقناعة ويجتنب المجتمع المسلم الرذائل بعد معرفته بخطورتها وضررها وسوء عاقبتها أفراداً ومجتمعات، وذلك كما بينت من خلال حديثي عن الأخلاق الذميمة وضررها على المجتمعات.

وإذا التزم المسلمون بآداب الإسلام: كالاستئذان والمحافظة على حقوق بعضهم تجاه بعض خاصة حقوق الآباء من بر وطاعة وحقوق الجار وحقوق صلة الرحم وغير ذلك من الحقوق؛ فإنهم يعيشون حياة هادئة سعيدة ومنضبطة يحفظ كل فرد منهم حرمة أخيه المسلم وقد اتضحت معالم هذه الآداب

ومظاهر هذه الحقوق من خلال حديثي عن الحقوق الإسلامية وآداب الاستئذان والزيارة.

وعلى المسلم أن ينتبه للأسباب التي ينجو بها من عذاب الله والأسباب التي بها يغفر الله ﷻ له ويحصلها. وقد بينت ذلك في حديثي عن أسباب النجاة وأسباب العذاب وأسباب المغفرة، وأسباب الرزق وغير ذلك.

وفي ختام عملي هذا أدعو الله ﷻ أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ويجعله في ميزان الحسنات.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً، اللهم وفقنا للالتزام بأخلاق القرآن، وبأخلاق رسول الله ﷺ، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ونستعيذك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل وارزقنا الإخلاص في السر والعلن، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارحمنا برحمتك تغننا بها عن رحمة من سواك، اللهم لا تجعل ذنوبنا سبباً لرد دعائنا، اللهم إنا قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو محمد/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

مساء الأربعاء ٣/ ٢/ ١٤١٧هـ ـ الزلفي ـ ص. ب ١٨٨

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

فهرس إجمالي للكتب